المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة القصيم

عمادة الدِّراسات العليا

كلية اللغة العربية والدِّراسات الاجتماعية

قسم التاريخ



نكبات الوزراء في العراق وآثارها على الأوضاع العامة إبَّان العصر العباسي الثاني

٢٣٢– ٦٥٦ هـ/٨٤٧-١٢٥٨م

Minister setbacks in Iraq and its effects on the general situation During the second Abbasid era

232-656 AH / 847-1258m

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد:

الباحثة / البندري بنت عبد العزيز الخضر

الرقم الجامعي (٣١٢٢١٦١٩٧)

إشراف

الأستاذ الدُّكتور / علي بن صالح المحيميد

العام الجامعي ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَّد، وآله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ يشرّفني ويسعدني إهداء هذا العمل إلى والديّ اللذين منحاني الرعايةَ والحنان، وربياني صغيرًا، سائلًة لهما الرحمةَ والغفران.

ومن هذا المنبر التعليمي أود إيصال الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ علي بن صالح المحيميد، الذي استوفى جميع صفات ومهارات الأستاذ الحاذق، فبشراك قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**).[1]

كما أنني أتوجّه بخالص الشكر والتقدير، إلى مَن علمنا التفاؤل والمضي إلى الأمام، إلى من رعانا وحافظ علينا، إلى من وقف معنا عندما ضللنا الطريق، إلى زوجي عبد الرحمن مُحَّد صالح الخضيري. كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والمحبة إلى أبنائي -حفظهم الله-؛ على تحملهم انشغالي عنهم فترة الدِّراسَة.

ثم أتقدَّمُ بالشكر الجزيل لكلية اللغة العربية والدِّراسات الاجتماعية، وعلى رأسها عميدها الأستاذ الدكتور/ علي بن إبراهيم السعود حفظه الله.

والشكر موصولاً لرئيس قسم التاريخ الأستاذ الدكتور/علي بن صالح المحيميد.

ولا يفوتني أن أشكر سلفًا الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة والحكم على الرسالة؛ لتفضلهم بالموافقة على الاشتراك في مناقشة هذه الدِّراسَة، والاستفادة من علمهما في تقويمه، وأُقدِّر بكل اعتزاز ما سوف يبدونه من ملحوظات وتوجيهات.

وفي الختام أشكر كل من ساعدني وأعانني، ولو بالكلمة الطيبة، حتى تم إنجاز هذه الدِّراسَة، فلهم منِّي جزيل الشكر والثناء.

---

(١) الترمذي، مُحَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (د. ط)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م، (٤/ ٣٤٧).

ملخص الدِّراسَة باللغة العربية

تظهر هذه الدراسة أهمية منصب الوزارة (الذي هو أهم مناصب الدولة العباسية وأخطرها بعد منصب الخليفة، وأرقى مناصب الدولة وأهمها تأثيرًا عليها). فقد بدأ منصب الوزارة في العصر العباسي الأول عند نشأته، شامخاً وقوياً، ولكن في العصر العباسي الثاني تعرَّض عدد من الوزراء إلى أنواع شتى من النكبات، وكان من أسبابها: محاولة الاستئثار بالسلطة، وقوة نفوذ قادة الجيش، والأزمات المالية، وضعف الخلفاء، والصراع على منصب إمرة الأمراء، وتدخل النساء في شؤون الوزارة، وقوة نفوذ الوزراء وكفاءتهم، وضعف الوزراء، والخلاف الديني والمذهبي، والتنافس بين الوزراء على منصب الوزارة، وبالتالي تعرُّض الوزراء لصور مختلفة من النكبات، المتمثلة في: العزل عن الوزارة، والمصادرة والسجن، والتعذيب والنفي، والقتل والهروب، والاستعفاء عن منصب الوزارة مقابل النجاة بنفسه من تلك النكبات، فأدى ذلك إلى اختلاف ميزان أوضاع الوزراء، وعدم اتزان وظيفتهم الوزارية، ومواجهتهم لأنواع متعددة من الويلات التي ألحقت الضعف السياسي بالخلافة، فقد وضحت آثارها على الخلفاء العباسيين وعجزهم عن المحافظة على قوتهم، وتلاشت قدرتهم على تسيير أمورهم وفق حاجة الخلافة للتصدي للأعداء، وتوقف العمل السياسي والإداري والاقتصادي والعلمي، وبالتالي سقوط العاصمة بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.



المقدمة

مقدمة

- مصاعب الدِّراسَة.
- أهمية الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- خطة الدِّراسَة.

مقدِّمة

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد خاتم النبيين وإمام المرسلين، جدد الله به رسالة السماء، وأحيا ببعثته سنة الأنبياء، ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتم به مكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه، الذين فقههم الله في دينه، بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

لقد صحب منصب الوزارة العباسية نكبات خطيرة، تعددت ما بين العزل عن الوزارة والمصادرة والسجن والتعذيب والنفي والقتل، نجم عنها عدم استقرار الوزارة ورسوخها أحيانًا، وتحديد صلاحيات الوزير أحيانًا أخرى، ثم ما كان هناك من محاولة الوزير المستمرة للسيطرة على الإدارة واستبداده بأمور الدولة، ممَّا يدفع بالخليفة العباسي إلى أن يقف في بعض الأحيان موقفًا فيه شيءٌ من الحزم تارةً والشدة تارةً أخرى تجاه استبداد الوزير؛ باعتباره مُنَفِّذًا لأوامر الخليفة ومستشارًا له.

وقد تجلى هذا التصادم بين الخليفة والوزير منذ العصر العباسي الأول، وكانت كفة النزاع ترجح في النهاية لصالح الخليفة؛ لأن بيده القوة وإليه يرجع الحل والعقد. وقد حدث أول صدام بين الوزير والخليفة في العصر العباسي الأول، عندما قُتِلَ الوزير أبو سلمة الخلال في رجب سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م) في خلافة أبي العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٣م)، ثم أصاب أبا مسلم الخراساني من الخليفة المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/٧٤١-٧٧٥م) مثل تلك النكبة سنة (١٣٧هـ/٧٥٥م).

وقد ظهر بصورة واضحة هذا التصادم بين سلطة الخليفة وسلطة الوزير في العصر العباسي الأول، إبَّان الصراع الذي حدث بين الخليفة الرشيد (١٧٠- ١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) والبرامكة سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م)، وبين المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٤-٨٣٣م) وآل سهل سنة (٢٠٢هـ/٨١٨م)، حيث بلغت الوزارة في عهدهم حدًا كبيرًا من القوة، وأضحى الوزير على درجة كبيرة من النفوذ.

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الطلاق، آية: (٨).

أمَّا في العصر العباسي الثاني الذي كان الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦٢م) أول خلفائه، فقد ازدادت نكبات الوزراء وتنوَّعت أسبابها؛ وذلك نتيجةً لمحاولة استئثار الوزراء بالسلطة، أو لتسلُّط قادة الأتراك داخل الخلافة العباسية، وقوة نفوذهم، وعجز وضعف أكثر الخلفاء، وتدخُّل النساء في شؤون الحكم أحيانًا، أدَّى ذلك كلُّه إلى ضعف سلطة الوزراء، فقلَّ شأنهم، فتعرضوا للقتل والعزل والنفي والمصادرة والسجن والتعذيب. فالخليفة المتوكل على الله قلَّد مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات وزارته، ولقوة نفوذ هذا الوزير وكفاءته واستئثاره بالسلطة، ما لبث أنْ قبض الخليفة عليه ونكبه، فكانت نهاية الوزير ابن الزيات محزنةً لا تتناسب مع مكانته والخدمات التي قدمها للدولة العباسية، أو المدة التي قضاها في الوزارة. كما نُكب وزير الخليفة المتوكل على الله الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧هـ/٨٦٢م ؛ وذلك عندما أراد الخليفة أنْ يضعَ حدًّا لتسلط قادة الأتراك،، ونتج عن ذلك تدهور مكانة الوزارة كثيرًا.

لقد تضاءلت أهمية الوزارة واستبد الأتراك بإدارة الدولة، فأصبح منصب الوزير يخضع لتأثيرهم المباشر، فحلَّ محلَّ كبار الوزراء ذوي الثقافة العالية والشخصية القوية وزراء لا يتميزون بالكفاية في إدارة شؤون الدولة، باستثناء قلَّة كان لها أثرٌ لا يستهان به في تسيير دفَّة أمور الدولة، ويظهر هذا الانتقال بصورة واضحة بعد أن ولي أحمد بن الخصيب الوزارة للخليفة المنتصر بن المتوكل على الله سنة (٢٤٧- ٢٤٨هـ/٨٦٢ - ٨٦٣م). ازدادت سلطة قادة الأتراك في عهد الخليفة المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٣-٨٦٦م) وصار الوزير يُعيَّن من قِبَلهم، فإنْ وافق هواهم رضوا عنه، وإنْ خالفهم في شيء عزلوه، وأقاموا غيره، فلم يتعرضوا في أول عهد هذا الخليفة لوزيره أحمد بن الخصيب، لكنَّهم ما لبثوا أن غضبوا عليه، ونكبوه سنة (٢٤٨هـ/٨٦٣م).

ثمَّ تجاهل قادة الأتراك تقاليد الوزارة؛ إذ تولاها أحد زعماء الأتراك القائد "أوتامش"، الذي استبد بالأمور واستحوذ على أموال طائلة دون بقية رؤساء الأتراك، ممَّا عجَّل بنهايته وهو من بني جلدتهم، حيث تذمر منه الجند ونكبوه سنة ٢٤٩هـ/٨٦٤م.

أدَّى ازدياد نفوذ الأتراك إلى تدخلهم في شؤون الوزارة، ويدلُّ على ذلك ما حدث مع الوزير أبي صالح عبد الله بن مُحَمَّد بن يزداد وزير الخليفة المستعين بالله، الذي كان من أشهر كتَّاب عصره وأقدرهم في إدارة أمور الدولة، حتى نكب على أيديهم سنة (٢٤٩هـ/٨٦٤م)، فلم يستوزرْ المستعين بعده أحدًا وإنَّما كان يعيِّن كتَّابًا يقومون بأعمال الوزراء.

وقد تجلَّى تدخل الأتراك في شؤون الوزارة بصورة واضحة منذ عهد الخليفة المعتز بالله سنة (٢٥٢- ٢٥٥هـ / ٨٦٦-٨٦٩م)؛ فلقد بلغ من قوة الأتراك واستبدادهم أنْ فرضوا على الخلفاء تعيين الوزراء، ولكن كان مصيرُهم في نهاية المطاف أن نكبوه عن منصب الوزارة مثل ما حدث بين عامي (٢٥١-٢٥٥هـ/٨٦٥-٨٦٩م)، فقد تعرض الوزير جعفر بن محمود الإسكافي للنكبة؛ ذلك لأنَّه فُرِضَ على الخليفة المعتز بالله من قبل رؤساء الأتراك، إضافةً إلى ميوله العلوية، كما نكب الخليفة نفسه وزيره عيسى بن فرخانشاه؛ نتيجة فتنة الأتراك وانقسامهم.

ونتيجة ضعفُهم أدى ذلك إلى عدم استقرار الأمور داخل الخلافة، فكان على الوزير أنْ يلبي رغبات كبار الأتراك؛ ليبقى في منصبه، وإلاَّ عُزِلَ وتعرَّض للإساءة.

وكان من بين الوزراء الذين تعرَّضُوا لنقمة الأتراك أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري وزير المعتز، الذي حظي بمنزلة لدى هذا الخليفة وخلع تاجًا على رأسه، وهذا يشير إلى ارتفاع مكانة الوزارة وتحسُّن مؤقت في وضع الوزير ومكانته، غير أنَّ نفوذ الأتراك حال دون استقرار الأمور، ذلك أنَّ القائد التركي صالح بن وصيف فرض سيطرته على أغلب مرافق الدولة الإدارية والمالية، وبذلك سلب الوزير أغلب اختصاصاته سنة (٢٥٥هـ/٨٦٩م).

ولما ولي المعتمد الخلافة، واستبد بالأمور أخوه أبو أحمد الموفق ضعف شأن الوزارة، وكثيرًا ما كان الوزير يُعيَّنُ ثمَّ يُنكب، ويتكرر تعيينه ونكبه عدة مرات لا يفصل بينهما إلّا أمد قصير، واستمر ذلك حتَّى وفاة الموفق سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م).

واستمر الحال في نكبات الوزراء على ذلك حتى عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م)، الذي ساءت أحوال الخلافة العباسية في أيَّامه واضطربت أمور دولته؛ من جراء السياسة التي اتبعها في تعيين وزرائه.

وقد تعاقب على الوزارة في عهده حوالي اثني عشر وزيرًا، تقلَّد بعضهم الوزارة أكثر من مرة لمدة قصيرة، منهم: الوزير أبو الحسن علي بن الفرات، والوزير مُحَمَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، والوزير علي بن عيسى، والوزير حامد بن العباس، والوزير أبو العباس الخصيبي، والوزير أبو علي ابن مقلة، والوزير سليمان بن الحسن بن مخلد، والوزير أبو القاسم عبيد الله بن مُحَمَّد الكلوذاني.

وإلى جانب اعتماد الخليفة المقتدر بالله على بعض الوزراء الضعاف، الذين ليس لهم دراية ولا خبرة بأمور الدولة فشا الفساد الإداري، حيث كانت المناصب تباع إلى الراغبين فيها بالمال دون النظر إلى مقدرتهم وكفاءتهم، بلْ لقد تطور الأمر إلى أنْ بلغ حدًّا لا يمكن تصوره حين أصبحت المناصب المشغولة مطمعًا للطامحين إذا ما تقدَّموا إلى الوزير بمبالغ إضافية.

وفضلاً عن تسلط قادة الجيش وتدخل الأتراك في تعيين وعزل الوزراء هناك عاملٌ آخر لا يمكن إغفاله ساعد على إضعاف شأنهم في ذلك العصر، وهو تدخُّل النساء والخدم في شؤون الدولة وحرمان الدولة من الوزراء الأَكْفاء، وتجلَّت تلك الظاهرة في عهد الخليفة المقتدر بالله، حيث تسلَّم علي بن عيسى مسؤولية الوزارة في محرم سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)، فعمل بجدٍّ في محاولة إصلاح الوضع وتسيير دفَّة الحكم بالشكل السليم، ولكن تعرض الخليفة المقتدر بالله لضغط شديد من نسائه؛ من أجل إبعاد علي بن عيسى عن الوزارة، فنكب سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م).

وكانت الأزمات المالية المستعصية التي واجهت الخلفاء العباسيين سببًا في أحداث العزل والتبديل السريع في الوزراء، حيث جرى تكليف كلٍّ من الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، والوزير مُحَمَّد بن القاسم الكرخي، والوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بالوزارة بالتتابع قبل عزل الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٣م -٩٤٠م).

وفي عهد إمرة الأمراء الذي بدأ سنة (٣٢٤هـ/٩٣٦م) زالت وزارة الخليفة العباسي منصبًا وسلطة، واكتفى الخليفة بكاتبٍ يدير شؤونه، فانتقلت صلاحيات الوزير بالتدريج إلى أمير الأمراء، ومن ثَمَّ بصورة كاملة إلى الأمير البويهي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، الذي كان يستوزرُ لنفسه مَنْ يريد.

وفي سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) خلف السَّلاجقةُ البويهيين في السيطرة على الخلافة العباسية، واستمرت سيطرتهم إلى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، وقد ترتب على وجود وزير للسلطان السلجوقي ووزير للخليفة العباسي في وقت واحد حدوث احتكاك بينهما ومنافسة للاستئثار بالسلطة، وكان وزيرُ السلطان أكثرَ نفوذًا وسلطةً من وزير الخليفة؛ لأنَّه كان يَسْتمِدُّ نفوذه من قوة السلطان السلجوقي صاحب النفوذ الفعلي، وبلغ من نفوذ الوزير السلجوقي أنْ جاهر بعدائه لوزير الخليفة، وأخذ يتدخَّل في تعيينه وعزله ونفيه، بلْ كان يقبض عليه ويرغمه على أداء بعض الأموال مقابل إطلاق سراحه.

وفي فترة حكم السلاجقة وتحديدًا في سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) ساءت حالة الوزراء العباسيين لعدة أسباب، منها: أنَّهم كانوا يعارضون طلبات رجال الديوان والجيش التي تتنافى مع تعاليم الشريعة الإسلامية، وكثرة الفتن بين الحنابلة والشافعية، وكذلك شدة بعض الوزراء العباسيين على أهل الذِّمَّة في بغداد.

ولما تبيَّن للخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠- ٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) محاولة الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي الاستئثار بالسلطة نكبه.

ثم زادت نكبات الوزراء العباسيين وتعرضوا للقتل والعزل؛ لكفاءتهم العسكرية والسياسية عندما حاولوا تخليص الخلافة العباسية من النفوذ السلجوقي واستعادة سلطة الخلفاء العباسيين سنة (٥٦٠هـ/١١٦٤م).

ثم توالت نكبات الوزراء العباسيين من سنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م) حتَّى سقوط الدولة العباسية على يد المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

أهمية الموضوع:

لقد تعرض أكثر وزراء بني العباس في عصرهم الثاني لأنواع شتى من النكبات، تعددت ما بين التعذيب والمصادرة والعزل عن الوزارة تارة، والقتل والسجن تارة أخرى، والنفي وطلب الاستعفاء عن الوزارة ؛ لذا رأيت أن هذه الأحداث مجتمعة جديرة بالوقوف عندها، والتأمّل فيها، ودراستها، وإبرازها؛ لمعرفة آثارها على الخلفاء العباسيين، وآثارها على منصب الوزارة، وآثارها على التنظيمات الإدارية، وآثارها على الحياة الاقتصادية، وآثارها على الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى آثارها على الحياة العلمية، وآثارها على أقاليم الخلافة العباسية، ممَّا أدَّى في النهاية إلى سقوطها على أيدي أعدائها المتربصين بها.

وقد واجهتني مصاعب كثيرة بالنسبة لهذه الدِّراسَة، منها:

١. تفرق المادة العلمية وتناثرها في المصادر سواء مصادر تاريخية أو جغرافية أو تراجم.

٢. طول المدة الزمنية لموضوع الدِّراسَة، حيث تبدأ من أوائل سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م حتى ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وهذا تطلب من الباحثة جهدًا كبيرًا في جمع المعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية؛ للإحاطة بجميع فروع الدِّراسَة؛ وذلك للوصول إلى نتائج مرضية.

٣. تعارض المعلومات التي وردت في بطون مصادر الدِّراسَة مع بعضها بعضًا، ممَّا اضطرني إلى الحذر الزائد عند الأخذ عنها، والاعتماد على الصحيح بعد التمحيص والتدقيق.

٤. أن طبيعة الدِّراسَة السياسية زادت من صعوبتها؛ لأن الموضوعات السياسية والإدارية والاجتماعية لا تكتب مفردة أو قائمة بذاتها، وإنما يأتي الكلام عنها عرضًا بين سرد الأحداث والمشاهدات، فكان لابد من قراءات كثيرة لجمع القليل منها.

لكل هذه وتلك ازددت إصرارًا على التمسك بالدِّراسَة والمضي فيها؛ لأحقق منها ما كان وأوضِّح فيها ما يكون، فقد تناولتها من جميع الجوانب السياسية على قدر الإمكان، وبقدر ما تمدني به المصادر والمراجع العربية والمعربة والفارسية والأوروبية التي تمكّنت من الوصول إليها؛ لعلي أكمل بها موضوعًا في المكتبة التاريخية قد يحتاجه الباحثون فيما بعد، وكم كنت أود أن أعتمد على نفسي كثيرًا؛ لتذليل هذه المصاعب التي أرهقتني، إلا أنني استعنت بنصائح المشرف، التي خففت عني كثيرًا من الجهد والمشقة، وهوَّنت عليّ كل المصاعب.

أسباب دراسته فيما يلي:

- يعدُّ منصب الوزارة من أهم مناصب الدولة العباسية وأخطرها بعد منصب الخلافة، وأرقى مناصب الدولة وأهمّها تأثيرًا عليها، وقد بدأ قويًا شامخًا عند نشأته، ولكن مع تغيُّر الأوضاع في العصر العباسي الثاني أخذت تهدِّده عوامل الضعف والتدهور؛ نتيجةً لازدياد نفوذ الأتراك وتدخُّلهم في شؤون الخلافة، فعمد الأتراك إلى السيطرة على مناصب الدولة وفي مقدمتها منصب الوزارة، وبذلك ضعفت سلطة الوزراء وحددت اختصاصاتهم، واقتصر نشاطهم على الأعمال الإدارية وحدها، دون أنْ يكون لهم شأنٌ يذكر في مجريات الأمور.

- دراسة نخبة كبيرة من الوزراء الذين تولوا منصب الوزارة، والكشف عن شخصياتهم للدارسين.

- أصبح الوزراء في عهد ازدياد نفوذ الأتراك عرضةً للتنكيل والمصادرة؛ إذ عمِلُوا على إقصاء كلِّ وزيرٍ يتطلع إلى الاحتفاظ بسلطته، وآثروا الاعتماد على وزراء ضعاف يلبُّون مطالبهم، فحلَّ محلَّ كبار الوزراء ذوي الثقافة العالية وزراءٌ لا يتميزون بالكفاءة في إدارة شؤون الدولة، ثم ازداد التنكيل بالوزراء وصار الوزير يعيَّن من قبلهم، فإنْ وافق هواهم رضوا عنه، وإنْ خالفهم في شيء عزلوه وأقاموا غيره، واستمرَّ الحال كذلك حتَّى عهد الخليفة المقتدر بالله؛ فصار الوزير لا يتيسر له البقاء في منصبه فترة تكفي للقيام بأي مشروعٍ إصلاحي يعود على الدولة بالنفع، وقد ضعفت مكانة الوزير في أواخر عهد هذا الخليفة؛ بسبب عجزه والاعتماد على وزراء ضعاف، فضلاً عن تدخُّل النساء وأفراد الحاشية في شؤون الخلافة، وإنَّ تعرُّض الوزراء للعزل والنفي والمصادرة والسجن والقتل يشكل علامة من علامات ذلك الضعف الذي ألمَّ بجسم الخلافة العباسية.

- التبديل السريع في تولي منصب الوزارة مهما كانت أهدافهم (إصلاحية أو غير ذلك) سواء أقوياء أو ضعفاء؛ بسبب تعرضهم للنكبات التي انعكست بدورها في إضعاف منصب الوزارة.

- ثمَّ سُلِبت سلطة الوزير بظهور منصب أمير الأمراء في عهد الخليفة الراضي بالله سنة (٣٢٤هـ/٩٣٦م)، الذي علت مرتبته على مرتبة الوزير، ولم يبقَ للوزير شيءٌ من النفوذ في أثناء ظهور القوى السياسية المتسلطة في العراق.

- ازدياد نهب أموال بيت المال، ممَّا أسهم في ضعف الموارد الاقتصادية وعجزها عن دفع رواتب الجنود، الذين كان لهم دور كبير في قيام الثورات ثم استغلالها في نكبات الوزراء.

- عجز بعض الوزراء عن النهوض بأمور الخلافة العباسية؛ نتيجة لاضطراب أحوالهم بصفة مستمرة، أفسح المجال أمام بعض القوى المحلية للتدخل في شؤونها، فانعكس ذلك على بقية الأجهزة الإدارية داخل الخلافة، ممَّا ترتب عليه شل حركة التطور والرقي في كثير من مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الذي كان هو سمة الخلافة في عصرها الأول.

- ظهور الأحزاب والتكتلات السياسية المؤيدة لبعض الوزراء والمعادية في الوقت نفسه للخلفاء، أدَّى إلى إضعاف عدد كبير من هؤلاء، وعجّل بسقوطهم ورحيلهم عن منصب الخلافة.
- يعدُّ هذا الموضوعُ من المواضيع المهمَّة التي ما تزال بحاجة إلى المزيد من البحث والدِّراسة؛ حتَّى نستطيعَ تفسير أسباب هذه النكبات تفسيرًا علميًا جادًا هادفًا، ثمَّ نقترب قدر المستطاع من الحقائق التاريخية المهمَّة والكشف عنها؛ ليستفيد الدَّارسون منها.

الدراسة السابقة:

من خلال اطلاعي على كثير من الدِّراسات التي تناولت النواحي السياسية والحضارية، وما صدر من البحوث والمراجع والدوريات المهمة التي تناولت العصر العباسي الثاني، تبيَّن لي بعد استشارة المختصين أن موضوع نكبات الوزراء في العراق وآثارها على الأوضاع العامة إبّان العصر العباسي الثاني ٢٣٢– ٦٥٦ هـ/٨٤٧–١٢٥٨م، لم يحظ بدراسة مستقلة شاملة ومفصَّلة ودقيقة رغم أنَّه جدير بالبحث والاهتمام؛ إذ كل ما وجدته عنه معلومات متناثرة في ثنايا الكتب والبحوث التي تناولت تلك المدة، وأقرب دراسة تناولت مثل هذا الموضوع كتاب (الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية)، أعدها الباحث توفيق سلطان اليوزبكي، ركَّز فيها على نشأة الوزارة ونظامها وتطورها، كما تطرَّق فيها إلى عددٍ يسير من الوزراء الذين ستشملهم هذه الدِّراسَة، فضلاً عن أنَّه لم يركِّزْ على أسباب نكباتهم وصورها وأشكالها، ولم يتطرَّقْ إلى آثار تلك النكبات على الأوضاع العامة في العصر العباسي.

كذلك كتاب (نظام الوزارة في الدولة العباسية في العهدين البويهي والسلجوقي)، تأليف مُحَمَّد بن مسفر الزهراني، ركَّز فيه على نظام الوزارة، وخصَّصه فقط –كما يتَّضح من العنوان– لدراسة عهدين من عهود العصر العباسي الثاني، وأشار فيه إلى قَتْل الوزير أبي القاسم علي بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء، وعزل الوزير فخر الدولة بن جهير من الوزارة، ووفاة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة مسمومًا دون التفصيل لتلك النكبات.

كذلك هناك رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٧١م، عنوانها: (نظام الوزارة من بداية العصر العباسي حتَّى نهاية القرن الثالث الهجري)، أعدتها الباحثة/سامية توفيق عبد الله، تناولت فيها التطور التاريخي للوزارة من حيث التنظيمات السياسية والإدارية بدءًا من العصر العباسي الأول.

منهج الدراسة:

وكان منهجي في دراستي هو جمع المادة العلمية من منابعها الأصلية، وهي المصادر التاريخية المعاصرة لفترة الدِّراسَة، بالإضافة إلى المراجع والدِّراسات التي تناولت موضوعي، وحوت بين صفحاتها معلومات ورؤى قيمة ذات صلة وثيقة بعناصر هذه الدِّراسَة.

وبذلت قصارى جهدي وقدرتي لاستقراء المادة العلمية، واستنبطت العناصر التي تثري هذه الدِّراسَة، حيث اعتمدت على نقد الروايات وتحليلها، وإجراء المقارنات بين ما في بطون مصادر الدِّراسَة من معلومات.

وحاولت قدر المستطاع أن تكون الدِّراسَة موضوعيَّة، فاعتمدت على إثبات الحقائق التاريخية وتمحيصها - قدر المستطاع - والوصول إلى الاستنتاج العلمي؛ للحصول على أدق النتائج وأفضلها.

ومن أجل تحقيق الأهداف المنشودة من الدِّراسَة، قمت بتقسيمها إلى أربعة فصول رئيسة، تسبقها هذه المقدمة وتمهيد، وفي آخرها خاتمة توضِّح أهم نتائج الدِّراسَة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتحتوي على التعريف بالموضوع وأهميته، وأسباب اختياره، والدِّراسات السابقة، وخطة الدِّراسَة، وتحليل لأهم مصادر ومراجع الدِّراسَة.

التمهيد: يتضمن الحديث عن منصب الوزارة ونكبات الوزراء في العصر العباسي الأول.

وجاء الفصل الأول من الدِّراسَة وعنوانه: الوزراء المنكوبون في العصر العباسي الثاني: ويشتمل على أربعة مباحث:

وقد استعرضت فيه الحديث عن وزراء عصر النفوذ التركي (٢٣٢- ٣٢٤هـ/٨٤٧- ٩٣٦م). ثم تناولت وزراء عصر إمرة الأمراء (٣٢٤- ٣٣٤هـ /٩٣٦- ٩٤٥م). وتحدثت عن وزراء العصر البويهي (٣٣٤- ٤٤٧هـ / ٩٤٥- ١٠٥٥م). ثم بيَّنت وزراء العصر السلجوقي (٤٤٧- ٥٩٠هـ / ١٠٥٥- ١١٩٤م).

كما وضّحت الوزراء منذ نهاية العصر السلجوقي حتى سقوط بغداد بيد المغول (٥٩٠- ٦٥٦هـ /١١٩٤- ١٢٥٨م).

أمَّا الفصل الثاني، فكان عنوانه: أسباب نكبات الوزراء في العصر العباسي الثاني، وقد شمل ثمانية مباحث:

تطرقت فيه إلى محاولة الاستئثار بالسلطة، وقوة نفوذ قادة الجيش، ثم الحديث عن الأزمات المالية وضعف الخلفاء والصراع على منصب إمرة الأمراء، ثم كيفية تدخل النساء في شؤون الوزارة، وقوة نفوذ الوزراء وكفاءتهم وضعف الوزراء، ثم الحديث عن الخلاف الديني والمذهبي، ثم تناولت التنافس بين الوزراء.

وكان الفصل الثالث، وعنوانه: صور نكبات الوزراء في العصر العباسي الثاني، يحتوي هذا الفصل على ثمانية مباحث، تناولت فيه:

العزل عن الوزارة، ثم الحديث عن المصادرة والسجن، ثم تناولت التعذيب والنفي والقتل، ثم بيَّنت الهرب والاستعفاء.

أمَّا الفصل الرابع، فكان عنوانه: آثار نكبات الوزراء على الأوضاع العامة في العصر العباسي الثاني، ويحتوي على سبعة مباحث:

تناولت الحديث فيه عن آثارها على الخلفاء العباسيين، ثم بيَّنت آثارها على منصب الوزارة، كما وضحت آثارها على التنظيمات الإدارية، ثم عرضت آثارها على الحياة الاقتصادية، كما تحدثت عن آثارها على الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى آثارها على الحياة العلمية،وأخيرا تطرقت آثارها على أقاليم الخلافة العباسية.

وتلا ذلك خاتمة الرسالة التي تشتمل على أبرز النتائج الخاصة بالدراسة، ثم عرض الفهارس والمصادر والمراجع والأعلام والأماكن والمصطلحات المذكورة في الدِّراسَة، والمحتويات التي ثبت فيها موضوعات الدِّراسَة.

وتنوعت مصادر هذه الدِّراسَة لتنوع مادتها، ويأتي في مقدمة هذه المصادر "تاريخ الرسل والأمم " للطبري (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ويعني هذا أنه كان معاصرًا لأحداث بدايات العصر العباسي الثاني، وهو منطلق هذه الدِّراسَة.

كذلك يأتي كتاب (الأوراق) لأبي بكر مُحَّد الصولي (ت: ٣٣٥هـ/٩٤٦م) في طليعة مصادر هذه الدِّراسَة؛ إذ إنه يتضمن الحديث عن خليفتين، هما: (الراضي بالله، والمتقي لله)، وأهم وزرائهما الذين تحدثت عنهم في نطاق هذه الدِّراسَة.

ومن بين المصادر المهمة في تاريخ العصر العباسي الثاني كتاب مسكويه (ت: ٤٢١ه/١٠٣٠م)، بعنوان: (تجارب الأمم). وتكمن أهميته بحكم أنه مؤرخ وشاهد عيان، وعمل في البلاط البويهي، ولذلك نجده يركِّز في كتابه على الدولة البويهية ووزرائها، حيث انتقد بعض أمراء هذه الدولة الذين أدَّوا دورًا في الخلافة العباسية، ومن هذا المنطلق يعتبر مصدرًا يحتوي على معلومات لا بأس بها استفدت منها لعدد من الوزراء الذين تعرَّضوا للتعذيب والعزل خلال العصر البويهي في العراق.

وفي طليعة المصادر التي زوّدتني بمعلومات قيِّمة في هذه الدِّراسَة كتاب (الإنباء في تاريخ الخلفاء) لابن العمراني (ت: ٥٨٠هـ/١١٨٤م). وتكمن أهمية كتابه في أن مؤلِّفه خصصه لدراسة أحوال خلفاء بني العباس، وعاصر المؤلف فترة مهمة من فترات الدِّراسَة، وقدَّم معلومات لا بأس بها عن بعض النكبات التي تعرض لها وزراء بني العباس الذين عاصرهم هذا المؤرخ.

ومن المصادر الأساسية لهذه الدِّراسَة نذكر كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، (ت: ٦٣٠ه/١٢٣٢م)، وكتاب (البداية والنهاية) لابن كثير، (ت: ٧٧٤ه/١٣٧٢م).

وتأتي أهمية الكتاب الأخير في بحثي في أنه مكمِّل للأحداث التي توقَّف ابن الأثير عندها في كتابه (الكامل) سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م.

كما استفادت الدِّراسَة من بعض المصادر المختصة بالوفيات والتراجم والسير، أمثال كتاب: (وفَيَات الأعيان) لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وكتاب (الوافي بالوفيات) للصفدي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، وغيرها.

ومن المصادر الرئيسة التي خدمت الدِّراسَة من عدة جوانب كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، فقد أمدَّ الدِّراسَة بمعلومات عن دولة المغول وعن أحداث الغزو على بغداد.

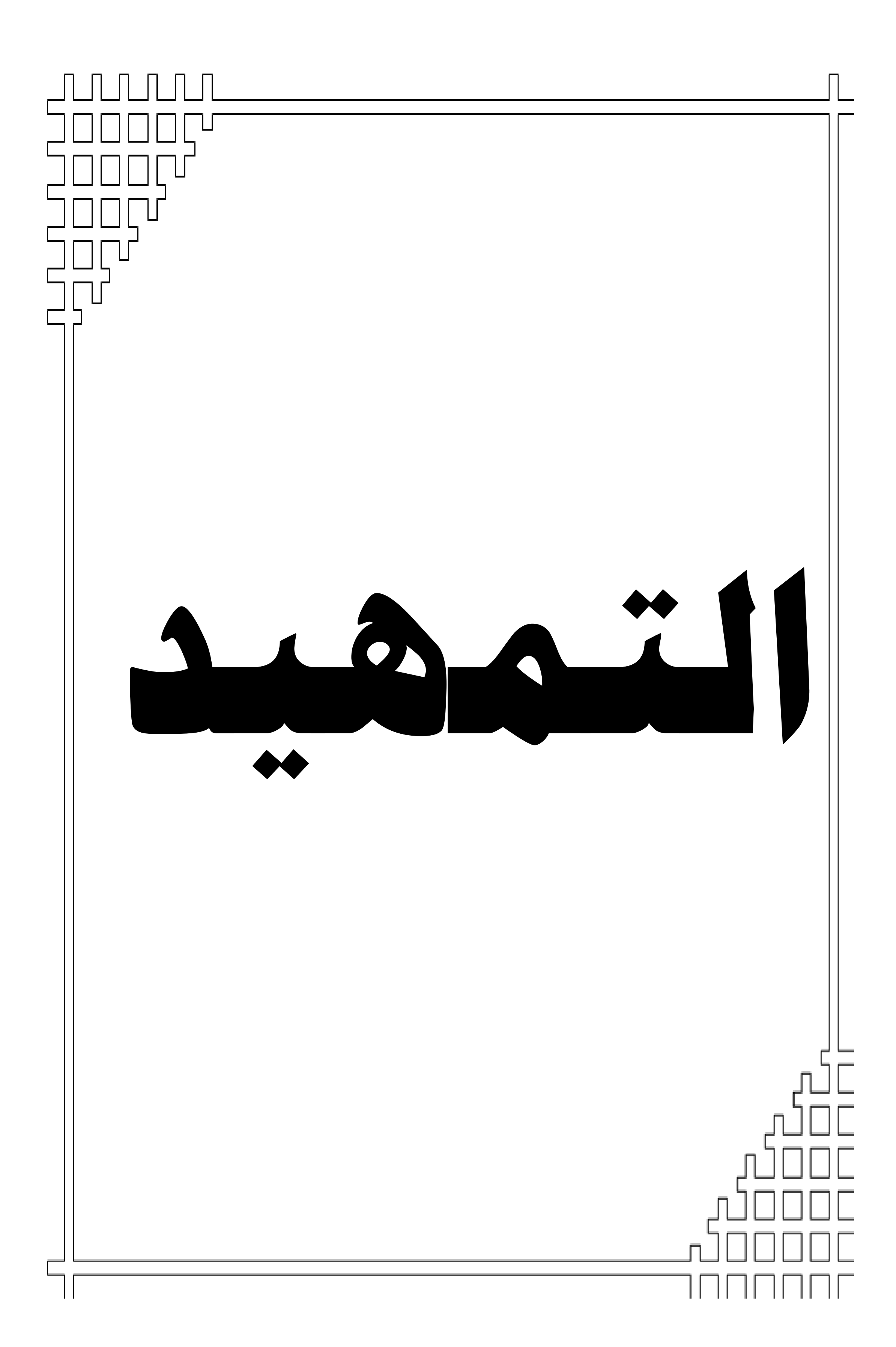
ومن المصادر التي أثرت الدِّراسَة –أيضًا- كتاب (مختصر التاريخ) للكازروني (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، وكتاب (مختصر أخبار الخلفاء) لابن الساعي (ت: ٦٧٤هـ/١٢٧٦م)، فقد أمدا الدِّراسَة بمادة علمية فيما يخص بغداد، وكذا خيانة الوزير ابن العلقمي.

كما خدمت الدِّراسَة عدد من المصادر بمعلومات وافرة؛ لكونها معاصرة، مثل: كتاب (الفخري في الآداب السلطانية) لابن طباطبا (ت: ٧٠٩هـ/١٣٠٩م).

ويعد كتاب (الحوادث الجامعة) لابن الفوطي (ت: ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) من المصادر التي خدمت الدِّراسَة بصورة كبيرة فيما يخص بغداد، خاصة أن مؤلفه كان من الأسرى عند سقوط بغداد.

ويعدُّ كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) من المصادر المهمة والغنية بالمعلومات الوافية عن الجانب المغولي أو الجانب الإسلامي طوال مدة الغزو.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها في فصول بحثي كافة مؤلفات الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، وهي: ("تاريخ الإسلام) و(العبر في خبر من غبر) و(دول الإسلام) و(سير أعلام النبلاء)، فقد أمدَّت الدِّراسَة بمعلومات وافية عن نكبات الوزراء من حيث أسبابها وأشكال تلك النكبات.



التمهيد

تمهيد

المبحث الأول: منصب الوزارة.

١. نشأة منصب الوزارة.

٢. أنواع الوزارة.

٣. مهام الوزراء في مستهل العصر العباسي.

المبحث الثاني: نكبات الوزراء في العصر العباسي الأول.

المبحث الأول

منصب الوزارة

١- نشأة نظام الوزارة:

لم تكن الوزارة معروفة بوصفها منصبًا من مناصب الدولة سواءً في عهد الخلفاء الراشدين أو الأمويين، بل استحدثت في عهد العباسيين، يقول ابن طباطبا[١]: "إن الوزارة لم تمهّد قواعدها وتقرّر قوانينها إلا في دولة العباسيين، فأمّا قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أن استشار ذوي الآراء الصائبة فكل منهم يجري مجرى الوزير، فلما ملك بنو العباس تقرَّرت قوانين الوزارة، وسُمِّي الوزير وزيرًا وكان قبل ذلك يُسمَّى كاتبًا أو مشيرًا".

أمَّا عن نشأة الوزارة في الإسلام، فإنها لم توجد بهذا الاسم في بدء عهد الدولة الإسلامية، لكن وجد معناها ووظيفتها على وجه ما، وفي ذلك يقول ابن خلدون[٢]: "وما زال الأمر في الدول قبل الإسلام هكذا حتى جاء الإسلام وصار الأمر خلافة، فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك"، ويمكننا القول بأن كلمة وزير عربية الأصل[٣]، هذا بالإضافة إلى أن اللغويين العرب أجمعوا على أن الكلمة عربية الأصل[٤].

---

(١) ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، حققه وضبطه وشرحه: عبد القادر محمد مايو، ط١، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص١٥٠.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، (٢٩٥/١).

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف، القاهرة – مصر ١١١٩م، (٨٠/٦).

(٤) اختلف اللغويون والمؤرخون في اشتقاق لفظ الوزارة، فيقول بعضهم: إنها حَبَأُ الملك الذي يحمل أثقاله ويعنيه برأيه وتدبيره. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر- بيروت، ١٤١٤هـ، (٢٨٣/٥). الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (٣٦٠/١٤). ويرى البعض أنها مشتقة من الوزر وهو الملجأ، وأصل الوزر الجبل المنيع وكل معقل وزر، وفي القرآن الكريم: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ سورة القيامة، آية: (١١). ومعنى الآية لا شيء يُعتصَم فيه من أمر الله.=

فكلمة وزيرٍ كانت معروفةً للعرب قبل الفتوحات الإسلامية، لكنها لم تستعمل بمعناها الاصطلاحي الذي تُعرَف به الآن، وهو الدلالة على منصب كبير بل أكبر مناصب الدولة، إنما كانت تستعمل للدلالة على وصف من الأوصاف يعني المؤازر المناصر،(١) ففي القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام،(٢) كما ورد ذكرها -أيضًا- بعد ذلك في بعض الأحاديث النبوية(٣).

ويمكننا القول بأن عمل الوزير كان في بادئ الأمر يتمثل في الاستشارة في شؤون الدولة، فكان الرسول ﷺ يستشير كثيرًا من الصحابة فيما يُعرَض له من أمور عامة وخاصة(٤).

=القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (دط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، (٤٢١/٥).

*على حين يرى البعض الآخر أنها مشتقة من الوزر وهو الثقل، فإن الوزير يحمل عن الملك أثقاله، ومن قوله تعالى: (حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) القرآن الكريم،سورمحمد، آية: (٤). الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ-١١٤٣م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، (٣٣١/٢).

(١) ابن منظور، لسان العرب (٢٨٣/٥).

(٢) (وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى) القرآن الكريم، سورة طه، آية:(٢٩).

(٣) وقد وردت الأحاديث في وزراء الملوك، روى أبو داود عن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله -ﷺ: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ". السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م. (١٩٣/٢).

وهناك إشارات أخرى لكلمة وزير في بعض الأشعار العربية، فقد وردت الكلمة في شعر لأبي ذؤيب الهذلي، وهو شاعر جاهلي إسلامي. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، الشعر والشعراء، (د. ط)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، (٨٦٠/٢).

(٤) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، (١٢١/٣).

وظل عمل الوزير يتمثل في الاستشارة في مهام الدولة بعد وفاة الرسول ﷺ، ففي يوم سقيفة بني ساعدة[1] ظهر لفظ الوزارة بما يتضمنه من معاني الاستشارة وأخذ الرأي، حين اجتمع المهاجرون والأنصار للتشاور في أمر الخلافة، فقال الأنصار للمهاجرين: الإمامة فينا وفيكم منا أمير ومنكم أمير، وقالت قريش: نحن عشيرة رسول الله ﷺ والإمامة في قريش دون غيرهم، ونحن الأمراء وأنتم الوزراء[2].

وقد اتبعت هذه السياسة في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، فكان لكل منهم ناصحون ومشيرون ولكن لم يُلقَّب أحد منهم بلقب وزير، فيذكر السيوطي[3] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان وزير أبي بكر الصديق ﷺ، وأن مروان بن الحكم[4] كان وزير عثمان بن عفان ﷺ، غير أن أحدًا من هؤلاء لم يلقب بلقب وزيرٍ. وكان أبو بكر الصديق ﷺ يستشير أصحابه ويستعين بهم خاصة عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان يقوم بأعمال القضاء وتوزيع الزكاة والصدقات، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يستشير أصحابه ويخص عليَّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان -رضي الله عنهما- ببعض الأمور ويستعين بهما في كثير من الشؤون. فلما قامت الخلافة الأموية، وكثرت الأعباء الملقاة على كاهل الخلفاء[5] أصبحوا بحاجة إلى من يستشيرونه ويستعينون به في سياسة دولتهم وقد عرف الأمويون الكتابة وكانوا يطلقون على القائم بها كاتبًا أو مشيرًا[6].

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر - بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، (١/٥٨٠).

(٢) البخاري، مُحَّد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي(ت٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، تحقيق: مُحَّد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، (٥/٦).

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: مُحَّد محي الدين عبد الحميد، ط١، السعادة، مصر، ١٣٧١هـ/ ص ١٩٣.

(٤) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك القرشي، يكنى أبا القاسم، ولد بمكة، وكان ذا شهامة، وشجاعة، ومكر، ودهاء، توفي في رمضان، سنة ٦٥هـ/٦٧٦م. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (٢/ ٤٧٩).

(٥) ابن خلدون، العبر، (١/٢٩٥).

(٦) السيوطي، حسن المحاضرة، (٢/٢٢٠).

ولكن خلفاء بني أمية كانوا لا يخاطبون كاتبًا لهم بالوزير، فيروي الطبري[١] أن زيادًا[٢] كان يُسمَّى وزير معاوية بن أبي سفيان ﷺ[٣]، كما يذكر السيوطي[٤] أن روح بن زنباع[٥] كان وزيرًا لعبد الملك بن مروان، وأن عمر بن عبد العزيز كان وزيرًا لسليمان بن عبد الملك، وكان الفارق بين الذين وكل إليهم أمر الاستشارة في عهد الراشدين والأمويين، أن المستشار أو الناصح كان شخصًا معنيًا في عهد الأمويين كعمر بن عبد العزيز[٦]، ورجاء بن حيوة في أيام سليمان بن عبد الملك[٧] [٨]، أمَّا في عهد الخلفاء الراشدين فلم يكن شخصًا معينًا وإنما كان يستشار كبار الصحابة[٩].

وممَّا يدلُّ على شيوع لفظ الوزير في عهد الأمويين ما يرويه المسعودي[١٠] من أن بعض

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٢٦/٦).

(٢) زياد بن عبيد الثقفي، وهو زياد بن سمية، يكنى أبا المغيرة، ولد عام الهجرة، وأسلم زمن أبي بكر الصديق ﷺ. ثم كان كاتبًا لأبي موسى الأشعري زمن إمرته على البصرة. وكان من نبلاء الرجال رأيًا، وعقلًا، وحزمًا، ودهاءً، وفطنة. كان يُضرَب به المثل في النبل والسؤدد. وكان كاتبًا بليغًا. كتب -أيضًا- للمغيرة، ولابن عباس، وناب عنه بالبصرة فأصابه حينئذ طاعون في سنة٥٣هـ /٦٧٣م فمات. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤/ ٤٩٦).

(٣) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، أبو عبد الرحمن، أسلم يوم الفتح. بويع معاوية بالخلافة في ربيع الأول سنة ٤١هـ/٦٦٠م، حدَّث عن النبي -ﷺ- وكتب له مرات يسيرة. عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة. توفي في رجب، سنة ٦٠هـ/٦٧٩م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٦٢/٢).

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة (٢ /١٢٥).

(٥) الأمير روح بن زنباع بن روح بن سلامة أبو زرعة الجذامي، الشريف، كان سيد قومه. توفي سنة ٨٤هـ/٧٠٣م..الذهبي: سير أعلام النبلاء(٤/ ٢٥٢).

(٦) عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، الإمام، الحافظ، العلامة، المجتهد، الزاهد، العابد، السيد، أمير المؤمنين، أبو حفص، وكان من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين مات يوم الجمعة، سنة ١٠١هـ/٧١٩م بدير سمعان. الذهبي، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٤).

(٧) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة، أبو أيوب. بويع بعد أخيه الوليد سنة٩٦/٧١٥م. وكان دينًا، فصيحًا، مفوهًا، عادلًا، محبًّا للغزو، مات سنة ٩٩هـ/٧١٧م وصلى عليه عمر بن عبد العزيز. وقيل: عاش أربعين سنة، وخلافته سنتان وتسعة أشهر وعشرون يومًا. الذهبي: سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٦).

(٨) السيوطي، حسن المحاضرة، (١٩٣/٢).

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٨/٦).

(١٠) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، القاهرة – مصر، (٤/ ١٧٨).

شيوخ بني أمية سُئلوا بعد زوال ملكهم عن السبب في ذلك، فقالوا: "إنا شُغِلْنَا بِلَذَّاتِنَا عن تفقدِ ما كان تَفَقده فَظَلَمْنَا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا، ووثقنا بوزرائنا، فآثَرُوا مرافقهم على منافعنا، وَأَمْضوْا أمورًا دوننا أَخْفَوْا علمها عنا".

وقد علت مرتبة الكتابة في عهد الأمويين، وظهر بعض أعلام الكتاب في أيامهم من أمثال عبد الحميد الكاتب(١)، وكانت أعمال هؤلاء الكُتَّاب نقطة تحوُّل من الكتابة إلى الوزارة في عهد العباسيين(٢).

وهكذا تطورت وظيفة الكتابة التي سادت في العهد الأموي إلى نظام الوزارة في عهد العباسيين.

ظهرت الوزارة كمنصب من مناصب الدولة في العصر العباسي، وارتبط نظامها منذ نشأته بنظام الخلافة، وكانت سلطات الوزير في العصر الإسلامي -بعد رسوخ نظام الوزارة- واسعة ونفوذه أقوى ممَّا كان عليه في العصر الساساني(٣)، فضلاً عن أن الوزارة كانت موجودة عند بعض الأمم، كاليونان والرومان(٤)، كما كانت موجودة في بعض الممالك العربية قبل

---

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد الأنباري أبو يحيى العلامة، البليغ، سكن الرقة، وتنقل في النواحي، ومجموع رسائله نحو من مائة كراس. ويقال: افتتح الترسل بعبد الحميد، وختم بابن العميد. خدم مروان، قال عبد الحميد: إذا أردت أن يجود خطك، فأطل جلفة قلمك، وأسمنها، وحرف قطتك، وأيمنها. قتل: في آخر سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، (٥/ ٤٦٢).

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، (٢/١٩٣).

(٣) الإمبراطورية الساسانية EmpireSassanid يرجع تسمية الساسانيين الى الكاهن الزرادشتي أسست من قبل الملك أردشير الأول بعد هزيمة ملك البارثيين الأخير أرتبانوس الرابع، وانتهت عندما حاول ملك الدولة الساسانية الأخير يزدجر الثالث (٦٣٢ / ٦٥١م) مكافحة الخلافة الإسلامية وكانت أرض الإمبراطورية الساسانية أحاطت كل إيران اليوم، العراق، أرمينيا، أفغانستان، الأجزاء الشرقية من تركيا وأجزاء من سوريا، باكستان، أرض القوقاز، آسيا الوسطى. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١/٥٦٨).

(٤) تعد الحضارة الرومانية أو روما القديمة من أعظم حضارات أوروبا بعد الحضارة الإغريقية. وكانت تبسط سيطرتها على جميع شبه جزيرة إيطاليا جنوبي ما يعرف الآن بفلورنسا، وكان ذلك عام ٢٧٥ ق. م. وخلال القرنين التاليين تمكَّن الرومانيون من بناء إمبراطورية امتدت لما يعرف الآن بأسبانيا حتى جنوبي أوروبا عبر الساحل الشمالي لإفريقيا، وضموا فيما بعد كل ما تبقى من أوروبا إلى إمبراطوريتهم. المسعودي، التنبيه والإشراف، (د. ط) مطبعة بريل ١٨٩٣م، دار صادر، ص٢٩٤.

الإسلام[1].

وأصبح منصب الوزارة دائمًا، حيث قال أحد الباحثين: وصارت وظيفة الوزير دائمة ولازمة[2].

فالوزارة لم تُحدَّد معالمها وتتضح خصائصها منذ أن لقب أبو سلمة الخلال[3] بوزير آل مُحمَّد، وكان أول من وقع عليه لقب وزيرٍ[4].

وبعد مقتل أبي سلمة الخلال عين بدلاً منه خالد بن برمك[5]، لكنه لم يُلقَّب بلقب وزير على الرغم من أنه كان يعمل عمل الوزراء، وتتابع الوزراء بعد ذلك، ومنهم من رفض التلقب بلقب وزير مكتفيًا بلقب كاتب الخليفة[6].

وصفوة القول أن العباسيين في بداية عهدهم لم يحددوا سلطات الوزير ومجال نفوذه بصورة واضحة، إنما اقتصر الأمر على وضع أساس نظام الوزارة ثم أخذ هذا النظام يتطور تدريجيًا، حيث أصبح الوزيرُ في أواخر العصر العباسي الأول يشرف على جميع الرسائل الرسمية، فضلاً عن إيرادات الدولة ومصروفاتها، ويختص إلى جانب ذلك بتعيين الموظفين وعزلهم، وإبداء المشورة

---

(١) ويشير إلى ذلك قائلاً: إن العرب كانت تسمى وزير الملك من ملوك اليمن والشام والحيرة الراهن والزعيم والكافي والكامل، تريد بذلك أنه مرتهن بالتدبير، زعيم بصواب الرأي، كاف للملك مهمات الأمور، كامل الفضائل. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٩٤.

(2) Goitein: The origin of the Vizierate and its true character, Islamic culture, 1942,16,p257.

(٣) حفص بن سليمان أبو سلمة الكوفي المعروف بالخلال، مولى السبيع من همدان، كان من دعاة بني العباس وكان يعرف بوزير آل مُحمَّد، وهو أول من وقع عليه اسم الوزير في الإسلام، قدم الحميمة من أرض الشراة، وكان أبو العباس يأنس به؛ لأنه كان ذا مفاكهة حسنة، ممتعًا في حديثه، أديبًا عالمًا بالسياسة والتدبير، وكان ذا يسار وأنفق أموالًا كثيرة في إقامة الدولة العباسية. الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م، (٦١/١٢).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٤٥٠/٧).

(٥) خالد بن برمك، أبو العباس وزير العباس، ووزر خالد للمنصور نحوًا من سنتين ثم عزله واستوزر أبا أيوب المورياني وعقد لخالد بن برمك على إمرة فارس، وقيل: إن الدفاتر في الدواوين كانت صحفًا مدرجة، فأول من جعلها دفاتر جلودًا وقراطيس خالد بن برمك، ويقال: إن أحدًا من ولده ما بلغ مبلغه من الفضائل، وكان من كرمه يكرم نزل من يقدم عليه ويتعاهده بأنواع التحف، توفي سنة ١٦٥هـ/٧٨٢م. الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٥٠/١٢).

(٦) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٣٩.

للخليفة[1].

ولم يُحدث العباسيون في بداية عهدهم تغييرًا جوهريًا في نظام الوزارة، لكن وجود هذا المنصب واشتراك الفرس في إدارة شؤون الدولة وظهور الوزراء العظام، أدَّى إلى استقرار ذلك النظام الجديد.

٢- أنواع الوزارة:

صاغ بعض فقهاء المسلمين في ضوء الأحكام الشرعية للخلافة قواعد الوزارة، وأبرزهم في هذا المجال – الماوردي[2] – الذي قسم الوزارة إلى نوعين، هما: وزارة التفويض، ووزارة التنفيذ. وسأقدِّم فيما يلي تعريفًا لكل وزارة على حدة.

فوزارة التفويض يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه، ومن حقه أن يسمح للوزير بجمع السلطة في يده وممارسة سلطاته.

ذلك أن الخليفة عليه مسؤوليات جسام تقتضي الإشراف على مهام الدولة، ولذلك فهو بحاجة إلى انتداب بعض رجال الدولة لمعاونته، ومن ثمَّ فإن اشتراك الوزير معه في الرأي يزيده قوة ويبصره بالصواب، ويساعده على تجنب الوقوع في الخطأ، فقد ذكر الماوردي أن نيابة الوزير أصح في تنفيذ الأمور من انفراد الخلفاء بها، لأنَّ ذلك يبعدهم عن الوقوع في الخطأ.[3]

ومن الشروط التي يجب توافرها في وزير التفويض، العلم والاجتهاد والثقافة السياسية والحربية والإدارية، والعدالة والأخلاق الفاضلة، وأن يكون ممن يتولَّ هذا المنصب من أهل الولاية الكاملة، أي: أن يكون مسلمًا، حرًا، ذكرًا، بالغًا، عاقلاً، وفضلاً عن ذلك فإنه يجب أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل إليه من أمري الحرب والخراج، ولا تصح ولاية هذه الوزارة إلا بعقد وصيغة معينة، فهي لا تتم إلا بتقليد صريح اللفظ، استنادًا إلى قول الماوردي[4]: "بأن

---

(١) مسكويه، أبو علي أحمد بن مُحَمَّد، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، (٢/٤٢١).

(٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية، (د. ط)، دار الحديث – القاهرة، ص٥٠.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥٠.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥٠.

العقود لا تصح إلا بالقول الصريح".

أمَّا عن اختصاص وزير التفويض فإن له سلطة استقلالية، وولايته عامة في كل الأمور والأعمال، ليس فقط من حيث التنفيذ أو الأداء ولكن من حيث حق النظر أيضًا، والفصل في الأمور برأيه، فهو يصدر أحكامًا وفق اجتهاده فيما توجبه الشريعة، وله حق التولية والعزل باسم الخليفة ولكن ليس له الحق في عزل أي موظف يعينه الخليفة بدون الرجوع إلى رأيه، كما أن من حقه النظر في المظالم والإنابة فيها ويجوز له أن يباشر تنفيذ الأمور التي دبرها وأن ينيب عنه من ينفذها. وليس لوزير التفويض الحرية المطلقة في تدبير أمور الدولة، بل عليه أن يطلع الخليفة على خطته في إنجازها، كما أن على الخليفة أن يتصفح إهمال الوزير ليقر الصواب ويستدرك ما خالفه.[١]

ولما كان وزير التفويض يقوم مقام الخليفة فإنه لا يصح أن يكون هناك أكثر من وزير، وفي ذلك يقول الماوردي[٢]: "ولا يجوز أن يقلد وزيري تفويض على الاجتماع؛ لعموم ولايتهما، كما لا يجوز تقليد إمامين؛ لأنهما ربما تعرضا في العقد والحل والتقليد والعزل، ويجوز للخليفة أن يقلد وزيرين: وزير تفويض ووزير تنفيذ". فيكون لوزير التفويض مطلق التصرف، أمَّا وزير التنفيذ فيكون عمله مقصورًا على تنفيذ أوامر الخليفة.

ومن أشهر وزراء التفويض في العصر العباسي الأول يحيى بن خالد البرمكي[٣]، وليس أدل على مدى سلطته عن قول هارون الرشيد[٤] له حين ولاه الوزارة: "قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥٥.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥٥.

(٣) يحيى البرمكي، هو الوزير يحيى بن خالد بن برمك، أبو علي. كان المهدي قد ضم إليه هارون الرشيد وجعله في حجره، فأحسن سياسته وأدبه، فلما استخلف نوه بذكره ورفع محله، فكان إصدار الأمور وإيرادها إليه. مات يحيي سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م في حبس الرقة، وله سبعون سنة. الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م، (٤/٩٩٩).

(٤) هارون الرشيد، هارون بن مُحَّد بن عبد الله بن مُحَّد بن العباس بن عبد المطلب، أمير المؤمنين الرشيد بن المهدي بن المنصور؛ ولد سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م كان شجاعًا كثير الحج والغزو، حج في خلافته ثماني حجج، وغزا ثماني غزوات، وكان في أيامه فتح هرقلة. توفي بطوس في جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م، وله ست وأربعون سنة وكانت مدة خلافته ثلاثًا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يومًا. ابن شاكر، مُحَّد بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر - بيروت، ١٩٧٣م، (٤/٢٢٥).

من رأيت، وامض الأمور على ما ترى"[١].

ومن وزراء التفويض -أيضًا- الفضل بن سهل[٢] الذي تولى وزارة الخليفة المأمون[٣]، فقد منحه المأمون سلطات واسعة وسماه ذا الرياستين[٤]، ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير، ولم يكن ذلك الجمع لوزير سابق، وقد عبر المأمون عن مدى إجلاله للفضل في التوقيع الذي كتبه له بخطه في عام ١٩٦هـ/٨١٢م[٥]، ومنح أخاه الحسن بن سهل بعد ذلك بعض التفويضات، وكانت دولة بن سهل على ما قاله ابن طباطبا[٦]، "في جبهة الدهر غرة، وفي مفرق العصر درة، وكانت مختصر الدولة البرمكية".

أمّا وزارة التنفيذ فتلي وزارة التفويض في المرتبة[٧] وحكمها أضعف،وشروطها أقل،ألا أن النظر فيها مقصور على رأى الخليفة وتدبيره، فوزير التنفيذ وسيط بين الإمام وبين رعاياه وولائه وعليه تنفيذ أوامر الخليفة.

ولما كان هذا الوزير ليس له حق النظر المستقل،أي أنه ليس له الحق أن يعين أو يقلد الولاة، لذلك فإن تعيين وزير التنفيذ في منصب الوزارة لا يتطلب الإجراءات التي تتبع عند تعيين وزير التفويض[٨]، وفضلاً عن ذلك فإنه لا يشترط فيه العلم بالأحكام الشرعية لأنه ليس

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٥٠/٨).

(٢) الفضل بن سهل أبو العباس السرخسي أخو الحسن بن سهل، أسلم على يد المأمون سنة ١٩٠هـ /٨٠٥م، كانت له فضائل وكان يلقب ذا الرياستين؛ لأنه تقلد الوزارة والسيف وكان يتشيع، وكان من أخبر الناس بعلم النجامة وأكثرهم إصابة في أحكامه، توفي سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م. الصفدي: الوافي بالوفيات، (٣٢/٢٤).

(٣) أمير المؤمنين المأمون، عبد الله بن هارون أبو العباس المأمون بن الرشيد بن المهدي؛ ولد سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، وتوفي سنة ٢١٨هـ /٨٣٣م، وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر. ابن شاكر: فوات الوفيات، (٢/ ٢٣٥).

(٤) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م) تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (٣٣٩/١٢).

(٥) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٣م)، الوزراء والكتاب، ط١، (د، ت)، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص ٣٠٦.

(٦) الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٠١.

(٧) ابن خلدون، العبر، (١/ ١٨٨).

(٨) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦٢.

مطلقًا بأن يقضي برأيه وإنما يجب أن يتصف بالأمانة والصدق[1] والذكاء والفطنة، فضلاً عن أنه يجب ألا يكون بينه وبين الناس عداوة أو نزاع. ويجوز للخليفة أن يعين وزيرَ تنفيذٍ أو أكثر، كما أنه يجوز أن يكون وزير التنفيذ من أهل الذمة وهذا لا يجوز في وزارة التفويض بأي حال من الأحوال. [2]

والواقع أن الشروط التي يجب توافرها في هذه الوزارة تنطبق على الوزراء في عهد الخليفة المهدي[3]، فقد كانت الوزارة في عهده أقرب إلى التنفيذ منها إلى التفويض، فقد اشتهر المهدي بالتدقيق في كل الأمور،[4] وكان يجلس للمظالم ويتدخل في اختيار الولاة، بل كان يعزل الوزراء إذا شعر بانحرافهم، ولم يدع وزراءه ينفردون بالتصرف في أموال بيت المال، بل كان يتدخل في جباية إيرادات الدولة ويشرف على مصروفاتها، وأنشأ ديوان الأزِمة[5]؛ للإشراف على سائر دواوين الحكومة ومراقبة إيرادات والمصروفات، كذلك كان يخرج على رأس جيوشه للقتال أو يولي ابنه هارون الرشيد القيادة[6].

ومن الخلفاء الذين اتخذوا وزراء تنفيذ -أيضًا- الخليفة المأمون، فلم يكن وزراؤه بعد الفضل بن سهل وأخيه الحسن وزراء تفويض وإنما كانوا وزراء تنفيذ، بمعنى أنه لم يكن لهم استقلال بالأمور؛ إذ كان المأمون يدبِّر أمر دولته بنفسه؛ حتى لا يستفحل نفوذ الوزراء كما حدث في عهد أبيه الرشيد مع البرامكة، وفي عهد أخيه الأمين مع الفضل بن الربيع[7] وفي عهده مع الفضل بن سهل[8].

---

(١) الثعالبي، تحفة الوزراء، ص٢٦٢.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦٢.

(٣) أمير المؤمنين المهدي، مُحَمَّد بن عبد الله، بن المنصور، ثالث خلفاء بني العباس؛ ولد سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م؛ كان جوادًا ممدحًا، مليح الشكل محببًا إلى الرعية، وكان ملكه عشر سنين وشهرًا ونصفًا، مات في سنة ١٩٩هـ/٨١٤م، وعاش ثلاثًا وأربعين سنة. (ابن شاكر، فوات الوفيات، ٤٠١/٣).

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٦٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٣٤٢/٦). الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٦٦.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٤٠.

(٧) الفضل بن الربيع بن يونس الأمير،كان أبوه حاجب المنصور. وكان من رجال العالم حشمة، وسؤددًا، وحزمًا، ورأيًا. قام بخلافة الأمين، وساق إليه خزائن الرشيد، وسلم إليه البرد والقضيب والخاتم، مات: سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٠/ ١٠٩).

(٨) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٠٥.

ومن أشهر وزراء التنفيذ في عهد المأمون أحمد بن أبي خالد وكان من الموالي، وعلى جانب كبير من رجاحة العقل، كما كان كاتبًا فصيحًا بصيرًا بالأمور،[١] وقد استشاره المأمون في تولية طاهر بن الحسين[٢] على خراسان، فصوب هذا الرأي وضمن هذا التعيين على أن طاهرا ما لبث[٣] أن قطع الخطبة للمأمون لأمور أنكرها عليه الخليفة، فهدد المأمون وزيره؛ لأنه أشار عليه بتولية طاهر، وصمم على التخلص منه إن لم يعمل على القضاء على هذا الخارج، ومن وزراء التنفيذ -أيضًا- في عهد المأمون الوزير أحمد بن يوسف، وكان من الموالي كما كان كاتبًا أديبًا شاعرًا عالمًا بأمور الدولة[٤].

وهناك فروق بين وزارتي التفويض والتنفيذ من ناحية شروط الاختصاص والتقليد، فمن ناحية الاختصاص ينفرد وزير التفويض بالأمور الآتية: مباشرة الحكم والنظر في المظالم، وتقليد الولاة، وتسيير الجيوش، وتدبير الحروب، والتصرف في أموال بيت المال[٥].

ومن ناحية التقليد، فهناك أمور يجب مراعاتها في وزير التفويض بينما لا يجب توافرها في وزير التنفيذ، ومنها: الإسلام، والعلم بالأحكام الشرعية، والمعرفة بأمري الحرب والخراج[٦].

على أن الأمر الجدير بالذكر أن الوزارة في أوائل العصر العباسي كانت أقرب إلى التنفيذ منها إلى التفويض، ففي عهد أبي جعفر المنصور[٧] لم تكن الوزارة طائلة لاستبداده واستغنائه

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٠٥.

(٢) طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعي الأمير، مقدم الجيوش، ذو اليمينين، أبو طلحة الخزاعي، القائم بنصر خلافة المأمون، وكان شهمًا، مهيبًا، داهية، جوادا، ممدحًا. عالمًا، خطيبًا، مفوهًا، بليغًا، شاعرًا،، مات سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، (١٠٩/١٠).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٥٧٧/٨).

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٠٦.

(٥) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٦.

(٦) ابن الفراء، القاضي، مُحَمَّد بن الحسين بن مُحَمَّد بن خلف (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: مُحَمَّد حامد الفقي، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م، ص١٦.

(٧) أمير المؤمنين، المنصور عبد الله بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب العباسي، عهد إليه بالخلافة أخوه أبو العباس، كان من أفراد الدهر حزمًا ورأيًا ودهاء، وكان حريصًا على جمع المال، كان يلقب أبا الدوانيق؛ لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات، وكان شجاعًا مهيبًا، تاركًا للهو واللعب، كامل العقل، توفي سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م. الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٢٢/١٧).

برأيه وكفاءته ومع ذلك فكان يشاور في مختلف الأمور، وله هيبة تصغر لها هيبة الوزراء، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف، فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق(١).

وهناك من الخلفاء من عرف بالحزم والقوة ومع ذلك فوض وزراءه في تصريف شؤون الدولة، مثل هارون الرشيد الذي فوض أمور الوزارة ليحيى بن خالد البرمكي، ولم يكن هذا نتيجة لاستبداد يحيى بالأمور دونه، ولكن باختيار هارون الرشيد نفسه(٢).

وعلى الرغم من السلطات التي مُنحَت لبعض الوزراء فإن الخلفاء احتفظوا بمكانتهم كما أن هيبتهم لم تنتقص، وظلت لهم الكلمة العليا في إدارة شؤون الدولة، حتى في حالة كون وزرائهم وزراء تفويض، فقد كانت قوة الخلفاء في العصر العباسي الأول تحد من سلطة الوزراء وكان الوزير عرضة للعزل إذا حاول أن يظهر سلطانه أو يتخطى الحدود المرسومة له، وإن كان هذا الوضع قد تغير في أواخر هذا العصر(٣).

٣- مهام الوزراء في مستهل العصر العباسي:

إذا تتبعنا أعمال الوزراء في مستهل العصر العباسي، نجد أن معظمهم قاموا بأعمال جليلة ونافعة، كان لها أثر كبير في النهوض بالدولة.

يبين ابن خلدون(٤) مكانة الوزير وأعماله أيام العباسيين بقوله: "فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت، عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد وجعل له النظر في ديوان الحسبان لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات في الجهد، فاحتاج إلى النظر في جمعه وتفريقه وأضيف إليه النظر فيه، ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون أسوار السلطان، ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور، وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذياع والشياع دفع إليه، فصار اسم الوزير جامعًا لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة".

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٤٤).

(٣) المسعودي، مروج الذهب، (٢/٢٨٢).

(٤) ابن خلدون، العبر، (١/ ١٨٨).

تعددت سلطات الوزير فكان يقضي باسم الخليفة في جميع شؤون الدولة المدنية والحربية، وهو الواسطة بينه وبين رعاياه يسدي له المشورة والنصح، ويكتب الرسائل إلى الجهات المختلفة، ويوقع على ما يرفع إليه من أوراق، وله الحق في تولية العمال إلى جانب اشتراكه في نظر المظالم. كما أنه لم يتعدد الوزراء في الدولة العباسية بتعدد الأعمال، فيُخصَّص للحرب وزير وللمال وزير وما إلى ذلك، وإنما كان الوزير يشرف على الشؤون الحربية والمدنية[١].

ولما كان الوزير مسؤولاً عن الإدارة والجيش والأمن والعدالة فقد كان يراعى في اختياره[٢] أن يكون مثقفًا ثقافة أدبية، ملمًّا بكتابة الإنشاء والمراسلات، خبيرًا بأمور السياسة والحرب وأحوال الدواوين، ولذلك فإن أغلب من تقلد الوزارة في هذا العصر وأحوال الدواوين، كان يتميز بالكفاءة العلمية والإدارية، فأبو سلمة كان فصيحًا عالما بالأخبار[٣]، والبرامكة كانوا ذوي مشاركة في كثير من العلوم والآداب[٤]، والفضل بن سهل كان يلقب بذي الرياستين؛ لجمعه بين رياسة السيف والقلم،[٥] وقيل: لأنه تقلد الوزارة والحرب.[٦]

ومن الوزراء الذين كان لهم أثرٌ في النهوض بأمور الدولة في العصر العباسي الأول يحيى بن خالد البرمكي، فقد كانت دواوين الدولة تحت إشرافه مع الوزارة ما عدا ديوان الخاتم الذي أصبح بعد فترة وجيزة تابعًا له كسائر دواوين الدولة[٧]، وكان موظفو الدواوين خاضعين لسلطته مباشرة[٨].

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦١.

(٢) يشير الماوردي إلى أن الخليفة المأمون كتب في اختيار وزير له قائلاً: "إني التمست لأموري رجلاً جامعًا لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه، واستقامة في طرائفه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، إن أؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها. الأحكام السلطانية، ص٥١.

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٣٨.

(٤) ويذكر أن يحيى البرمكي أوصى ابنه جعفرًا قائلاً: يا بني، انتق من كل علم شيئًا، فإنه من جهل شيئًا عاداه، وأنا أكره أن تكون عدوًا لشيء من الأدب. الجهشياري: الوزراء والكتَّاب، ص٢٠٢- ٢٠٣.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٣٢/٢٤).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٨٠/٨).

(٧) كان هذا الديوان يتولاه أبو العباس الطوسي، ثم تولاه يحيى بعد ذلك سنة ١٧١هـ/٧٨٧م. الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٠/٨ – ٥١).

(٨) كان يحيى يقوم بتعيين رؤساء الدواوين والكتَّاب، فقد قلد الفضل بن الربيع ديوان النفقات في سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، وكان من كتَّابه المقرَّبين منصور بن زياد الذي قربه حتى كان يقضي للناس حوائجهم.(الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٧٨- ١٨٩).

كذلك كان الفضل بن سهل وزير المأمون من وزراء الدولة الأوائل الذين تركوا أثرًا في سياسة الدولة في العصر العباسي الأول، فقد منح سلطات مماثلة للسلطات التي اختص بها يحي بن خالد البرمكي في عهد الرشيد، وأشرف على الشؤون المدنية والحربية وكان له حق اختيار معاونيه(١).

وعلى الرغم من أن الخليفة كان الرئيس الفعلي لدواوين الدولة كافة فإن الوزير أصبح بمضي الوقت هو المشرف على هذه الدواوين والمسؤول عن إدارتها، مع احتفاظ الخلفاء بسلطتهم العليا في إصدار الأوامر المتعلقة بإدارة الدولة التي كان الوزير يبلغها إلى الدواوين المختصة، يؤكد ذلك قول ابن طباطبا (٢) عن وزراء الخليفة المهدي، فعلى الرغم من أن وزراءه كانوا ذوي دراية بشؤون الدولة فإن المهدي كان يشاركهم أعباءهم ومسؤولياتهم وكان "ينظر في الدقائق من الأمور".

ومن أهم أعمال الوزير الإشراف على إدارة مالية البلاد، والعمل على الموازنة بين الدخل والخراج، فكانت الأموال لا تخرج من خزانة الدولة إلا بموافقته، ويذكر المسعودي(٣) أن من بين أسباب نكبة البرامكة استبدادهم بأمور الدولة، واحتكارهم أموال الجباية.

كذلك كان الوزير يشترك ببيعة الخلفاء(٤) ويتوافد في هذه المناسبة إلى قصر الخلافة كبار رجال الدولة، ومن بينهم أصحاب الدواوين والقضاة وغيرهم من العمال.

ويحدثنا ابن طباطبا (٥) عن البيعة التي أخذها الربيع بن يونس(٦) للمهدي بعد وفاة المنصور بقوله: "إن المنصور مات محرمًا بمكة سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م، وأن الربيع أخفى أمر وفاته حتى تتم بيعة المهدي، وأنه أجلسه وسنده وأذن لوجوه بني هاشم بالدخول، فلما دخلوا ووقفوا بين يديه وهم يحسبون أنه حي، تقدَّم الربيع إليه كأنه يشاوره، ثم عاد إليهم وقال: أمير المؤمنين

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٢٥٦/٨).

(٢) الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٦٢

(٣) المسعودي، مروج الذهب، (٢٨٢/٢).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٤٩/٣).

(٥) الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥٦.

(٦) الربيع بن يونس بن مُحَمَّد كيسان العباسي، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور ثم وزارته، وحجابة المهدي، وولي ابنه الفضل حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس حجابة الأمين، توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م.(الصفدي، الوافي بالوفيات ٥٨/١٤).

يأمركم بتجديد البيعة للمهدي، فبايع الناس له".

كما أن المهدي أمر وزيره أبا عبيد الله معاوية بن يسار[١] بأخذ البيعة لابنه هارون الرشيد بعد أخيه موسى الهادي[٢]، وفي ذلك يقول الجهشياري: "فحضر دار العامة أبو عبيد الله ومعه أبو العباس الطوسي صاحب الحرس حتى أخذ البيعة على الناس، وهم مسارعون إليها، ومتباشرون بها، وكتب إلى جميع الآفاق بذلك، وعرض الكتب على المهدي، وعرَّفه الخبر، فشكر الله وسر به".[٣]

وعند وفاة المهدي كان الهادي مقيمًا بجرجان[٤]، فقام الربيع بن يونس بأمر البيعة ببغداد[٥] إلى أن قدم موسى الهادي، فقلد الربيع وزارته وتدبير أموره.

كذلك قام يحيى بن خالد البرمكي بدور فعَّال في إقناع الهادي بعدم خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد من بعده[٦]، وتعرض في سبيل ذلك للسجن بل كاد يقتل على يد الهادي لهذا السبب، ولكنه لم يتراجع عن مساندة الرشيد ونصرته على أخيه.

ولم يغفل هارون الرشيد عن موقفه هذا فاتخذه وزيرًا بعد توليه الخلافة، ودفع إليه خاتمه الخاص، ثم سلمه خاتم الخلافة حتى صار بيده الحل والعقد في كل شؤون الدولة[٧].

وكان الوزير ينوب عن الخليفة في الجلوس للنظر في المظالم، كما كان يعرض عليه كثيرًا من الرقاع التي تتضمن حوائج الناس، وما يجدر ذكره أن أصحاب الشكاوى كانوا يكثرون القعود على باب يحيى بن خالد، فإذا ما رآهم لقيهم ببشر وطلاقة، وعمل على قضاء

---

(١) أبو عبيد الله الوزير معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، أحد الرجال حزمًا، ورأيًا، وعبادة، وخيرًا. وكان المهدي يبالغ في إجلاله واحترامه، ويعتمد على رأيه وتدبيره وحسن سياسته، توفي ١٧٠هـ/٧٨٦م.(الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٦٧/٧)

(٢) مموسى بن مُحَّد بن المنصور عبد الله الهاشمي، العباسي. ولي عهد أبيه، فلما مات أبوه تسلم الخلافة، وكان بجرجان، فأخذ له البيعة أخوه الرشيد. وكان أبيض، طويلًا، جسيمًا، كان كوالده في استئصال الزنادقة وتتبعهم، فقتل عدة منهم،توفي الهادي من قرحة. سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م.(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٤٧/٧).

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٥٠.

(٤) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السّهمي.(الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (د. ط. ت)، دار الفكر، بيروت، (١١٩/٢).

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٦٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣٩/٦).

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٥٠/٨).

حوائجهم.

كذلك كان الوزير يقوم باستقبال سفراء الدول قبل أن يحظوا بمقابلة الخليفة ويحاول في هذه المقابلة أن يقف على أحوال البلاد التي قدموا منها وسياسة حكامهم، فيذكر الجهشياري(١) أن وفدًا قدِم على الخليفة المأمون من بلاد الروم فأكرمهم، ولما عادوا إلى بلادهم قال عقلاؤهم(٢): "ما رأينا مثل المأمون جلالاً وعقلاً، ولا رأينا مثل وزيره في سمته وكمال أوصافه"، ومما يذكر عن الفضل بن مروان وزير الخليفة المعتصم بالله(٣) أنه قال: "كانت الرسل من جهة الملوك إذا جاءت بالهدايا، جعل اختلافهم إليَّ"(٤).

ولما أرسل ملك الروم وفدًا لمقابلة الخليفة المعتصم بالله استقبله وزيره ابن الزيات، ولم يتيسر للوفد مقابلة الخليفة إلا بعد أن أذن لهم الوزير بالدخول عليه(٥).

كما كان الوزيرُ يشارك -أيضًا- في الأعمال الحربية للدولة إذا اقتضى الأمر ذلك، وقد اتصف كثير من وزراء هذا العصر بالخبرة العسكرية، فخالد البرمكي كان يتميز بخبرته العسكرية منذ أن كان ملتحقًا بجيش قحطبة بن شبيب في أثناء القيام بالدعوة العباسية، وكان متوليًا لديوان الجند في عهد أبي العباس قبل أن يتقلد وزارته(٦).

كانت خبرة يحيى البرمكي العسكرية لا تقل عن خبرة أبيه، وكان يعتبر قائدًا للجيش في عهد الرشيد بصفته وزيرًا مفوضًا(٧) في جميع شؤون البلاد، ومما يؤكد لنا خبرته في أمور القتال، اشتراكه في إحدى الغزوات مع أبيه خالد في عهد الخليفة المهدي وبلاءه بلاءً حسنًا في تلك

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٤١-١٤٢.

(٢) أبو النجيب، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، (ت: نحو ٥٩٠هـ/١١٩٣م)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى، (د. ط)، مكتبة المنار - الزرقاء، ص٢١٤.

(٣) المعتصم بالله أبو إسحاق مُحَمَّد بن هارون الرشيد بن المهدي مُحَمَّد بن المنصور العباسي البغدادي، توفي سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م،(الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٨/ ٣٢٩).

(٤) ابن الفراء، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، المحقق: صلاح الدين المنجد، ط٢، دار الكتاب الجديد- بيروت، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، ص٦٣.

(٥) ابن الفراء، رسل الملوك، ص٦٩.

(٦) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٨٩.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٨/٥٠).

الغـزوة، يشـير إلى ذلـك الجهشـياري بقولـه[1]: "وأغـزى المهـدي ابنـه هـارون الصـائفة سـنة ١٦٣هـ/٧٧٩م، وأنفذ معه خالد بن برمك، وقلد كتابته ونفقاته وتدبير أمر عسكره يحيى بن خالد، ففتح عليهم، وحسن أثر يحيى فيما قام به، وأحمد فعله، وتدبيره إياه".

كما جمع الفضل بن سهل في عهد المأمون بين السلطتين المدنية والعسكرية، بعد الجهود الكبيرة التي بذلها في سبيل نصرة المأمون على أخيه الأمين[2]، وكـان مـن هـذه الجهـود اختيـاره قادة جيشه وحسن إعداد الجيش بما يلزمه من مال وعتاد[3].

وكـان الـوزير يجمـع إلى جانـب الإدارة الحربيـة والمالية خطـة القلـم، أي: إنفـاذ الرسـائل إلى الجهـات والتوقيـع على مـا يعـرض عليه مـن مطالـب ورسـائل، ولما ازدادت أعبـاء الـوزير في أوائـل العصر العباسي أصبحت الضرورة تستدعى الاستعانة بموظفين يُعهَـد إليهم العمـل في دواويـن الدولة على أن يكونوا تابعين للوزير.

وصـفوة القـول أن سـلطة الـوزراء كانـت تختلـف قـوة وضـعفًا وفقًـا لشخصـيتهم وشخصـية الخلفـاء، وكـان لـوزراء تلـك الفـترة أثرٌ كبـيرٌ في إدارة شـؤون الدولـة، لا يقـلُّ في الأهميـة عـن أثـر الخلفـاء؛ بـل عليـه التنـافس على السـلطة بـين بعـض الـوزراء والخلفـاء وذلـك على الـرغم مـن أن اختصاص الوزير لم تتضح معالمه حتى نهاية العصر العباسي الأول.

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٥٠.

(٢) أمير المؤمنين أبو عبد الله الأمين محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، كان ولي العهد بعد أبيه، وكان من أحسن الشباب صورة، قتل سنة ١٩٨هـ/٨١٤م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٩٢/٥).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٣٨٢/٨).

المبحث الثاني

نكبات الوزراء في العصر العباسي الأول

كان لوزراء العصر العباسي الأول تأثيرٌ واضحٌ في مجريات الأمور داخل الدولة العباسية، واختلف هذا التأثير في عهد كل خليفة عن الآخر، فأبو سلمة الخلال أول وزراء العباسيين أسهم إسهامًا مهمًا في سبيل نجاح الدعوة العباسية، وفوض إليه الخليفة أبو العباس(1) تدبير أمور الدولة، حتى زاد نفوذه بصورة واضحة بعد توليه الوزارة، فيذكر ابن الأثير(2)" أنه كان يظهر الإذلال والقدرة على أمير المؤمنين"، ويروى الدينوري (3)"أنه كان ينفذ الأمور من غير مؤامرة". ُ لكن الخليفةأبا العباس لم يلبث أن غضب عليه؛ لميله إلى العلويين، وكان مصيره القتل بإيعاز من الخليفة أبي العباس (4).

أمَّا عن الوزارة في عهد الخليفة المنصور، فيصفها لنا ابن طباطبا بقوله(5): "لم تكن الوزارة أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته، وكانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف، فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق".

وبناء على ذلك يعلق أحد الباحثين بقوله: فكان الوزراء بجواره قوة تنفيذية فقط تعمل بتوجيهه وإرشاده؛ لأن المنصور حرص على أن يدبِّر الأمور بنفسه، وكان لا يترك الوزير يعمل برأيه بل أن ينهى إليه كل ما يعرض له من أمور الدولة قبل البت فيها(6).

لم يتخذ المنصور في أول عهده وزيرًا، بل اتخذ كاتبًا هو عبد الملك بن حميد يؤكد ذلك الجهشياري بقوله(7): "وقلده كتابته ودواوينه" ثم استوزر بعده أبا أيوب المورياني الذي يصفه

---

(1) الخليفة أبو العباس عبد الله بن مُحَّد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، الهاشمي، العباسي، أول الخلفاء من بني العباس. كان شابًا، مليحًا، مهيبًا، أبيضَ، طويلاً، وقورًا مات في ذي الحجة، سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٧٧/٦).

(2) الكامل في التاريخ، (٥٨/٥).

(3) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د.جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة،١٩٦٠م، ص٢٧٠.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٤١/٩).

(5) الفخري، ص١٥٦.

(6) مُحَّد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، (د. ط) دار مصر للطباعة، ١٩٣٤م، ص١٢٦.

(7) الوزراء والكتَّاب، ص٩٦.

ابن طباطبا بقوله[١]: "كان لبيبًا، بصيرًا بالأمور، عاقلاً فطنًا ذكيًا، فاضلاً كريمًا، غزير المروءة".

منح الخليفة أبو جعفر المنصور وزيره أبا أيوب سلطات واسعة، ويشير إلى ذلك الجهشياري[٢] بقوله: "وقلد المنصور أبا أيوب الدواوين مع الوزارة وغلب عليه غلبة شديدة، وصرف أهله جميعًا في الأعمال"، غير أن المنصور ما لبث أن غضب عليه حين شعر بتعاظم نفوذه، وقتله هو وأقاربه واستصفى أموالهم، ثم استوزر المنصور بعد ذلك الربيع بن يونس – الذي تسبب في إقصاء أبي أيوب المورياني عن منصب الوزارة – وظل وزيرًا له حتى وفاته، ويُعزَى للربيع الفضل في أخذ البيعة للخليفة المهدي عند وفاة المنصور[٣].

ولما ولي المهدي الخلافة، بدأ منصب الوزارة يتخذ مكانته في الدولة، فقد وكل المهدي كثيرًا من الأمور إلى وزراء يدبرونها حسبما يرون، ويبدو أن الذي دعاه إلى ذلك ما كان يتميز به وزيره أبو عبد الله معاوية بن يسار[٤] من كفاءة، ويؤكد ذلك قول ابن طباطبا [٥]: "أن أبهة الوزارة ظهرت في أيامه بسبب كفاءة وزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسار، ففوض إليه الخليفة تدبير أمور الدولة، وعهد إليه بالإشراف على الدواوين"، ومنذ ذلك الوقت بدأت مكانة الوزراء في الظهور.

أثَّر الوزير أبو عبيد الله تأثيرًا واضحًا في سياسة الدولة في خلافة المهدي، وكان الخليفة يشركه معه في نظر المظالم[٦]، كما كان يستقبل الوفود القادمة على الخليفة قبل أن تحظى بمقابلته وقام بأخذ البيعة للرشيد بعد أخيه موسى الهادي[٧]، غير أن الخليفة المهدي غضب

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥٧.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٩٧.

(٣) الإربلي، عبد الرحمن سنبط (ت٧١٧هـ/١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، (د. ط)، مكتبة المثنى، بغداد (د. ت)، ص٨٢.

(٤) أبو عبيد الله الوزير معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، الكاتب، أحد رجال الكمال حزمًا، ورأيًا، وعبادة، وخيرًا. وكان المهدي يبالغ في إجلاله واحترامه، ويعتمد على رأيه وتدبيره وحسن سياسته. وكان من ملوك العدل. توفي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٦٧/٧).

(٥) الفخري في الآداب السلطانية،ص١٦٣.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٦٧/٧).

(٧) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٥٠.

عليه، وعزله عن الوزارة وسجنه وما زال في السجن حتى توفي سنة٢٧٠هـ/٨٢٢م[١] على إثر وشاية الربيع بن يونس به[٢].

اتخذ الخليفة المهدي يعقوب بن داود وزيرًا له — وهو من الموالي— وفوض إليه أمور الدولة[٣] كلها وقدمه على جميع الناس، فعلا شأنه وأظهر انحيازه إلى الزيدية فقربهم إليه[٤]، وولاَّه بعض أمور الخلافة في المشرق والمغرب، وأنشد الشاعر بشار بن برد بذلك في قوله[٥]:

بني أمية هبوا طال نومكم   إن الخليفة يعقوب بن داود

وكان من أثر ازدياد استئثار الوزير يعقوب بن داود وأصحابه بشؤون الدولة أن سيطر على المشرق والمغرب، وأنه يستطيع أن يكتب إلى الزيدية فيثور في يوم واحد على الخليفة العباسي، كما أنه أمر بإطلاق سراح أحد العلويين، فحقد عليه الخليفة المهدي، ثم أمر بحبسه في المطبق[٦]، فلم يزل على ذلك مدة خلافة المهدي ومدة خلافة الهادي حتى أخرجه هارون الرشيد فاقد البصر، وجاور في مكة ولم تطل به الحال حتى توفي سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م.[٧]

لم يُحْدث الخليفة الهادي الذي آلت إليه الخلافة بعد أبيه المهدي أي تغيير في نظام الدولة، فاستوزر الربيع بن يونس الذي قام بأخذ البيع له ببغداد عقب وفاة أبيه[٨].

أن منصب الوزارة أخذت أهميته في الازدياد منذ تولي بعض أفراد أسرة البرامكة هذا

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٧/٦٧).

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٦٤- ١٦٦.

(٣) الوزير الكبير، يعقوب بن داود بن طهمان الفارسي، الكاتب. كان والده كاتبًا للأمير نصر بن سيار في خراسان. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٧/٣٤٤).

(٤) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن مُحَّد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م (١/٢٦١).

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/٤٣٧).

(٦) السجن المطبق؛ لأنه أطبق على من فيه. الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه السيد الشرقاوي، راجعه الدكتور رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م (٥/١٢١).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٧/٣٤٣).

(٨) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٦٧.

المنصب خاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد، وقد أطلق عليهم ابن طباطبا [1] اسم"الدولة البرمكية"، كما وصفها بقوله: "إنها كانت غرة في جبين الدهر وتاجًا على مفرق العصر، ضربت بمكارمها الأمثال، وشدت إليها الرحال، ونيطت بها الآمال".

كان خالد بن برمك أول من دخل في الإسلام من أفراد هذه الأسرة وأسهم في نشر الدعوة العباسية في خراسان[2]، كما اتصل بكلٍ من مُحَمَّد بن علي بن العباس ثم بابنه إبراهيم الإمام، وقاتل من أجل الدعوة تحت راية أبي مسلم الخراساني، ولما ولي أبو العباس الخلافة أسند إليه ديوان الخراج وديوان[3] الجند، ثم استوزره بعد مقتل أبي سلمة الخلال[4].

ولما ولي المنصور الخلافة أقر خالد بن برمك في منصبه وعهد إليه بتنظيم حسابات الدولة، ولكن اختلافًا نشب بينه وبين منافسه الوزير أبي أيوب المرورياني جعله يشي به عند المنصور فعزله وقلده بعض أعمال طبرستان والري وفارس[5]، ثم أسند إليه المنصور ولاية الموصل كما ولَّى ابنه يحيى أذربيجان.[6]

وكان لخالدٍ أثرٌ كبيرٌ في أحداث الدولة السياسية في الفترة التي تولى فيها الوزارة، فتذكر بعض المصادر[7] أنه عمل على تحويل الخلافة بعد المنصور من عيسى بن موسى العباسي[8] إلى المهدي.

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية،ص١٧٩.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٨٧-٨٨. عبد الجبار الجومرد، هارون الرشيد، (د. ط)، شركة المطبوعات، ١٩٩٩م، (١/ ٨٧).

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، الأوائل، ط١، دار البشير، طنطا، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧م، ص٣٤٠.

(٤) ابن دحية، أبو الخطاب عمر، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، صححه: عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، ص٣٨. مُحَمَّد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٦٦م، ص٢١.

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٩٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٦).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٥/١٤). ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥٤.

(٨) عيسى بن موسى بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي ولي العهد، وكان فارسًا، جعله ابوالعباس ولي عهد المؤمنين بعد المنصور، وهو الذي انتدب لحرب ابني عبد الله بن حسن، فظفر بهما، وقتلا، وتوطدت الدولة العباسية به. وقد تحيل عليه المنصور حتى أخَّره، وقدَّم في ولاية العهد عليه المهدي، توفي: سنة ١٦٨هـ/٧٨٥م بالكوفة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٧/٤٢٥).

أمَّا عن أثر يحيى بن خالد البرمكي في سياسة الدولة، فكان المنصور من أشد المعجبين بخصاله وحسن معالجته للأمور، وقال فيه: "ولد الناس ابنًا وولد خالد أبًا"، وأسند إليه ولاية أذربيجان ثم اختاره المهدي ليكون مربيًا[1] لابنه هارون الرشيد سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م، كما أسند إليه الإشراف على إدارة دواوين هارون حين ولاه أبوه المهدي المغرب سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م وظل في منصبه حتى توفي المهدي[2]. ولما ولي الهادي الخلافة أقر يحيى على وظائفه؛ لحسن بلائه في تهدئة الأمور عند وفاة أبيه المهدي وتهيئة الظروف لتوليه الخلافة، غير أن الخليفة الهادي حين شرع في خلع هارون الرشيد من ولاية العهد وتولية ابنه جعفر تصدَّى له يحيى، وبذل جهده ليثنيه عن عزمه، وقال له[3]: "يا أمير المؤمنين، إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم، وجرأتهم على حل العقود التي تعقد عليهم، ولو تركت الأمر في بيعة أخيك بحاله وبويع لجعفر من بعده، كان ذلك أوكد لبيعته"، وبيَّن له خطر هذه السياسة بقوله[4]: "والله والله يا أمير المؤمنين، فإنك إن فعلت هذا وحدث ما نعوذ منه، وثب على هذا الأمر أكابر أهلك، وخرج الأمر من ولد أبيك، والله لو لم يعقد المهدي لهارون الرشيد، لوجب أن تعقد له ليكون في بني أبيك"، وقد أدَّى انحياز يحيى إلى هارون الرشيد إلى حقد الهادي عليه.

ولا غرو فقد عظم مركز يحيى عند هارون الرشيد؛ لنجاحه في نقل الخلافة إليه، واتخذه وزيرًا له،[5] وفوض إليه أمور دولته. وقال له[6]: "يا أبتي، أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك، وحسن تدبيرك، وقد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم بما ترى، واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، وافرض من رأيت، واسقط من رأيت، فإني غير ناظر معك في شيء".

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥٠٩/٧).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٢٥/٦).

(٣) المسعودي، مروج الذهب، (١٦١/٢).

(٤) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٧٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣٩/٦).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥٠٩/٧).

(٦) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٧٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٤٤/٦).

قام يحيى بدور فاعل في إبعاد خصوم الرشيد دون الإساءة إليهم،[1] وكان يستعين بابنيه الفضل وجعفر في تصريف شؤون الدولة، لكنه كان يؤثر الفضل على جعفر؛ لجديته وتعقُّله، فيذكر الجهشياري[2]: "أن الرشيد قال يومًا ليحيى: يا أبي، ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير، ولا يسمون جعفرًا بذلك؟ قال يحيى: لأن الفضل يخلفني".

وكان هارون الرشيد يأنس لجعفر أكثر من أخيه الفضل، فيذكر الجهشياري:[3] "أن جعفر غلب على الرشيد غلبة شديدة، حتى صار لا يقدِّم عليه أحدًا"، ولقد عمل الرشيد على نقل ديوان الخاتم من الفضل إلى جعفر[4] كما أشركه في النظر في المظالم وقلده دور الضرب والطراز والبريد، وكانت توليته على دور الضرب امتيازًا من الامتيازات التي أضيفت إلى البرامكة في ذلك الوقت.[5]

على أن هذا النفوذ الذي تمتع به يحيى بن خالد البرمكي وأسرته لم يستمر طويلاً، فقد انقلب عليهم هارون الرشيد، وتخلَّص منهم؛ يحاولون نقل الخلافة إلى العلويين، فضلاً عن استفحال سلطاتهم، وتبذيرهم لأموال الدولة واستئثارهم بالوظائف [6].

لم تكن نكبة يحيى بن خالد البرمكي وأسرته فجائية كما يتصور البعض، بل كانت بعد تفكير طويل، فالرشيد لم يكن غافلاً عن حقيقة الحال في دولته أن السلطة الفعلية وإدارة الدولة أصبحت في يد البرامكة، وعن تغلغل النفوذ الفارسي في بلاطه ودواوينه وتذمر العرب واستيائهم من ذلك. حتى استعد الرشيد للقبض على البرامكة وحجز أموالهم قبل سنة من إيقاعه بهم[7]، كما أن موقف الرشيد منهم في السنوات السابقة لنكبتهم تدل على شعوره بضرورة التخلص منهم، فصرف مُحَّد بن خالد بن برمك سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م عن حجابته وقلدها الفضل بن الربيع، وولى في السنة التالية علي بن عيسى بن ماهان على خراسان بدلاً

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٨٦.

(٢) الوزراء والكتاب، ص ١٨٩.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٠٧.

(٤) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَّد، وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (د. ط. ت)، دار الثقافة، لبنان، (د. ت)، (٥١٦/١).

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٠٤.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٢٨٩/٨).

(٧) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٣٦-٢٣٧.

من الفضل بن يحيى، كما عزل جعفر بن يحيى عن الحرس وعين بدلاً منه هرثمة بن أعين[١] أحد كبار قواده[٢].

والواقع أن السبب الرئيس الذي نستطيع أن نرجع إليه سبب النكبة هو استبداد البرامكة بأمور الدولة، فقد سيطر يحيى وأولاده على شؤون الدولة، [٣] وغلبوا على أمر الرشيد، وشاركوه في سلطانه، ولقد أثار البرامكة مخاوف الرشيد بسيطرتهم وتعاظم نفوذهم فهم أسرة مؤلفة من أكفاء ونوابغ، ويتصف أفرادها بصفاتٍ حببتهم إلى الجمهور كالجود والكرم وتشجيع العلوم والآداب، ولم يكن الرشيد بالخليفة الذي يتساهل في حقوقه[٤]، بل هو رجل على شيء كبير من الدهاء، فأظهر في بداية خلافته عدم اكتراثه باستئثار البرامكة بالنفوذ، وعوّل في الوقت نفسه على انتهاز الفرص لاستعادة ما أخذوه من سلطته، ثم جاهر باستيائه من استبدادهم بالأمور دونه حين بدأ يتغير عليهم، فيذكر ابن طباطبا[٥] أن الرشيد قال في إحدى المناسبات: "استبد يحيى بالأمور دوني، فالخلافة على الحقيقة له وليس لي منها إلا اسمها".

ومن الملاحظ أن البرامكة لم يتخلوا عن تراثهم ونزعتهم الفارسية في أثناء توليهم مهام الدولة في أيام هارون الرشيد، فلا يستطيع أحد أن ينكر ميل خالد بن برمك لأهل خراسان في أيام أبي العباس، ويؤيد ذلك قول الجهشياري:[٦] "أنه ما أحد من أهل خراسان إلا ولخالد عليه يدٌ ومنّة؛ لأنه قسط الخراج، فأحسن فيه إلى أهله"، كما أن يحيى بن خالد كان يؤثر الفرس على غيرهم، فرشَّح الفضل بن سهل؛ لتولي أمور المأمون أيام الرشيد، وقال له: "في كل أربعين سنة يحدث رجل يجدد الله به دولة، وأنت عندي منهم".

(١) هرثمة بن أعين، الأمير. ولي مملكة خراسان للرشيد. وكان من رجال الدهر ورؤوس الدولة، توفي سنة ٢٠١هـ/٨٠٥م. الذهبي، تاريخ الإسلام، (٢١٢/٥).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٨/ ٣١٤).

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٢٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٢٨٨/٨). الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٦٠/٩- ٦١- ٦٢).

(٥) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٩٠.

(٦) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص٨٧. مُحَّد بديع شرف، الصراع بين الموالي والعرب، ط١، دار الكتاب، العربي ١٩٥٤م، ص٤٨-٤٩.

وصفوة القول أن تخلُّص الرشيد من البرامكة كان من نتيجة أحداث متتالية،كما أتاح الفرصة للخليفة ليستعيد سلطته في الدولة، وقد استطاع الرشيد أن يلقى في روع الجميع أنه على حق في الإيقاع بالبرامكة دون أن يصرّح بالسبب الذي دعاه إلى ذلك.[١]

ولما زالت سيطرت البرامكة عن أمور الدولة، عاد النفوذ إلى العرب لفترة وجيزة، فاتخذ الرشيد الفضل بن الربيع وزيرًا له[٢]، لكن ذلك لم يترتب عليه ضعف شوكة الفرس، فقد استعادوا نفوذهم منذ أن ولي الفضل بن سهل وزارة المأمون، وكان هذا الوزير حديث العهد بالإسلام، كما أنه لم يتجاهل قوميته الفارسية، بل ظل متعلقًا بمظاهرها وتقاليدها.

كان الفضل بن سهل من سلالة ملوك الفرس، اتصل بالبرامكة وقام على خدمة أبناء يحيى بن خالد البرمكي، وقد عرض عليه يحيى الدخول في الإسلام؛ ليقلده بعض الأمور، فرحب الفضل بذلك ثم لزم جانب المأمون بعد نكبة البرامكة وقام بتدبير بعض أموره.[٣]

وكان يلي وزارة الأمين في ذلك الوقت الفضل بن الربيع وقد عرف عنه أنه نكث العهود التي أخذها الرشيد عليه لابنه عبد الله المأمون، ولذلك رأى أن الخلافة لو آلت إلى المأمون لقضى عليه، ومن ثم سعى في إغراء الأمين به وحثه على خلعه ونقل ولاية العهد إلى ابنه موسى[٤]، فأبى الأمين في بادئ الأمر أن يقدم على إحداث هذا الانقلاب، لكن الفضل بن الربيع لم يزل يصغر في عينه شأن المأمون ويزين له خلعه واستطاع هذا الوزير بما أوتي من مهارة أن يثير في نفس الأمين المخاوف من تولية المأمون والمؤتمن العهد بعده على التعاقب[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٢٨٧/٨).

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص١٩٢.

-The Caliphate: Its Rise، Decline and Fall، from Original Sources، BY: Sir William Muir. Islamic culture, 1942, 16, P:488.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٢٩-٢٣١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٣٧٤/٨).

between the two brothers Al – Amin and Al Samadi: The struggle
– Mamun: Islamic culture ،April, 1958, P:102.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٣٧٤/٨).

وعلى الرغم من تحذير ذوي الرأي للأمين من مغبة هذا العمل، إلا أنه مال إلى رأى الفضل وولى عهده ابنه موسى وسماه[1] "الناطق بالحق".

وعندما حاول المأمون أن يلحق بقوات أبيه الرشيد التي لم تنفذ وصيته وسارت إلى بغداد، خوفه الفضل بن سهل من عاقبة هذا العمل بقوله: "إن فعلت ذلك لم آمن أن يقبضوا عليك ويجعلوك هدية إلى مُحَمَّد".

كما أشار عليه بعدم الذهاب إلى بغداد حين استدعاه الأمين ليقر على نفسه بالخلع، وقال له: "أنت نازل بين أخوالك وبيعتك في أعناقهم"[2].

ولما تأزمت الأمور بين الأخوين ولم يعد هناك وسيلة لفض الخلاف بينهما إلا بالحرب، بذل الفضل بن سهل جهودًا كبيرة لنصرة المأمون، فأمد جيشه بما يلزمه من مال وعتاد، واختار لقيادته أصفياء، كما بث الجواسيس[3] ليتابعوا سير المعركة.

لم يستطع الأمين وقواده الصمود أمام جيش المأمون الذي حاصر بغداد حصارًا محكمًا، وانتهى الأمر بهزيمة الأمين وقتله في أوائل سنة ١٩٨هـ/٨١٣م[4]، وبذلك زالت خلافته وأصبحت بغداد في قبضة جيوش المأمون.

ولما كان الفضل بن سهل قد أخلص في معاونة المأمون حتى أحرز النصر على أخيه، لذلك لا نعجب إذا أطلق الخليفة الجديد يد وزيره في جميع الأمور، كما لقبه ذا الرياستين، وكتب له توقيعًا يدل على مدى إجلاله له واعترافه بفضله[5]؛ وأسند إلى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق[6].

---

(١) الدينوري، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ /٨٨٩م) المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٣٨٤.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ٢٧٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٨٩/٦).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩٤/٦).

(٤) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علين، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب ويحي سيد حسين، تقديم حسين مؤنس، ط١، دار المعارف، (د. ت. م)، (٢١/٢).

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٠٦.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٢٢/٦). - Gilman (Arthur): The sarecens from the earliest times to the fall Baghdad: P378.

داخل الفضل بن سهل الغرور بعد أن ولي المأمون الخلافة وأراد أن تستعيد خراسان سلطانها وسيادتها، كما عمل على سلب سلطة الخليفة والاستئثار بالنفوذ دونه، وسلك في سبيل ذلك طريقا وعرًا، فجعل مرو عاصمةً له[1]وأصبح المأمون في الواقع في محيط فارسي، فأهل خراسان من الفرس، وبنو سهل يديرون دفة دولته، وعادت الحال إلى ما كانت عليه في أوائل عهد الرشيد حين استحوذ البرامكة على السلطة.

أدَّى استئثار الفضل بن سهل بالسلطة دون المأمون إلى إثارة سخط بعض العناصر العربية على السياسة الفارسية، وما لبثوا أن عبروا عن سخطهم بعدد من الثورات، كما أنهم أطلعوا الخليفة المأمون على حقيقة الحال في العراق، والخطر المحدق به، ولسياسة المأمون؛ فقد لامه هرثمة بن أعين على سياسته قائلاً[2]: "قدَّمت هذا المجوسي (يقصد الفضل بن سهل) على أولئك وأنصارك"، لكن المأمون زجَّه في السجن، ولم يزل في سجنه حتى قتل بإيعاز من الفضل.[3]

وأدَّى انقياد المأمون للفضل إلى حدوث بعض الفتن والثورات في العراق، ومن ثم عزم على الرحيل إلى بغداد بعد أن تخلَّص من كل من علي الرضا والفضل بن سهل.[4]

فقتل خال المأمون الفضلً بن سهل في حمام بين ماء ونار وذلك سنة١٩٢هـ/٧٨٨م.[5]

لم يسند المأمون منصب الوزارة منذ قدومه بغداد إلى رجل من أصل عربي؛ بل كان وزراؤه جميعًا من أصل فارسي، نذكر منهم الحسن بن سهل وأحمد بن خالد[6]، لكنه حرص على ألا يترك لهم عنان الحكم كما تركه للفضل بن سهل في مرو؛ حتى لا يستبدوا بالأمور دونه، فأشرف بنفسه على شؤون الدولة كافة، وفي بادئ الأمر راودته فكرة الاستغناء عن الوزراء، يدلنا على ذلك قوله لأحمد بن أبي خالد عندما أسند إليه وزارته: "إني كنت عزمت ألا أستوزر

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٥٢٨/٨).

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٠٩هـ/٩٠٣م)، تاريخ اليعقوبي، (د. ط)، دار صادر، بيروت (د. ت)، (١٧٨/٣).

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣١٧-٣١٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦ /١٤٢).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٨٠/٨).

(٦) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٠٣- ٢٠٥.

أحدًا بعد ذي الرياستين، وقد رأيت أن أستوزرك"[(١)].

(١) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، (ت: ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، كتاب بغداد، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م (٦/٢١٦).



الفصل الأول

الفصل الأول

الوزراء المنكوبون في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول: وزراء عصر النفوذ التركي (٢٣٢- ٣٢٤هـ /٨٤٧- ٩٣٦م).

المبحث الثاني: وزراء عصر إمرة الأمراء (٣٢٤- ٣٣٤هـ /٩٣٦- ٩٤٥م).

المبحث الثالث: وزراء العصر البويهي (٣٣٤- ٤٤٧هـ / ٩٤٥- ١٠٥٥م).

المبحث الرابع: وزراء العصر السلجوقي (٤٤٧- ٥٩٠هـ / ١٠٥٥- ١١٩٤م).

المبحث الخامس: الوزراء منذ نهاية العصر السلجوقي حتى سقوط بغداد بيد المغول (٥٩٠- ٦٥٦هـ / ١١٩٤- ١٢٥٨م).

المبحث الأول

وزراء عصر النفوذ التركي

(٢٣٢- ٣٢٤هـ /٨٤٧- ٩٣٦م)

بدأ نفوذ الأتراك في العصر العباسي الثاني منذ عهد الخليفة المتوكل على الله[١] (٢٣٢-٨٤٧م) وحكم خلاله عشرة خلفاء حيث انتهى بعهد الراضي بالله[٢]، فالمتوكل ورث تركة النفوذ التركي عن أبيه المعتصم وأخيه الواثق بالله[٣]؛ نتيجة سياستهما في الاعتماد على العنصر التركي والتحول عن السياسة التقليدية، فقد إزداد نفوذ الأتراك خلال عهد الواثق بالله وتبلور وجمع السلطات إليهم حتى إذا جاء المتوكل ظهر النفوذ التركي جليًّا، واستقوى بعهد المنتصر بالله[٤].

وتولى منصب الوزارة في هذا العصر عدد كبير من الوزراء، أولهم الوزير مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات، أصله من أهل الكرخ، نشأ في بيت تجارة[٥]، فكان والده يُتاجر في بيع الزيت، ويحثه على بيع الزيت، ولكنه كان طموحًا يرغب في الوصول إلى مناصب عليا في الدولة[٦]، كان ابن الزيات كاتبًا بارعًا بليغًا، حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب، لا يقاس به أحد من الكتّاب،

---

(١) الخليفة أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله مُحَمَّد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور القرشي العباسي البغدادي. بويع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م، توفي مقتولًا سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٤٤٣).

(٢) الخليفة الراضي بالله مُحَمَّد بن جعفر بن أحمد الراضي بالله، أمير المؤمنين بن المقتدر بن المعتضد، كان سمحًا، واسع النفس، أديبًا، شاعرًا، حسن البيان، كريم الأخلاق، محبًّا للعلماء، توفي سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢/٣٣٢).

(٣) الخليفة الواثق بالله أبو القاسم هارون بن المعتصم بالله مُحَمَّد بن هارون الرشيد بن مُحَمَّد بن المنصور العباسي البغدادي، كانت خلافته خمس سنين ونصفًا، مات بسامراء سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/١٢٤).

(٤) الخليفة مُحَمَّد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مُحَمَّد بن هارون الرشيد الهاشمي، العباسي، كان وافر العقل، راغبًا في الخير، قليل الظلم، بارًّا بالعلويين. مات في خامس ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م، فكانت خلافته ستة أشهر وأيامًا. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/٤٥١).

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١/٨٦).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١١/١٧٣).

وكان شاعرًا مُجيدًا، وشعر ابن الزيات مديح وهجاء وغزل ومجون وعتاب وله رثاء جيد[١]، وكان يطيل فيجيد في الشعر فقد هجا بقصيدة عدد أبياتها سبعين بيتًا[٢]، وكان أديبًا فاضلاً بليغًا عالمًا بالنحو واللغة[٣]، وفي ذلك الزمن كان الأدب أهم ميزات الوزير[٤].

وسبب وزارته أنه وصل إلى الخليفة المعتصم بالله كتاب من بعض العمال، وفيه ذكر الكلأ فقرأه وزير المعتصم بالله أحمد بن عمار بن شاذي[٥] فقال له المعتصم بالله: "ما الكلأ؟ فقال: لا أعلم! فقال الخليفة المعتصم بالله: خليفة أمي، ووزير عامي، انظروا من في الباب. فوجدوا ابن الزيات، فأدخلوه إليه فقال له: ما الكلأ؟ فقال: العشب على الإطلاق، فإن كان رطبًا فهو الخلا، فإذا يبس فهو الحشيش"، وشرع في تقسيم النبات، فعلم المعتصم فضله، فاستوزره سنة ٢٢٥هـ /٨٤١م واستأثر بالسلطة، ووصل مرتبة عالية عند المعتصم بالله، ثم بقي وزيرًا للواثق بن المعتصم بالله مدة خلافته ٢٢٧- ٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م ثم للمتوكل على الله[٦].

وكان من العقلاء الدهاة وقوة الحزم، وكان مُحَمَّد بن الزيات شديد القسوة، صعب العريكة لا يرق لأحد ولا يرحمه، وعندما صار ابن الزيات وزيرًا قصده الجاحظ[٧]، وغيره، وكان مشجعًا للترجمة، فقد عرف عنه أنه كان عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر يقارب ألفي دينار، وكان ابن الزيات هذا من مشاهير الوزراء في العصر العباسي. توفي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٨م[٨].

---

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، (١٤٥/٢).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٨٦/١).

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، (١٤٥/٢).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٨٦/١).

(٥) الوزير، أبو العباس أحمد بن عمار بن شاذي البصري، وزير المعتصم. كان وقورًا، رزينًا، مهيبًا، ذا عفة وصدق وخير، توفي سنة ٢٣٨هـ /٨٥٣م، بالبصرة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦٥/١١).

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٩٩/١).

(٧) العلامة المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، المعتزلي، له عدة مصنفات، توفي سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/ ٥٢٧).

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥٢٨/١١).

أمَّا الوزير مُحَّد بن الفضل الجرجرائي فكان يكتب للفضل بن مروان،[١] ثم أصبح كاتبًا للخليفة المتوكل على الله، ثم تولى الوزارة للمتوكل على الله عند ما نكب ابن الزيات سنة ٢٣٣هـ/٨٤٨م[٢]، ثم تولى منصب الوزارة للخليفة المستعين بالله[٣] سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م[٤] حتى توفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، وكان عمره ثمانين سنة[٥]. وعندما اتخذ منصب الوزارة كان شيخًا ظريفًا حسن الأدب عالمًا بالغناء، كان يجالس مجموعة من الكتَّاب والشعراء[٦].

أمَّا الوزير أبو مُحَّد الفتح بن أحمد بن غرطوج، فيعود إلى أسرة آل خاقان وهي إحدى الأسر الفارسية العريقة التي تدَّعي أنها من أبناء الملوك، حظيت تلك الأسرة بمآثر جمة لدى عددٍ من الخلفاء العباسيين، فتولَّى الوزارة من آل خاقان أربعة وزراء في سبعين عامًا، وكان والده خاقان، وله مكانة خاصة عند الخليفة المعتصم بالله، وكان أخًا وخليلاً، ونديمًا، ووزيرًا للخليفة المتوكل على الله، فقد تولى منصب الوزارة سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م.[٧]

بدت عليه منذ نعومة أظفاره معالم النجابة، ومخايل الذكاء، الأمر الذي لفت أنظار الخليفة المعتصم بالله، فبعد أن التقى الفتح بن خاقان إبان زيارة كان يقوم بها لوالده في منزله، سأله مداعبًا: "أيهما أحسن دارنا أو داركم؟ فقال الفتح على البديهة: دارنا أحسن إذا كان أمير المؤمنين فيها، فسُرَّ المعتصم من بداهته وفطنته وقال: والله لا أبرح حتى أنثر عليه مائة ألف

---

(١) أبو العباس، أصله من البردان، وتنقلت به الأحوال حتى وصل إلى وزارة المعتصم بالله، وكان من البلغاء. وكان المعتصم بالله كثير البذل، توفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ٨٤/١٢).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ١٦٢).

(٣) الخليفة أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله، مُحَّد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، أخو الواثق والمتوكل، ولد سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م، وبويع بعد موت المنتصر. كان متلافًا للمال، مبذرًا، فرق الجواهر وفاخر الثياب، اختلت الخلافة بولايته، واضطربت الأمور. قتل في ٢٥٢هـ/٨٦٦م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٩/١٢).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٢٦٤/٩).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات (٢٣٠/٤).

(٦) كان يجالس الكاتب مُحَّد بن الفضل الكاتب المعروف بالبصرة أبا هفان، ومُحَّد بن مكرم، واليعقوبي، وأبا علي البصير، وأبا العيناء. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٤/ ٢٣٠).

(٧) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (د. ط)، وزارة الثقافة، مصر (د. ت). (٢٩٥/٢).

درهم"، وهكذا كان، وكانت تلك البداية[١]، وقد تأدَّب الفتح بن خاقان عند أحد شعراء[٢] الدولة العباسية المعروفين والذين عاشوا في بغداد[٣].

ثم أتيحت للفتح بن خاقان فرصة اللقاء بالكثير من كبار الأدباء والفصحاء في عصره، داخل العاصمة بغداد، فضلًا عن علماء البصرة والكوفة، الذين كانوا يتوافدون على قصره، الذي كان موئلاً ومقصدًا للكثيرين من أولئك الأعلام، فاستفاد منهم الشيء الكثير، ونمت ملكاته الأدبية، وأصبح على درجة عالية من المعرفة والثقافة، وقد كان الفتح أحد الثلاثةِ[٤] الذين عمَّ صيتهم، وذاعت شهرتهم، بأنهم الأكثر محبةً وولعًا في اقتناء ومطالعة الكتب في عصره، وهم: الجاحظ ت٢٥٥هـ/٨٦٩م، وإسماعيل بن إسحاق القاضي[٥]. ومع أنه كان واحدًا من كبار رجالات الدولة، إلا أن ذلك لم يحلْ من دون مواصلة المطالعة والقراءة حتى في ديوان الخليفة، فيروى عنه أنه كان لا يحضر مجلس الخليفة إلا مصطحبًا معه كتابًا في كمه أو أي مكان آخر، فما أن يغادر الخليفة المجلس إلا ويغتنمها فرصة فيخرج ما في جعبته من الكتب ويأخذ في القراءة حتى عودة الخليفة[٦]، الأمر الذي يشير إلى مدى شغفه بالمطالعة ومحاولته كسب أي فرصةٍ سانحة لتحقيقها[٧].

---

(١) النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى، (ت٣٩٠هـ/ ٩٩٩م). الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥م، ص ٤٨.

(٢) مُحَمَّد بن وهيب الحميري، أبو جعفر، شاعر مطبوع مكثر، من شعراء الدولة العباسية، أصله من البصرة، عاش في بغداد وكان يتكسب بالمديح. (المرزباني، أبو عبيد الله مُحَمَّد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م). معجم الشعراء، بتصحيح وتعليق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط ٢، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.(٣١٨/١).

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، (٣١٨/١).

(٤) ابن النديم، أبو الفرج مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد الوراق البغدادي (ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م). الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، (١٤٨/١).

(٥) إسماعيل القاضي أبو إسحاق بن إسحاق الأزدي الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام، محدث البصرة؛ قاضي بغداد، وصاحب تصانيف كثيرة، كان عالمًا متقنًا فقيهًا استوطن بغداد، وولي قضاء بغداد اثنتين وعشرين سنة، توفي سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤١/١٣).

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١١٩٣/٥).

(٧) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٢.

وكذلك تمكَّن من إنشاء مكتبة كبيرة، زخرت بشتى أنواع الكتب التي تتناول فنون المعرفة وأبواب العلوم المختلفة، وقد عمل على جمعها له الشاعر علي بن يحيى المنجم، فأصبحت واحدةً من كبريات المكتبات الخاصة في حينه كثرةً وحسنًا[١].

كان الفتح محسنًا، موصوفًا بالكرم والسخاء، والشجاعة، وكان يكتب لعمال الولايات الرسائل المسجوعة، والتي تدل على علو كعبه في ميدان الأدب والسياسة معًا. أهداه الجاحظ كتابًا مشهورًا وهو التاج في أخلاق الملوك، وكتب له أبو جعفر مُحَمَّد بن حبيب، كتاب الأيام في أربعين جزءًا، شارك الفتح إلى جانب العمل السياسي، في دنيا التأليف والأدب، ووضع عددًا من المؤلفات، منها: كتاب البستان، الصيد والجوارح، اختلاف الملوك، الروض والزهر[٢].

بنى الفتح في سر من رأى واحدًا من أجمل القصور وأكبرها، وهو المعروف بالجوسق الخاقاني، توفي عام ٢٤٨هـ/٨٦١م[٣].

كما أنه تولى منصب الوزارة، الوزير أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي، البغدادي، عمه الفتح بن خاقان، كان أبوه يحيى بن خاقان كاتبًا للحسن بن سهل وزير المأمون[٤]، ثم واليًا على ديوان الخراج سنة ٢٣٣هـ/٨٤٨م في أيام الخليفة المتوكل على الله[٥]، وكان من أسباب وزارته للخليفة المتوكل على الله عمه الفتح بن خاقان وحاجة الخليفة المتوكل على الله إلى كاتب شاب يجيد الخط، حيث قال المتوكل على الله: "قد مللت عرض الشيوخ، فابغوني حدثًا. "فعرض الفتح بن خاقان عبيد الله، فلما كلمه المتوكل على الله أعجبته حركته، فأمره أن يكتب، فأعجبه خطه وشكله وحلاوته[٦]، والذي كتب أحسن؛ حيث كتب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٧]، وهذا ممَّا جعل الخليفة المتوكل على الله يتفاءل به[٨]،

---

(١) ابن النديم، الفهرست، (١/١٧٦).

(٢) ابن النديم، الفهرست، (١/١٤٨).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٢/٣١٣).

(٤) النهرواني، الجليس الصالح، ص٥٢٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/١١٦).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٩/٢٧٦).

(٧) القرآن الكريم، سورة الفتح، آية: (١).

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/١٠).

ويتخذه كاتبًا له سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م[١]. وحظي عند المتوكل على الله، حتى ضم إليه ديوان العامة وديوان الخراج، وبهذا كانت أغلب أعمال المتوكل على لله بيده[٢]، حتى تولى له الوزارة سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م[٣]، وكان سمحًا جوادًا سخيًّا واسع الحيلة. وعندما مرض عبيد الله، عاده عمه الفتح، وقال: إن أمير المؤمنين يسأل عن علتك فقال:

عليـــــــل مــــــــن مكــــــانين   مــــــن الأســـــقام والـــــدين

وفي هـــــــــذين لي شـــــــغل   وحســــــبي شــــغل هـــــذين

فأعطاه المتوكل على الله ألف ألف درهم، وبعد مقتل الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م اشترك في مبايعة الخليفة المنتصر بالله،[٤] ولم يتخذ وزيرًا إلاَّ في سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م، حيث تولى الوزارة للخليفة المعتمد على الله،[٥] توفي سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م.

ومن الوزراء أحمد بن الخصيب بن عبد الحميد الجرجرائي أبو العباس[٦]، كان من أهل جرجرايا[٧]، وكان أبوه أمير مصر[٨]، عاصر هذا الوزير كلًّا من الخليفة المعتصم بالله والمتوكل على الله والمنتصر بالله والمستعين بالله، حيث كان أحمد بن الخصيب يجالس الخليفة المعتصم بالله ويقوم ببعض المهام الخاصة به[٩]، ثم كان في أيام الخليفة المتوكل على الله كاتبًا للسيدة شجاع أم المتوكل، حيث كان يكتب لها أنساب الناس وأسماءهم ومنازلهم وكان يتقاضى على

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١١/٢٣٧).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٩/ ٢٧٦).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/٢١٥).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/١٧٧).

(٥) المعتمد على الله الخليفة أحمد بن المتوكل على الله جعفر العباسي أبو العباس، وقيل: أبو جعفر، الهاشمي العباسي السامري. ولد سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م، استخلف بعد قتل المهتدي بالله في سادس عشر رجب سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م، توفي المعتمد على الله سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م ببغداد، ونقل فدفن بسامراء. فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أيام. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/٥٥٢).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٤٧).

(٧) تقع بين واسط وبغداد في الجانب الشرقي من نهر دجلة على بعد اربعة فراسخ جنوب شرقي دير العاقول (الحموي،معجم البلدان، (٥/٣٤٧).

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٤٧).

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٧/٧١).

تلك الكتابة ألف دينار،[١] ثم عمل كاتبًا للخليفة المنتصر بالله وهو أمير، فلما تولى الخلافة تولى له البيعة على الناس فولاه الوزارة وسلم إليه خاتمه سنةً[٢].

وكان سبب توليه الوزارة من أجل تفقد أحوال العلويين، حيث دفع الخليفة المنتصر بالله إلى أحمد بن الخصيب مالًا جزيلًا وقال: "فرقه في العلويين، فقد نالهم جفوة، فقال: يا أمير المؤمنين، سوف أفعل، فقال: إذن تسعد عند الله وعندي، فإني ما وليتك الوزارة إلا لتخلفني فيهم وتتفقد أحوالهم"[٣].

أمَّا سبب توليه للوزارة في عهد الخليفة المستعين بالله فقد أعطى المستعين بالله ألف ألف درهم فاختاره وزيرًا، على الرغم ممَّا اتصف به من جهل، وحمق، وتيه، وأخلاق سيئة، وتكبُّر،[٤] إلا أنه اعتلى منصب الوزارة كذلك كان ليس له دراية في أمور الوزارة، بل فيه طيش؛ لأنه ليس رزين العقل، ومع ذلك يلتمس فيه المروءة[٥]، توفي سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م[٦].

أمَّا الوزير التركي أوتامش أبو موسى[٧]، فكان من قادة الجيش العباسي أيام المعتصم بالله[٨]، وعمل أوتامش التركي مؤدبًا لأبناء الخلفاء، فقد تربَّى عنده العباس بن المستعين واهتم برعايته وعلّمه الفروسية، واختص أوتامش بهذا؛ وذلك لما له من مكانة عند الخليفة المستعين بالله وهو بمنزلة الوزير آنذاك[٩]، فقد كان واليًا على مصر والمغرب [١٠]، ولهذا أشار الكاتب

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٤٧/٥).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٣٣١/٦).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢١٦/٢).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي (د. م)، ٢٠٠٣م، (٩٩٥/٥).

(٥) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٣٧.

(٦) الصفدي، الوافي الوفيات، (٣٣١/٦).

(٧) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَّد (ت ٥٩٧هـ /١٢٠١م). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: مُحَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م (٢٤/١٢).

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٣٥٦/٩).

(٩) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البدايةوالنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م، (٧/١١).

(١٠) ابن خلدون، العبر، (٣٥٥/٣).

شجاع بن القاسم على الخليفة المستعين بالله[١] أن يتخذه وزيرًا فعزم على ذلك سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م[٢]، مات سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م[٣].

أمَّا الوزير أبو صالح بن يزداد عبد الله بن مُحَّد بن يزداد بن سويد المروزي فقد عرف بالكتابة المتميزة، ومما ساعده على ذلك منصب والده حيث كان وزيرًا للخليفة المأمون[٤]، وكان ابن يزداد على درجة عالية من الصلاح والدراية، فكان يصحب الخليفة المتوكل على الله في أسفاره حيث قدم دمشق مع الخليفة المتوكل على الله[٥]، ولهذه الأسباب اتخذه الخليفة المستعين بالله وزيرًا له سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م، ثم عمل في منصب الوزارة للخليفة المهتدي بالله[٦] سنة٢٥٦هـ/٨٧٠م، مدحه البحتري[٧] وغيره، كان لا يقبل مدح الشعراء حتى جماعة من الشعراء امتدحوا الوزير أبا صالح، فأمر لهم بثلاثة دراهم ليس إلا، وكتب إليهم:

قيمة أشعاركم درهم عندي وقد زدتكم درهما
وثالثا قيمة أوراقكم فانصرفوا قد نلتم مغنما

مات الوزير ابن يزداد في رجب سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م[٨].

أمَّا الوزير جعفر بن محمود الإسكافي أحد كتاب الخليفة المتوكل على الله، فقد ولي الوزارة للمعتز بالله سنةً[٩]، توفي سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م[١٠].

---

(١) الخليفة المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله، مُحَّد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، بويع بالخلافة في ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م، توفي سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/٥٠).

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٩/١٧).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢/٢٢).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٨/١٩٦).

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦/٣٤٥).

(٦) الخليفة مُحَّد المهتدي بالله، أمير المؤمنين أبو إسحاق، وقيل: أبو عبد الله بن الواثق بالله هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق مُحَّد بن الرشيد الهاشمي العباسي. ولد في خلافة جدة سنة ٢١٠هـ/٨١٤م، وبويع بالخلافة سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م، توفي سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م. (الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦/١٩٩).

(٧) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي البحتري، مدح الخلفاء والوزراء، مات بمنبج وقيل: بحلب سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/٤٨٦).

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٣٣٣).

(٩) الخليفة المعتز بالله، أبو عبد الله مُحَّد، وقيل: الزبير بن المتوكل جعفر بن المعتصم، ولد سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م واستخلف وهو ابن عشرين سنة، وكان أبيضَ، جميلاً، وسيمًا، من ملاح زمانه. ثم إن رؤوس الأتراك أخذوا المعتز بعد خمسة أيام، فأدخلوه حمامًا، ومنعوه من الماء حتى كاد يموت، ثم سقوه ماء ثلجًا، فسقط ميتًا –رحمه الله– وذلك في شعبان سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٥٣٣).

(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٢٠/٥١).

كما أن الوزير عيسى بن فرخان شاه كان يتولى ديوان الخراج للخليفة المستعين بالله سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م، ثم اعتلى منصب الوزارة للخليفة المعتز بالله سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م، اتصف بالكرم[١].

أمَّا الوزير أحمد بن إسرائيل بن الحسين الأنباري الكاتب، فقد كان وزير الخليفة المعتز بالله سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م، وكان ذا مكانة رفيعة عند المعتز بالله، فنهض بأعباء الوزارة، وكان يضرب بذكائه المثل، لا يسمع شيئًا إلا حفظه، وكان إليه المرجع في حساب ديوان الخلافة. نوَّه باسمه ابن الزيات عند الخلفاء وقدَّمه على سائر الشخصيات، وقد باشر العمل في خلافة الأمين، وكان ينسخ الكتاب، فلا يفرغ منه حتى يحفظه حرفًا حرفًا وكان يفعل ذلك مرات كثيرة، وقد أحدث رسومًا وقواعد في الكتابة بقيت بعده، وترك ما قبلها، اختصر (تقدير خراج الممالك) في نصف ورقة، فكان لا يفارق خف ابن الزيات، فسأله الخليفة الواثق يومًا عن الأموال، فلم تكن الورقة معه، فخرج، فأملاه ابن إسرائيل عليه من حفظه، كانت وزارته دون ثلاث سنين، توفي في رمضان سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م.[٢]

أمّا الوزير سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي، أبو أيوب من بني وهب، من كبار الكتّاب في الشام والعراق، ولد في واسط سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م، وهو أخو الحسن بن وهب وأخوه هذا أكبر منه، وكان جدهما سعيد نصرانيًّا ثم أسلم، كانت هذه الأسرة على درجة عالية من الكفاية والدراية؛ فقد خدموا في عدة مجالات، فقد كتبوا في دواوين الخراج، ثم تولوا نظر فارس،[٣] وتأدَّب في صغره عند مُحَّد بن يزداد وزير المأمون، وكان سليمان بن وهب من بين الصبيان الذين لهم نيابة في بيت المأمون، فطلب المأمون كتابة نسخة لموضوع مهم فكتبها الحسن بن وهب، فلما قرأها المأمون استحسنها، لكن أريد أن تقدِّم هذا السطر وتؤخِّر هذا السطر، وخطَّ عليهما بقلمه، فأخذ الكتاب وخرج وجلس ناحية ثم محا السطرين وعمل ما أراد، وقدم له بالكتاب، وكان قد ظن المأمون أنه غيَّر الكتاب، فلما قرأه لم يعرف موضع المحو فاستحسنه وقال: "يا صبي، لا أدري من أي شيء أعجب! أمن جودة

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤١-٢٤٢.

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤١-٢٤٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢٩/١٣).

محوك أم من سرعة فهمك، أم من حسن خطك، أم من سرعتك! بارك الله فيك! "فقبَّل يده وخرج، وكان هذا مبدأ سعادته، وكان ذلك أول علو منزلته، وعندما كان المأمون يواجه مشكلة يقول: "هاتوا سليمان بن وهب"[١]، ومن هنا اتخذه المأمون كاتبًا له وهو صغير ابن أربع عشرة سنة إلى أن كبر، وكان يكتب بالخط المتناسب في أشكاله الهندسية المتقنة المجوّدة، ثم اتخذه الخليفة المهتدي بالله وزيرًا سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م، ثم وزر بعده للمعتمد على الله سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م[٢].

وبهذا يعتبر الوزير سليمان بن وهب قد جمع بين الكتابة والرئاسة والفضل والأدب والعقل، فأصبح من عقلاء العالم وذوي الرأي منهم[٣]، حتى إنه مدحه المهتدي فقال: "ما في صناعته له نظير"، كذلك كان سليمان حسن الخلق، كريم الطبع، لين العشرة. وقيل عنه: إن سليمان بن وهب: "أكتب خلق الله يدًا ولسانًا"[٤]، ولعل السبب في ذلك أن سليمان استمدَّ هذه الصفات من قبائل بني وهب حيث كانت من أشهر رؤوساء الناس، فكانوا يتصفون بالأدب وبالذكاء، ويشتهرون بالفضل والكرم، وبذلك كانت قبائلهم تتميز بهذه الصفات الرفيعة من غيرها من القبائل الأخرى التي تكون نادرًا ما تتجمع هذه الصفات في تلك القبائل[٥]، توفي في صفر سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م.[٦]

كما أنه تولى منصب الوزارة في عهد الأتراك الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح أبو مُحَّد البغدادي الذي ولد في سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م، كان الحسن بن مخلد من دير قنا[٧]، قيل:" إن أباه عبراني، فخرج من ابنه ما خرج".[٨]

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤٣.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/١٢٩).

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤٣.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/١٢٩).

(٥) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤٢- ٢٤٣- ٢٤٤.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/١٢٩).

(٧) تعرف بدير مرماري السليخ وهي ديار قريبة من بغداد وهو في الجانب الشرقي يعتبر تابع للنهروان، وبينه وبين دجلة ميل.(الحموي،معجم البلدان ٢/٥٢٨).

(٨) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص ٢٤٩.

وفي السنة التي ولد فيها الحسن بن مخلد اتفق أنه ولد فيها أربعة وزراء: هو، وعبيد الله بن يحيى بن خاقان، ومُحَمَّد بن عبد الله بن طاهر[١]، وأحمد بن إسرائيل. وكان الحسن بن مخلد الكاتب، أحد رجال العصر سؤددًا، ورأيًا، وشهامة، وكتابة، وبلاغة، وفصاحة، ونبلاً، وشعرًا وجودًا ممدحًا، وكان تامَ الشكل، مهيبًا، فاخرَ البزّة، يركب غلمانه في الديباج، ونسيج الذهب، وعدة جنائب، امتدحه البحتري وغيره، كان في هيئة سلطان كبير[٢].

تولى ديوان الضياع للخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م[٣]، وعَمِل وزيراً للخليفة المعتمد على الله،وفي الوقت نفسه كان كاتباً لأخيه قائد الجيش الموفق بالله، وكان آية في حساب الديوان، حتى قيل: ما لا يعرفه ابن مخلد فليس من الدنيا[٤]، حيث كان له دفتر صغير يعمله بيده، يقيِّد فيه كل ما يوجد في الخزائن بتواريخها، فلا ينام كل ليلة حتى يقرؤه، ويتحقق ما فيه، بحيث لو سئل الغد عن شيء كان منه، أجاب من خاطره بغير توقف ولا مراجعة دستور، قال الحسن بن مخلد: "كنت مرة واقفًا بين يدي الموفق بن المتوكل فرأيته يلمس ثوبه بيده، وقال لي: يا حسن، قد أعجبني هذا الثوب، كم عندنا في الخزائن منه؟ فأخرجت في الحال من خفي دستورًا فيه جمل ما في الخزائن من الأمتعة والثياب مفصلة، فوجدت فيها من جنس ذلك الثوب ستة آلاف ثوب، فقال لي: يا حسن، نحن عراة، أكتب إلى البلاد في استعمال ثلاثين ألف ثوب من جنسه وحمّلها في أسرع مدة"[٥]، وتولى الحسن بن مخلد منصب الوزارة للخليفة المعتمد بالله ثلاث مرات، ثم جعله ابن طولون[٦] والياً على إقليم مصر، مات سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م[٧].

---

(١) مُحَمَّد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو العباس، ولي نيابة بغداد في أيام المتوكل، وكان فاضلًا، أديبًا، جوادًا، توفي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م. (البغدادي، تاريخ بغداد، ٤١٨/٥). والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢٩/١٣).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٨/١٣).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٢٠٩/٩).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٨/١٣).

(٥) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٤٩.

(٦) أحمد بن طولون التركي أبو العباس صاحب مصر، ولد بسامراء، وقيل، بل تبناه الأمير طولون. وطولون قدمه صاحب ما وراء النهر إلى المأمون في عدة مماليك سنة٢٠٠هـ/٨١٦م، فعاش طولون إلى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م. فأجاد ابنه أحمد حفظ القرآن، وطلب العلم، وتنقَّلت به الأحوال، وولي ثغور الشام، ثم إمرة دمشق، ثم ولي الديار المصرية، وكان بطلًا شجاعًا، مقدامًا مهيبًا، سائسًا، جوادًا، ممدحًا، من دهاة الملوك. قيل: كانت مؤنته في اليوم ألف دينار، وكان عادلاً وبذلاً، لكنه جبار. توفي أحمد بمصر في شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠هـ/٨٨٤م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩٦/١٣).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٨/١٣).

أما الوزير أبو العلاء صاعد بن مخلد الكاتب، فقد كان من نصارى كسكر وبعد اعتناقه الإسلام، اتخذه المعتمد على الله كاتبًا للموفق سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م[١].

ثم اتخذه هذا الخليفة وزيرًا سنة ٢٦٦هـ/٨٨٠م، حتى سُمِّي بذي الوزارتين، أو بذي التدبيرين، فقيل لهم: لا تسموه بشيء ينفرد به عنكم، ولكن سموه ذا الوزارتين ذا الكفايتين؛ ليكون مضافًا إليكم. وذلك إشارة إلى وزارة المعتمد على الله والموفق، [٢]، اُشتُهر هذا الوزير بصفات عديدة، منها النبل، كما عرف عنه كثرة الصلاة في جوف الليل ويتضرع إلى الله ويبكي حتى إن غلمانه يظنون أنه مشغول بعمله، وكان كثير الصدقات والبر حيث إنه لا يركب كل يوم ولا يبتدئ بعمل حتى يبدأ بإخراج صدقاته على أوفر ما يقدر عليه من الدراهم والدنانير والثياب والدقيق في كل يوم[٣].

وقد أثنى عليه أبو الفرج بن الجوزي[٤]، فقال: "كان ثقة"، وتكلَّم فيه ابن الأثير في كامله، وذكر أنه كان فيه "تيه وحمق"[٥]، وقال ابن كثير: "وقد يمكن الجمع بين القولين والصفتين"[٦]، ويبدو أن هذا الوزير تحلَّى بمميزات نادرة جعلته يمسك بزمام الوزارتين، وتوفي صاعد بن مخلد سنة ٢٧٦ هـ/٨٨٩م.[٧]

ومن الوزراء العباسيين أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني الوزير الكبير، الأديب، ينتسب إلى بني شيبان[٨]، ولد سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م[٩]، فكان أول مناصبه تولية ديوان الضياع بسامراء[١٠].

---

(١) الصابئ، هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الحراني، أبو الحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م). رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٣٠.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٦/١٦٣).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢/٢٧٥).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، (١٠/١٩٥).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٤٣٧).

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، (١١/٦٦).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/٣٢٧).

(٨) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص ٢٤٩.

(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦/٥١٦).

(١٠) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦/٥١).

ثم عمل كاتبًا للقائد الموفق بالله وذلك سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م[١]، ولقِّب بالشكور حينما قبض على الوزير صاعد بن مخلد [٢]، وقد اختاره الموفق وزيراً لأخيه المعتمد على الله سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م؛ لما تميَّز بالرجولة، فقلما يُرَى مثله؛ وذلك لكفاءته في المهمات العسكرية واستقلاله بالأمور السياسية، والتدبير الصحيح التي تعود للسلطان بالنفع[٣]، كان أحد الشعراء البلغاء المعروفين بالجود والكرم[٤]، مع الشجاعة وعلو الهمة وصغر الدنيا عنده، مع سعة حلمه وكظمه، وفضله على من اعتدى عليه، فكان محبًا للأدب حتى رفع قدر الأديب وأهله، وبذل لهم الأموال لرفع قدرهم وإكرامهم[٥]، وكان واسع النفس يوزع يوميًّا سبعين رطلًا من أنواع الحلوى[٦].

وبذلك جمع هذا الوزير بين السيف والقلم[٧].وقد شغل منصب الوزارة للخليفة المعتمد على الله ثلاث مرات[٨]، فقد كان يجلس مجلسًا عامًا فيدخل إليه المتظلمون والناس على طبقاتهم فينظر في أمورهم ولا ينصرف أحد حتى يقضي حاجاتهم، أمَّا بولاية أو صلة أو قضاء حاجة أو بر أو إنصاف مظلوم أو توقيع في مصلحة ضيعة أو نظر في خراج، ولا يقومون من مجلسه إلاَّ على أحسن حال تسرّه، توفي في صفر سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م[٩].

أمَّا الوزير أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبد الله بن المدبِّر الكاتب، الأديب المشهور، أصله من دستميسان[١٠]، وكان يدَّعي أنه من ضبة من كبار الكتاب، ولد سنة ٢١١هـ/٨٢٦م[١١].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٤٦٥/٦).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦٠/٩).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠٢/١٣).

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤٩.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠٢/١٣).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦٠/٩).

(٧) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤٩.

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠٢/١٣).

(٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦٠/٩).

(١٠) دستميسان، مدينة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي أقرب إلى الأهواز. (الحموي، معجم البلدان، ٤٤٥/٢).

(١١) الصفدي، الوافي بالوفيات. (٧٣/٦).

وهو أخو أحمد[1]، عمل إبراهيم بن المدبر في خدمة الخليفة المتوكل على الله مدة طويلة ثم ولاه ديوان الأبنية [2]ثم تولى الثغور الجزرية [3]، حتى وصل إلى رتبة الوزراء [4].

وفي خلافة مُحَّد بن الواثق تولى إبراهيم بن مُحَّد بن المدبر الخراج والضياع في الأهواز وذلك في سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م، وقد وقع أسيرًا في يد الزنج،[5] وعُذِّب، واستولوا على كل ما كان يملك من الأموال والغلمان[6].

ولما تخلص إبراهيم بن مُحَّد بن المدبر من السجن سنة ٢٥٧هـ/٨٧١م حاول الخليفة المعتمد على الله أن يتخذه وزيرًا سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، لكنه رفض فأتخذه الخليفة المعتمد على الله كاتباً لقائده أخيه الموفق وضم إليه دواوين، ثم إن المعتمد قدَّم إلى إبراهيم ثلاث مائة ألف دينار ليسترضيه ليتولى منصب الوزارة وهو بتكريت[7]، ورغم ذلك مازالت مكانته عالية إلى أن شغل منصب الوزارة للخليفة المعتمد على الله وذلك سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م[8]. وفي خلافة

---

(١) أحمد بن مُحَّد بن عبيد الله المدبر الكاتب أبو الحسن، تقلد أحمد ديوان الخراج والضياع للمتوكل إلى غير ذلك من الأعمال الجلية ثم تمالأ عليه الكُتَّاب فأخرجوه إلى الشام واليًا عليها، فكسب بها مالًا عظيما ثم قتله أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م تقريبًا، وكان فاضلًا يصلح للقضاء. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٦/٨).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات (٧١/٦).

(٣) الحميري، أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة -بيروت- طبع على مطابع دار السراج ١٩٨٠م، (٢٥٤/١).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات (٧١/٦).

(٥) حركة الزنج: هم الذين ثاروا على المالكين وأسسوا حكومة لهم كان مقرها مدينة المختارة (جنوب البصرة) وقد جندت الدولة العباسية كل إمكاناتها للقضاء عليها، فكانت أطول ثورات العصر العباسي وأخطرها. ظهرت هذه الثورة في خلافة المهتدي بالله سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م بإقليم البطائح وتزَّعمها مدعٍ علوي، ثم أتى البحرين ودعا قومها إلى طاعته فاتبعه جماعة من أهلها ثم انتقل إلى الإحساء وادَّعى النبوة، ثم تطوّرت ثورة الزنج سنة ٢٥٧هـ/٨٧١م حتى وصلت طلائعها إلى البصرة فأعملوا فيها السيف والتخريب، كما استولوا على الأبلة وعبدان والأهواز وأقاموا فيها السيف واستمرت في التطور حتى سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م حيث خرج لمحاربتهم أبو أحمد الموفق واستمر في قتال الزنج حتى سنة ٢٧٠هـ/٨٨٤م حيث تمكّن من هزيمتهم وقتل زعمائهم وذلك بعد حروب كثيرة.(مسكويه، تجارب الأمم، ٤/ ٢٢٣/ وما بعدها).

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٤٧٣/٩).

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧١/٦).

(٨) الحموي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، (١٠٢/١).

المعتضد ٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م تقلد ديوان الضياع ببغداد ثم ولي الكتابة[١]، قال الصفدي: "وإبراهيم بن المدبر كاتب جليل، شاعر، أديب كريم، ليس في زماننا شاعر إلا وقد استفرغ بعض مدحه فيه"[٢].

ومن آثاره كتاب الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة، ولم يكن أحد من كُتَّاب الترسل يقاربه في فنه وتوسعه، وهو صاحب النظم الرائق والنثر الفائق،[٣] وهناك عوامل ساعدته على اتخاذه منصب الوزارة حيث كان كثير الحشمة، كثير البذل، وهو أحد البلغاء والشعراء، توفي إبراهيم بن المدبر ببغداد سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م[٤].

ومن الوزراء أبو علي مُحَمَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، تقلَّد بعد وفاة أبيه وزارة المعتمد على الله ٢٦٣ هـ/٨٧٦م ثم عزل بعد أسبوع،[٥] ثم تقلد ديوان زمام الخراج والضياع السلطانية في وزارة الحسن بن مخلد سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م، وعندما أصبح سليمان بن وهب وزيرًا في السنة نفسها قلَّده نفقات أبنية المعتمد على الله التي في سامراء، ثم صرفه المعتمد فلازم بيته إلى خلافة المعتضد بالله سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م، حيث تقلَّد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان الوزارة فرد إليه البريد بكورة ما سبذان[٦][٧]، ثم اتخذ الوزارة للمقتدر بالله[٨] سنة ٢٩٩هـ/٩١١م، بناء على طلب دستنبويه أم المعتضد بالله[٩]، حينما قدَّم لها مالًا قدره مائة ألف دينار،[١٠] وتقرَّرت الوزارة لهذا الوزير، توفي سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م[١١].

---

(١) الحموي، معجم الأدباء، (١٠٢/١).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧١/٦).

(٣) الحموي، معجم الأدباء، (١٠٢/١).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧٣/٦).

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧/ ٢٥٦).

(٦) سبذان، بلدة قريبة من البصرة، (الحموي، معجم البلدان، ١٨٣/٣).

(٧) الصابئ، أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (د. ط)، مكتبة الأعيان، (د. ت، م)، ص ٢٤٨.

(٨) الخليفة المقتدر بالله، أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله، العباسي، البغدادي، توفي سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٤٣).

(٩) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٨٧/١).

(١٠) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢٣/١٢).

(١١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧/٤).

أمَّا الوزير الكبير أبو أحمد، العباس بن الحسن بن أيوب بن سليمان الجرجرائي –وقيل: المادرائي، فقد ولد سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، ومن شدة التعجب من قوة شخصيته، حتى قيل: "ما أعجب هذا الولد! لو كان هاشميًا، لحكمت له بالخلافة، لكن أحكم له بالوزارة"، ثم اعتلى عدة مناصب، حيث كان في بداية حياته ملازمًا للوزير أبي الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزادت مكانته عنده؛ وذلك لحسن حركاته وآدابه وبلاغته وخطِّه. فلما احتضر، أوصى به المكتفي، فاتخذه كاتبًا له، وقرَّبه، وأعطاه خمسين ألف دينار، وأجرى له راتبًا في كل شهر خمسة آلاف دينار، وعندما مرض المكتفي أوصى إليه في ولده وأهله،(١) ومن أسباب تعلق الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب به أنه كان يعجب من سرعة قلم العباس، ويقول: "تسبق يده لفظي"، أي: أن يده سريعة في الكتابة، وكان مشهورًا بالكرم والتحري للحق، وقد اتخذه الخليفة المكتفي بالله(٢) وزيرًا سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م، ثم اتخذه المقتدر بالله وزيرًا سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م، توفي سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م(٣).

أما الوزير أبو القاسم عبد الله بن مُحَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني، فقد كان من أسباب وزارته أنه من بيت وزارة، حيث كان والده وجده وزراء، لذلك أشار القائد مؤنس الخادم على الخليفة المقتدر بالله بتولية أبي القاسم عبد الله بن مُحَّد بن عبيد الله الخاقاني وزيرًا في ربيع الأول سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م(٤).

كذلك من الأسباب التي أعانته على اختياره لمنصب الوزارة اتصافه بحسن البلاغة، والآداب، وحسن الكتابة، والجود والفضل، علاوة على ثروة وأموال، وكان سائسًا ممارسًا، خبيرًا بالأمور، ولعل من أهم الأسباب التي جعلت مؤنس الخادم يختار هذا الوزير هي أمواله الطائلة التي يمكن أن يعتمد عليها في وزارته، توفي في شهر رجب سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م(٥).

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٥/١١).

(٢) الخليفة، أبو مُحَّد علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل العباسي. ولد سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م. وكان يضرب بحسنه المثل في زمانه، كان معتدل القامة، دري اللون، أسود الشعر، توفي سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤٨/١٣).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٨٦٨/٦).

(٤) الهمذاني، مُحَّد بن عبد الملك، أبو الحسن الهمذاني المعروف بالمقدسي، (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م). تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م، (٤٤/١).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٧٤/١٤).

أما الوزير أبو الحسن علي بن مُحَّد بن موسى بن الحسن بن الفرات فقد ولد سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م[١]، وينتسب إلى أسرة فارسية، وبنو الفرات من قرية تدعى صريفين،[٢] وهي أسرة عريقة معروفة بخبرات أبنائها في تصريف شؤون النظم الإدارية واستقصاء الأحوال المالية.[٣]

ونذكر من بين أفراد هذه الأسرة أخاه أبو العباس[٤] وزير الخليفة المعتضد، وأخاه أبا الخطاب جعفر بن مُحَّد بن الفرات الذي أبى قبول منصب الوزارة، وابن هذا الأخير أبو الفتح الفضل بن جعفر الملقب بابن حنزابه الذي تولى الوزارة في عهد المقتدر في ربيع الآخر سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م[٥]، وظل بها إلى أن قتل المقتدر بالله في شوال سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، غير أنه عاد إليها سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م في عهد الخليفة الراضي ٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤١م، وكان ابنه الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر وزيرًا لبني الإخشيد في مصر في عهد إمارة كافور، كما أن الوزير أبا الحسن علي بن الفرات كان من قواد الجند، الأمر الذي صار شائعًا في وزراء ذلك العصر، حيث كان القليل منهم تتوفر فيه الصفة الحربية[٦].

ولقد بلغ أبو الحسن بن الفرات مرتبة عالية بنفاذ رأيه في ترتيب الأموال الخارجة من خلال تنظيمه ومتابعته للدواوين في صورة تظهر ذاتيته في هذا المجال، الأمر الذي مهَّد له سبيل إدخال بعض الدواوين على النظم الإدارية، ومتابعة القائمين عليها، والحق أن أبا الحسن بن الفرات عاش حياته قبل تولية الوزارة أيام المقتدر بالله متابع ومباشر لنظم الدولة المالية والإدارية، ومما يسَّر له سبيل هذا الاتجاه مزاملته لأخيه العباس وزير المعتضد الذي فاق أهل زمانه في معرفة الحساب والأعمال، وكان يتتبع أخاه أبا العباس وينوب عنه، فتقلَّد الأعمال رياسة، وفوَّض إليه النظر في الدواوين حتى اتبع سياسة العزل والتولية بين الكُتَّاب وأصحاب الدواوين[٧].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/٤٢٤).

(٢) تقع في سواد العراق وهي قرية كبيرة غناء قرب عكبراء وأوانا على ضفة نهر دجيل.(الحموي، معجم البلدان، ٣/٣٤٣).

(٣) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص١١. حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٧٢.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن مُحَّد بن الفرات، توفي في رمضان سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٤٢٤).

(٥) ابن خلكان، الوفيات، (٣/٤٢٤).

(٦) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص ٩٨ وما بعدها.

(٧) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص١٤٩.

ومن المهام التي كان أبو الحسن علي بن الفرات يشرف عليها قبل توليه الوزارة مباشرته لديوان الدار الذي استحدثه أخوه أبو العباس، جمع إليه سائر الأعمال، وصار بالنظر على هذا الديوان يشرف على أحوال الولايات المالية والإدارية كافة[١]، ولقد اتخذه المقتدر بالله وزيرًا ثلاث مرات توفي سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م.[٢]

ومن الوزراء المشهورين الوزير علي بن عيسى الجراح أبو الحسن بن داود الجراح بن مهاجر حستبس بن صبار بخت بن شهريان، البغدادي، الحسنى فارس الأصل[٣]، ولد يوم الجمعة ٢٢ جمادى الأولى من عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م، بدير قني، وينسب إلى هذه القرية عدد من المشاهير، مثل أسرة البرامكة وأسرة آل الجراح[٤].

نشأ في بيت علم وأدب ومعرفة، فجدُّه كان له مجموعة من البنين يعملون في خدمة خلفاء الدولة العباسية، منهم داود ومُحَّد والحسن، فقد كتبوا لإبراهيم بن العباس بن الصولي،[٥] ثم جدُّه داود، كان من أفاضل الكُتَّاب في عهد الخليفة المستعين بالله ٢٤٨-٢٥٢/٨٦٢-٨٦٦م، لقد تربَّى تربية إسلامية صحيحة قوامها اهتمامه بالعلوم الشرعية، فحفظ القرآن الكريم وهو صغير السن وتعلم تفسيره ومعانيه[٦]، واشتغل بالحديث وعلومه، فبرع في ذلك[٧]، وقد وصف بأنه كبير الشأن على الإسناد[٨]؛ فقد كان كثير التديُّن وله مذهب في الترسُّل لا يلحقه فيه أحد[٩]، وله اهتمامات واسعة بالشعر، فقال الصولي في ذلك: "ولا أعلم أني

---

(١) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص١٤٩.

(٢) القرطبي، عريب بن سعد (ت ٣٦٩هـ/٩٨٠م). صلة تاريخ الطبري، ط٢، دار التراث- بيروت، ١٣٨٧هـ .(٧٩/١).

(٣) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٣٠٥.

(٤) التنوخي، المحسن بن علي بن مُحَّد بن أبي الفهم داود (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م). نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الثالجي، ط٢، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٣٩١هـ، (٣٢/٨).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٠٠/١).

(٦) الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي، أخبار الدول المنقطعة تاريخ الدولة العباسية، تحقيق: مُحَّد بن مسفر الزهراني، (د. ط)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، مطبعة المدني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٢٥.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٥١/٦).

(٨) ابن العماد، شذرات الذهب، (٢٢٦/٢).

(٩) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٩٨.

خاطبت أحدًا أعلم منه بالشعر"،[١] وكان له علم بفنون الكتابة وأساليبها وبفن الإدارة، ونشأ في ملازمة مجالس العلماء والأدباء[٢].

ومن مؤلفاته: كتاب معاني القرآن وتفسيره، وكتاب جامع الدعاء، وغيرهما[٣]. وقد اتصف علي بن عيسى بصفات طيبة جمة، تولدت عن حسن تربيته التي تربَّى عليها، فقيل فيه: كان رجلًا عاقلاً متديّنًا، متعففًا، كثير الوقار والجد، وما يخل بصلاة الجماعة والجمعة في كل يوم جمعة، ولا يدع المناوبة في ذلك بين المساجد الجامعة[٤]، ووصف بأنه كان صدوقًا فاضلاً كثير المعروف في مجال البر والصدقات[٥]، وقراءة القرآن والصلاة والصيام[٦]، فكان يصوم نهاره ويقوم ليله،[٧] ثم قال الصابئ فيه: "إنه ما رؤي قط متبذلاً في مجلسه ولا متخففًا[٨] في ملبسه ولا فارق الدراعة إلا والقميص من دونها والمبطنة من دونه، ولا الخلف في أكثر أوقاته، إلا إذا أوى إلى فراشه أو قعد مع حرمه"، والجدير بالذكر أن ثمن ملابسه هذه قدرت أثمانها في عام ٣٠١هـ/٩١٣م بعشرين دينارًا[٩]، وكان ذلك يدل على تواضع الوزير وكان في الحقيقة غنيًّا شاكرًا، ينطوي على دين متين وعلم وفضل، وكان صبورًا على المحن[١٠].

وكما علمنا بأنه نشأ من سلالة أسرة فارسية عريقة اعتنقت الإسلام فآمنت بمبادئه إيمانًا كاملاً، وكان على رأس هذه الأسرة الشيخ الكاتب داود بن الجراح، الذي يعد من علماء بغداد الأفذاذ حيث عمل كاتبًا عند الخليفة المستعين بالله ٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م،

---

(١) الصولي، أبو بكر مُحَّد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٧م). أخبار الراضي بالله والمتقي لله. تاريخ الدولة العباسية، من كتاب الأوراق، تحقيق: ج هيورث دن، (د. ط)، دار مطبعة الصاوي، مصر ١٩٣٥م، ص٣١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٥١/٦).

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٨٦.

(٤) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٣٠٦.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٩٩/١٥).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم (٣٥١/٦).

(٧) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص٢٢٥.

(٨) التخفف، هو صوت الثوب الجديد أو الفرو الجديد إذا لبس فحركة الثوب الجديد تسمى خفخفة. والمقصود هنا أنه لا يرى بثوب خفيف يكشف معالم جسمه. (ابن منظور، لسان العرب، ٨٣/٩).

(٩) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٣٥٢.

(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٩٩/١٥).

واشتغل بالعلم وألَّف فيه: كتاب التاريخ، وكتاب الرسائل، وكتاب الأمم السالفة، ومن أسرة آل جراح عم الوزير مُحَّد بن داود بن الجراح، اتصل بالخلفاء فأسهم في قطاع الإدارة المالية والتنظيمات الإدارية فتولى دواوين الخراج، والضياع الخاصة بالمشرق وتولَّى ديوان الجيش، وكان هذا في عهد الخليفة المكتفي بالله[(١)].

أمَّا والد الوزير علي بن عيسى فكان من ضمن الكُتَّاب الصغار أيام الخليفة المتوكل على الله ٢٣٢- ٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م، وله عدد من الإخوة، نذكر منهم: عبد الرحمن وإبراهيم ومُحَّد، وقد شاركوا في إدارة الدولة إبّان خلافة المقتدر بالله وخلافة المتقي بالله [(٢)]، ولعلي بن عيسى من الأبناء: أبو نصر إبراهيم وعيسى، وجميعهم ساروا على خُطى والدهم علمًا وأدبًا وإدارةً حيث تولى أبو نصر الوزارة للخليفة المطيع لله[(٣)] ٣٣٣-٣٦٣هـ/٩٤٦-٩٧٤م، أمَّا الآخر فقد تولى الكتابة للخليفة الطائع لله[(٤)] ٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٤-٩٩١م، كما تذكر المصادر التاريخية أن الوزير علي بن عيسى خدم في الخلافة العباسية قرابة سبعين عامًا، كانت حافلة بالصدق والأمانة والإخلاص، ولم يكن في يوم من الأيام يسعى لتولي منصب ما، سواء في مجال الكتابة أو مجال الوزارة، وإنما كان الخلفاء هم الذين يكلفونه بالأعمال، ويبحثون عنه ويحضرونه من أصقاع البلاد ليتولى مهام الأمور، فتذكر المصادر أول إشارة له: أنه كان ضمن الكُتَّاب القديرين في عهد الخليفة المعتضد بالله[(٥)] ٢٧٩- ٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م، فقد كان يتولى ديوان المغرب،[(٦)] ثم لمع نجمه وذاع صيته في مجال الإدارة وحسن التدبير، فاستدعاه الخليفة

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٨٦.

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٥٨.

(٣) الفضل بن جعفر، أمير المؤمنين، المطيع لله أبو القاسم بن المقتدر بن المعتضد، بويع بالخلافة سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م، توفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٥م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٤/ ٢٢).

(٤) الخليفة عبد الكريم بن الفضل بن جعفر بن أحمد أمير المؤمنين أبو بكر الطائع لله بن المطيع بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل بن الواثق بن المعتصم، تولى الخلافة سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م، توفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٩/ ٥٩).

(٥) الخليفة أبو العباس، أحمد بن الموفق بالله، ولي العهد، أبو أحمد طلحة بن المتوكل، جعفر بن المعتصم، مُحَّد بن الرشيد الهاشمي العباسي، أحيا رميم الخلافة التي ضعفت من مقتل المتوكل، وأنشأ قصرًا، انفق عليه أربع مائة ألف دينار، توفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٤٩٧).

(٦) الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبي هاجر مُحَّد السعيد بن بسيوني زغلول، (د. ط)، دار الكتب العلمية- بيروت (د. ت)، (٢/٣٥٤).

المكتفي ليوليه أعمال وزارته في عام ٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢- ٩٠٨م[1]، ثم تولى وزارة الخليفة المقتدر بالله فكانت بداية وزارته الأولى سنة ٣٠١-٣٠٤هـ/٩١٣-٩١٦م، أمَّا وزارته الثانية فكانت سنة ٣١٤- ٣١٦هـ/٩٢٦- ٩٢٨م، توفي في آخر سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م وعمره ٩٠ سنة[2].

وكان الوزيرُ حامد بن العباس أبو الفضل، من رجال العلم، ذا شجاعة وإقدام، ولد سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م[3]، كان قديمًا على نظر فارس ثم أضيف إليها نظر السواد سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، ثم كان يتقلد أعمال الخراج والضياع بكسكر[4] وكور دجلة[5] سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م مدة من الزمن في وزارة ابن الفرات الثانية، وكان يعامل أهل هذه الولايات قبل وزارته معاملة حسنة حتى إنه تكفَّل اليتامى والضعفاء، وأجرى لهم المعيشة مع إعطائهم رواتب تكفيهم عن الصدقة، وكثرة صدقاته وبره لهذه الطبقة، فكان من نتائجها زيادة في أمواله،[6] وكان من أسباب تقليد حامد بن العباس لوزارة الخليفة المقتدر بالله بناء على اختيار نصر الحاجب سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م،[7] فضلاً عن كثرة ماله وحشمه فله أربعمائة مملوك يحملون السلاح، وفيهم جماعة أمراء، ويدل ذلك على جوده وعطائه وكرمه، حتى قيل: "كان من أوسع من رأيناه نفسًا، وأحسنهم مروءة، وأكثرهم نعمة، ينصب في داره عدة موائد، ويطعم حتى العامة والخدم، يكون نحو أربعين مائدة؛ لذلك عمل منصب الوزارة دون راتب، وعندما تولى منصب الوزارة كان كبير السن، توفي سنة ٣١١هـ/٩٢٣م.[8]

---

(١) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ٢٨٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥/ ٣٠١).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٩٩/١٣).

(٤) كسكر، بلدة تاريخية واسعة بين الكوفة والبصرة، تقع على نهر دجلة بسواد العراق. (الحموي، معجم البلدان ٤٦١/٤).

(٥) كور دجلة، إذا أطلق هذا الاسم فإنما يراد به كل ما حول البصرة وما بين ميسان إلى البحر كله، يقال له كور دجلة.(الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٤٨٩).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢١١/١١).

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٦٨/٩).

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٥٩/١٤).

ومن الوزراء أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب أبو العباس الخصيبي، تولى الوزارة سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م، وكان قبل ذلك كاتبًا للسيدة شغب أم المقتدر ولثمل القهرمانة[١]، ثم تولى الوزارة للقاهر بالله[٢] سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، وكان من أسباب تنصيبه للوزارة أن ثمل القهرمانة حببت له الوزارة ورغبته بها، وذلك لما تمتع به من أخلاق عالية من الصلاح والعقل وحسن الطبع إلى جانب قوة الشخصية، حيث كان شديد الهيبة والوطأة، وكان أديبًا شاعرًا فصيحًا، بليغًا جميل الخط[٣]، ومما يشير على تميّزه بهذه الصفات أمانته في أموال الخليفة[٤]، وعفته عن أموال الناس حيث أهدى له أمير عباسي مرة مائة ألف دينار فردها[٥].

وفضلاً عن تلك الصفات، له معرفة بأمور الوزارة، فهو معرق في الوزارة، حيث كان جده أحمد بن الخصيب وزيرًا للخليفة المنتصر بالله[٦]، توفي سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م[٧].

أمَّا الوزير أبو القاسم عبيد الله بن مُحَمَّد الكلواذي،[٨] فقد كان أحد الكُتَّاب الكبار، كما أنه كانت له مكانة جليلة في نفوس الناس، حتى رأوا أنَّ فيه كفاية وقيامًا بالأمر،[٩] وكان من أسباب توليته لمنصب الوزارة حزمه في جميع الأمور، وتعامله الصحيح، وإتقانه في عمله، وذكائه ونباهته، لهذا كان يتخذ دائمًا محقق ومناظر للمتهمين، وهذا من أكبر الدوافع والأسباب لاختياره[١٠]، وكذلك ممَّا ساعد على اختياره في منصب الوزارة أنه أحد الكُتَّاب الكبار، وكانت له مكانة جليلة في نفوس الناس، لذلك رأوا فيه كفاية وقيامًا بأمر الوزارة[١١].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١١٣/٦).

(٢) الخليفة أبو منصور بن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس، بويع بالخلافة سنة ٣٢٠هـ/٩٣٤م عند قتل المقتدر، وخلعوه في جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م، وسملت عيناه فسالتا، وحبسوه مدة ثم أهملوه، وأطلقوه فمات في جمادى الأولى سنة ٣٣٩هـ/٩٥١م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٦/٣).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٩٩/١١).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١١٣/٦).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٩٩/١١).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات (١١٣/٦).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٤٩٩/١١).

(٨) ابن الجوزي، المنتظم (٢٩٩/١٣).

(٩) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١٤٠/١).

(١٠) مسكويه، تجارب الأمم، (١٢٧/٥).

(١١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ١٠٩).

كانت أولى مناصبه بداية من وزارة أبي العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب حيث تولى ديوان السواد وفارس والأهواز سنة ٣١٢هـ/٩٣٧م، ثم تولى نظر وأعمال حاجب الخليفة المقتدر نصر بعد القبض عليه بواسط، وفي سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م استخلف عبيد الله بن مُحَمَّد الكلواذي على منصب الوزارة إلى وقت قدوم الوزير علي بن عيسى من المغرب، وقد ضبط عبيد الله بن مُحَمَّد الأمر وقام به بقية تلك السنة، ثم قلد وزارة الخليفة المقتدر بالله في ٢٦ رجب سنة ٣١٦هـ/٩٢٦م، ثم تولى الوزارة الخليفة القاهر بالله سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م، وفي خلافة الراضي بالله استخلف على الوزارة عندما كان الوزير ابن مقلة غائبًا في فارس، توفي عبيد الله بن مُحَمَّد الكلواذي سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤م(١).

ومن الوزراء المشهورين بالخط أبو علي مُحَمَّد بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة، هو رجل بلغ في الخط العربي شأنًا عظيمًا، صاحب خطٍ حسنٍ، أبدع في هندسة حروفها وقدّر مقاييسها وكان خطه يضرب به المثل في عهده، شيخ الخطاطين ومهندس صناعتهم، وهو كذلك وزيرٌ وأديبٌ وشاعرٌ مبدعٌ، وناثرٌ بليغٌ. عُرف هذا الوزير بابن مقلة؛ لأن له أمًّا كان أبوها يلاعبها في صغرها ويقول لها: "يا مقلة أبيها"، فغلب عليها هذا الاسم واشتهرت به، فاتصل هذا الاسم المشهور بابن مقلة(٢)، الذي كان ضمن سلالتها معروفٌ به، فكان بذلك مقلة الزمان وملك الخط والبيان! ولد هذا الوزير ببغداد سنة ٢٧٢هـ/٨٨٩م، في أسرة عملت في الخط زمنًا طويلاً، فكان جده خطاطًا، وأمَّا أبوه فقد كان أستاذه الذي علمه الصناعة(٣).

من أساتذته إسحاق بن إبراهيم الأحول صاحب كتاب "تحفة الوامق"، وتتلمذ أيضًا على ثعلب وابن دريد، وتقلد الوزارة ثلاث مرات في زمن ثلاثة خلفاء عباسيين، هم: المقتدر بالله ٣١٦هـ/٩٢٨م، والقاهر بالله سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، والراضي بالله سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م(٤).

تخافه الملوك وترهبه الجبابرة وله يد باسطة في النحو واللغة ومشاركة في العلوم،(٥) كان

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٩٧.

(٢) الحموي، معجم الأدباء، (٩٣٣/٢).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧٤/١١).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١١٧/٥).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٢٩/١).

رحمه الله بصيرًا بأمور الملك، خبيرًا بأدوات الرئاسة، عالمًا بالقوانين، عارفًا باصطلاح الدواوين، خبيرًا بالحساب، ريانًا من فنون الأدب، حافظًا لمحاسن الأشعار، راويًا لطرائف الأخبار، وكان جلدًا على ممارسة الأمور الديوانية ملازمًا لها من أول النهار إلى الليل.[١]

ومن إنجازات هذا الوزير أنه أول من هندس حروف الخط العربي، ووضع لها القوانين والقواعد، وإليه تنسب بداية الطريقة البغدادية في الخط، وأول من كتب مصنفًا في الخط العربي ذكر فيها مصطلحات هذا العلم البديع، مثل: مصطلحات "حسن التشكيل" وهي التوفية، والإتمام، والإكمال، والإشباع، والإرسال، ومصطلحات "حسن الوضع"، وهي: الترصيف، والتأليف، والتسطير، والتنصيل، كما أنه وضع قواعد دقيقة في ابتداءات الحروف وانتهاءاتها، وفي أصناف بري القلم.[٢]

يقول القلقشندي: "إن ابن مقلة قد اخترع طريقة جديدة للقياس عن طريق النقط، وجعل الريشة وحدةً للقياس، فقد جعل من حرف الألف الكوفي مستقيمًا بعد أن كان منحنيًا من الرأس نحو اليمين كالصنارة، وقد اتخذه مرجعًا لقياساته، وخطا ابن مقلة خطوة أخرى؛ إذ هذّب الحروف، وأخذ الخط الكوفي كقاعدة، وأخرج من هذه الحروف أشكالاً هندسية، وبذلك أمكنه قياس هذه الحروف، وأيضًا ذُكر في صبح الأعشى عن خط ابن مقلة: "ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة إلى الوزير أبي علي مُحَمَّد بن علي بن مقلة، وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها، وعنه انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها"[٣].

ممَّا يعني أن خطه اتسم بالجمال البديع وذاع صيته في الدنيا، وبلغ به درجة عالية في نفوس الناس حتى وصفوه بأنه أجمل خطوط الدنيا، وقال عنه ياقوت الحموي أيضًا: "كان الوزير أوحد الدنيا في كتبه قلم الرقاع والتوقيعات، لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع"[٤]، وقال الثعالبي أيضًا: "خط ابن مقلة يُضرب مثلاً في الحسن؛ لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون بل ما روى الراوون مثله".[٥]

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٣١٥.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، (٤/٤٨٨).

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، (٢/١٨).

(٤) الحموي، معجم الأدباء، (٢/٩٣٣).

(٥) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة (د. ت)، ص٢٠٢.

ترك ابن مقلة عددًا من المؤلفات والرسائل والأشعار بعضها ضاع بفعل الزمن والآخر وصلنا ليدل على عمق ثقافة هذا المبدع، واتساع معرفته بصناعته، وخبرته الواضحة، وفنه الرفيع، ولعل ما ترك لنا شيخ الخطاطين رسالته في الخط المعروفة باسم "رسالة الوزير ابن مقلة في علم الخط والقلم"(١)، والشاهد على إبداع خطّه أنه كتب كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه فهو إلى اليوم عند الروم في كنيسة القسطنطينية، يبرزونه في الأعياد ويعلقونه في أخص بيوت العبادات، ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه.(٢)

أمَّا الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب أبو علي، ولي الوزارة للخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، ولم يكن في وزراء بني العباس أعرف منه في الوزارة، فقد لقَّبه الخليفة المقتدر بالله بعميد الدولة ابن ولي الدولة، كما أن بني وهب من أكثر الأسر التي كانوا يتولون منصب الوزارة في الدولة العباسية في العصر الثاني، حيث كان عبيد الله بن سليمان بن وهب أبو القاسم الوزير الكبير، أبو القاسم، وزير المعتضد(٣)، وتوفي الحسين سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤م.(٤)

أمَّا الوزير أبو جعفر مُحَّد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد، كان مُعْرِقًا في الوزارة، فهو وأبوه وجده وأبو جدّه وزراء، وأبو جعفر هذا وزر للخليفة القاهر بالله سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، توفي سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م(٥).

ونخلص ممَّا سبق أن فترة عهد نفوذ الأتراك ظهرت فيه شخصيات من الوزراء تميَّزت بالصبغة الدينية، وبعضهم جمع ما بين العلم والتفقُّه في الدين، وبعضهم برع في السياسة، وبعضهم في المعرفة والثقافة، وبعضهم تميزت بطول فترة توليهم لمنصب الوزارة واحتكارها لفترة طويلة في أسرتهم لمجموعة من الخلفاء العباسيين، مثل: آل خاقان وبني وهب.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، (٤٨٦/٢).

(٢) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٠٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٩٧/١٣).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٩/١٣).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٣١/٤).

المبحث الثاني

وزراء عصر إمرة الأمراء

(٣٢٤- ٣٣٤هـ /٩٣٦- ٩٤٥م)

استُحدِث منصب إمرة الأمراء لإصلاح الأمور المتردية داخل الدولة العباسية؛ فقد أصبح الخلفاء العباسيون بداية من ٣٢٤هـ/٩٣٦م غير مؤهلين للقيام بأعباء الحكم، وكذلك الحال نفسه بالنسبة للوزراء؛ إذ بات الواحد منهم غير قادر على إمساك زمام الأمور داخل وزارته؛ ولذلك كان استحداث منصب إمرة الأمراء ضرورة حتمية أوجبتها الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الخلافة آنذاك، فأسندت إلى أمير الأمراء قيادة الجيوش وتدبير الشؤون الإدارية والمالية معًا، وفوض إليه تدبير شؤون الخلافة وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الأقاليم، وكان من الطبعي أن يثير هذا المنصب صراعًا كبيرًا بين من يتولَّى هذا المنصب الجديد وأصحاب المناصب الأولى، وبخاصة الوزير؛ لأنه سُلب جميع اختصاصاته.[١]

كان الخليفة المقتدر بالله أول من استحدث فكرة منصب إمرة الأمراء، حيث ولَّى ابن خاله هارون بن غريب هذا المنصب سنة ٣١٧هـ/٩٣٠م، ممَّا أثار غضب مؤنس المظفر، فكان سببًا في خلع الخليفة المقتدر بالله عن الخلافة في المرة الثانية سنة ٣١٧هـ/٩٣٠م، الذي كان يطمع في توليته هذا المنصب، كي يجمع في يده قيادة الجيش، وتدبير الشؤون الإدارية والمالية،[٢] وهكذا فلم يكن المنصب جديدًا، لا في طبيعة عمله ولا من حيث التسمية، وإنما جرت إعادة استخدامه بشكل أوسع في عهد الراضي بالله.[٣]

أول من تقلّد هذا المنصب في عهد الخليفة الراضي أبو بكر مُحَمَّد بن رائق[٤]، وذلك سنة

(١) مسكويه، تجارب الأمم (٥/ ١٢٦). الذهبي، تاريخ الإسلام، (٣٧٤/٢٣).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ٤٤٢).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥/ ١٠٤).

(٤) مُحَمَّد بن رائق أبو بكر الأمير الكبير، كان أبوه من أجل مماليك المعتضد وأدينهم، ولي أبو بكر للمقتدر شرطة بغداد فطلع شهمًا عالي الهمة مقدامًا، فولي واسط والبصرة، فوفد عليه بجكم الأمير فاستخدمه، وترقت حاله، فولاَّه الراضي بالله إمرة الأمراء في سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، وتقدَّمت مكانته، وردت أمور الخلافة إليه، توفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤٣م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٢٦/١٥).

٣٢٤هـ/٩٣٦م[١]، والواقع أن توجُّه الخليفة الراضي إلى ابن رائق كان توجُّهًا مدروسًا، فابن رائق كان المتسلط على أعمال البصرة وواسط، وكان يمتلك مقدرة مالية كبيرة حصل عليها من هاتين المنطقتين الغنيتين، كما أن الخلافة العباسية شهدت منذ سنوات قليلة أي: بعد قتل المقتدر بالله سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م أزمة إدارية ومالية حادة فقلَّده الخليفة مضطرًا إمارة الجيش، كما ولأَّه الخراج والدواوين وأعمال الخراج والضياع والمعاون في جميع النواحي، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في بلدان الخلافة، بعد الدعاء للخليفة الراضي بالله[٢].

فكان من نتائج إنشاء ذلك المنصب، أنْ بطلَ أمر الوزارة، فلم يكنِ الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي، ولا الدواوين ولا الأعمال، ولم يكن له من الوزارة إلا اسمها، والحضور في أيام المواكب إلى دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ويقف ساكتًا، وصار أمير الأمراء مُحَّد بن رائق وكاتبه ينظران في الأمور كلها، وامتدت سلطته بصورة مباشرة إلى رئاسة الجيش وجباية الضرائب وإدارة الحكومة المركزية[٣]، ولم يقتصر تأثير استلام ابن رائق منصب إمرة الأمراء على مكانة الوزير فقط؛ بل إنه أضعف من سيطرة الخليفة الراضي بالله نفسه واستولى على الأمور[٤]، وبقي الخليفة مع ابن رائق صورة بلا معنى[٥].

وفي عهد إمرة الأمراء وهي المرحلة الثانية من المراحل التي مرَّت بها الوزارة العباسية، ولي منصب الوزارة في تلك الفترة عدد من الوزراء، منهم أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح البغدادي، وكان من أسباب تدرجه في المناصب أن والده الحسن كان من وزراء الخلفاء العباسيين حيث وزر للخليفة المعتمد على الله سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م،[٦] فضلاً عن علاقة المودة التي كانت بينه وبين الوزير أبي الحسن بن الفرات، حيث حظي بمكانة خاصة عند الوزير ابن الفرات، وكان من المهام التي كان يقوم بها قبل منصب الوزارة أنه تقلد لعلي بن عيسى مجلس العامة في ديوان الخاصة، ولمَّا وزّر أبو الحسن بن الفرات وزارته الأولى سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م وجد

---

(١) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٨٥. مسكويه، تجارب الأمم، (١٩٨/٥).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (١٩٨/٥).

(٣) الذهبي، العبر، (٢٠٠/٢).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (١٩٩/٥). الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٣٠٤/١١).

(٥) الذهبي، دول الإسلام، ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٣٧هـ، ص١٥٦.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٥٣٢/٩).

سليمان بن الحسن يتقلَّد مجلس المقابلة في ديوان الخاصة من قبل الوزير علي بن عيسى بن الجراح، وهو صاحب ديوان الخاصة، فقلَّده الديوان كله، وكان مدة تقليده سنتين.[١]

واتفق معه على أن يصلي بدلًا منه صلاة المغرب[٢]، ومما ساعده على ذلك سيرته المحمودة التي عُرِف بها، حيث كان بصيرًا بشؤون كتابة الديوان، كما لديه خبرة بتصريف أمور السياسة[٣]، ولذلك أشار علي بن عيسى بن الجراح على المقتدر بالله بوزارة سليمان بن الحسن ابن مخلد فاتَّخذه وزيرًا سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م، فكان مشاركًا لعلي بن عيسى في الوزارة، ثم ولي الوزارة للراضي سنة ٣٢٤ هـ/٩٣٦م، ثم وزر بعده للمتقي لله[٤] سنة ٣٢٨ هـ/٩٤٠م، توفي سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، وعمره إحدى وسبعون سنة، وخلَّف من الولد الحسن ومحمدًا والجراح وعبد الله الفضل وعدة بنات[٥].

أمَّا الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، أخو أبي الحسن علي بن عيسى، فقد كان فاضلاً وكاتبًا سديدًا ووزر للمتقي بمشورة أخيه علي بن عيسى، وكان الساعد الأيمن والمسدد له والنائب له في الأمور، ثم وزر للخليفة الراضي كذلك بمشورة علي بن عيسى سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م، ومن الكتب التي ألَّفها: "سيرة أهل الخراج وأخبارهم وأنسابهم في القديم والحديث"، وهذا الكتاب كبير ولم يتمه، أمَّا الكتاب الثاني: "كتاب التاريخ" فقد بدأ فيه من سنة٢٧٠هـ/٨٨٣م إلى وفاته سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م[٦].

كان الوزير أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن يعقوب البريدي رجلاً طموحًا،[٧] عاصر الخليفة الراضي بالله والمتقي لله[٨]، وتمكَّنت أسرة البريدي من السيطرة على عدة ولايات، والسبب في

(١) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٣٢.

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص١١٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٢٨/١٥).

(٤) الخليفة، إبراهيم بن جعفر أمير المؤمنين، أبو إسحاق المتقي لله، بن المقتدر بن المعتضد، ولد سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م واستخلف سنة ٣٢٠هـ /٩٣٢م بعد أخيه الراضي بالله فوليها إلى سنة ٣٣٣هـ /٩٤٥م، ثم إنهم خلعوه وسملوا عينيه وبقي في السجن حتى توفي سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٢٤/٥).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٢٥/١٥).

(٦) ابن النديم، الفهرست، (١٦١/١).

(٧) التنوخي، نشوار المحاضرة، (١٩٨/٢).

(٨) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٦٨.

ذلك أن الوزير ابن مقلة لما ولى الوزارة قلَّد أبناء البريدي وظائف على أقاليم الخلافة العباسية، وذلك مقابل أن يأخذ منه أموالًا قيمتها عشرون ألف دينار[١]، تمكَّن الابن الأكبر أبو عبد الله مُحَّد البريدي من الوصول إلى منصب الوزارة بعدة اتجاهات:

الاتجاه الأول: القوة حيث تمكن من تكوين جيشٍ، وذلك بما اتصف به أبو عبد الله من الشهامة والمهابة والحزم،[٢] ومن خلال ذلك أشار ابن شيرزاد على الخليفة الراضي بالله أن يتّخذه وزيرًا اتقاء لشرّه؛ فبعث الراضي قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن مُحَّد بن يوسف إليه بالخلع والتقلد سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م[٣]؛ طمعًا في إيقاع الحيلة والقبض عليه، فقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في ذلك قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت، يهجو فيها أبا عبد الله ويؤنب الراضي في توليته وطمعه فيه، أولها:

يا سماء اسقطي ويا أرض ميدي   قد تولى الوزارة ابن البريدي[٤]

أمَّا الاتجاه الثاني: المدارات فقد انضم أبو عبد الله البريدي إلى الأتراك، فأشار ابن رائق على الخليفة المتقي بالله أن يتخذه وزيرًا من أجل مداراته، وكان ذلك سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م[٥].

أمَّا الاتجاه الثالث: المصاهرة فقد تزوج ابن الخليفة المتقي، أبو منصور بابنة أبي عبد الله البريدي،[٦] كذلك من الأسباب التي أدَّت إلى عظم شأنه أنه اتخذه الوزير ابن مقلة محققًا له في سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م، حيث ظلموا نواب الولاة الناس، فلم يبق لهم ما يزرعونه، فبلغ ذلك الوزير ابن مقلة، فأرسل نائبًا له؛ ليحقق في ذلك الوضع، فأرسل ابني البريدي، وكتب يصدقهم، فحصل لهم بذلك مال عظيم، وقويت حالهم، وكان مبلغ ما أخذوه أربعة آلاف ألف دينار[٧]،

---

(١) النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن مُحَّد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت، ٧٣٣هـ/١٣٣٣م). نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ، (٩١/٢٣).

(٢) الذهبي، العبر، (٣٢/٢).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٢٦٣/٣).

(٤) الحموي، معجم الأدباء، (١٧١٩/٤).

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٢٧٣/٣).

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٦٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤٠/٧).

توفي سنة ٣٣٢هـ/٩٤٤م.[١]

ومن الوزراء مُحَمَّد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسكافي القراريطي، أبو إسحاق، من الكُتَّاب، يعمل كاتبًا عند أمير الأمراء مُحَمَّد بن رائق،[٢] وكان من سبب وزارته أنه حضر يومًا مجلس أمير الأمراء توزون،[٣] وهو يصادر قومًا من الكُتَّاب ويعسفهم، فخلا القراريطي ببعض أصحاب أمير الأمراء وقال له: إن استوزرني الأمير نهضت له بأضعاف هذا وجمعت له الأموال، وما أحوجه إلى هذا الصداع! فاستوزره توزون[٤] للخليفة "المتقي" العباسي سنة ٣٢٩ هـ/٩٤١م، وبعد أن عزل من الوزارة نزح إلى الشام، فكان من كُتَّاب سيف الدولة[٥] فترة قصيرة، وقبض عليه -أيضًا- سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، ثم عاد إلى بغداد في وزارة المهلبي، فأكرمه وأحسن إليه ولم يتول عملاً بعد ذلك، وكان يتصف بالدهاء والشدة، والتعسُّف والظلم، عاش ٧٦ سنة، ومات في المحرم سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م[٦].

أمَّا الوزير أبو جعفر مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد بن الفضل أبو جعفر الكرخي، فقد ولد سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م، كان بطيء الكتابة والقراءة، اتَّصف بالكرم واحترام القاصدين إليه[٧]، أشرف أيام الوزير أبي العباس الخصيبي على الموصل وديار ربيعة سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م[٨].

وفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م تقلَّد أعمال الخراج والضياع بالبصرة والأهواز[٩]، ثم تولى وزارة

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١١/ ٤٠٤).

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، (٢/١٠١).

(٣) توزون، أحد القواد الأتراك، خلع عليه المتقي وجعله أمير الأمراء، وهو الذي سمل المتقي بالله وخلعه، وبايع المستكفي ودامت إماراته حتى وفاته سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/٩٢).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٧٧٤).

(٥) سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب، ولد سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م مقصد الوفود، وكعبة الجود، وفارس الإسلام، وحامل لواء الجهاد. كان أديبًا مليح النظم، فيه تشيُّع، وهزم العدو مرات كثيرة. يقال: تم له من الروم أربعون وقعة، أكثرها ينصره الله عليهم. مات بالفالج، وقيل: بعسر البول، في صفر سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م. (الذهبي، سير أغلام النبلاء، ١٦/١٨٨).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٦/١١٢).

(٧) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٧٣.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٦/٧٠١).

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، (١٣/٣٣٤).

الراضي بالله مرتين: المرة الأولى سنة ٣٢٤ هـ/٩٣٦م، والمرة الثانية سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م،[١] وكانت نهاية وزارته الثانية في خلافة المتقي لله،[٢] وكان الكرخي قصيرًا جدًا في غاية القصر، حتى إنهم قطعوا من قوائم سرير الخلافة أربع أصابع حتى يتمكن من مساواة الخليفة، وتطيَّر الناس من ذلك وقالوا: هذا مؤذن بنقض الدولة،[٣] توفي سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م[٤].

أما الوزير أحمد بن مُحَمَّد بن ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان أبو الحسين أبو الخير، تولى ابن ميمون عدة مناصب في عصر الخلفاء العباسيين، كان في بداية الأمر كاتبًا للخليفة المتقى لله ولأمه،[٥] ثم تولى الدواوين أيام الراضي بالله سنة ٣٢٧هـ/٨٨٦م[٦]، وفي أيام المتقي لله كان صاحب بيت المال[٧]، فسعى له الخليفة المتقي لله في أمر الوزارة، وسدَّد عنه كل ما كان يطلب منه؛ وذلك لما فيه من الصفات الحميدة من صلاح، ولعدم شربه الخمر، وممَّا يؤكد ذلك انتشار حب الناس له ورغبتهم فيه،[٨] فكان ذلك من أسباب اختياره للوزارة، تولى الوزارة سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، وتوفي سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م[٩].

وكان الوزير أبو العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني كاتبًا للخليفة المتقي لله على ضياعه سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م[١٠]، ثم أشار كاتب أمير الأمراء أبو الحسين بجكم أحمد بن علي الكوفي ومدبر أمر الدولة على الخليفة المتقي لله له بالوزارة[١١]، فاتَّخذه وزيرًا سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م،[١٢] والسبب في اتخاذه منصب الوزارة ذلك؛ لأن له علاقة بهذا، فكان صديقًا حميمًا له حتى إنه يلجأ ويختبئ عنده في أثناء الأزمات، ومقابل ذلك يعطيه مائتي دينار في الشهر[١٣].

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤٦/٧).
(٢) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٢١٣.
(٣) ابن طباطبا، الفخري، ص٢٧٣.
(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٤٨/٤).
(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦٨/٨).
(٦) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ١٣٣.
(٧) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٨٩/١١).
(٨) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص١٨٧.
(٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦٨/٨).
(١٠) مسكويه، تجارب الأمم، (٤٥/٦).
(١١) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٢٨٦.
(١٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١١٦/٧).
(١٣) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٣٣٨.

أمَّا الوزير علي بن مُحَمَّد بن علي بن مقلة أبو الحسين، فقد كان أبوه وزير الخليفة الراضي بالله، استنابه في الوزارة سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م، وعندما ولى الراضي بالله ابنيه الأمير أبا جعفر وأبا الفضل المشرق والمغرب جعل أبا الحسين علي بن أبي على بن مقلة. وعندما كان أبوه وزير الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م استنابه في الوزارة، وأمر الخليفة الراضي بالله أن يخاطب بالوزارة -أيضًا- وأن يكون ناظرًا في جميع الأمور مع والده ولا ينفذ لأبيه توقيع إلا بعد عرضه على أبي الحسين وتوقيعه عليه، وولي الوزارة للخليفة المتقي لله سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م حيث اختاره لرغبته فيه ومحبته إليه مع إرسال أبي الحسين علي بن مُحَمَّد بن مقلة مالًا للمتقي لله لاختياره لهذا المنصب، [١]، توفي الوزير علي بن مُحَمَّد بن مقلة سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م[٢].

و ممَّا سبق يمكننا القول: إن هناك أسبابًا شتى لتولي الوزراء منصب الوزارة في عهد إمرة الأمراء، منها: أسباب سياسية، وإدارية، وعسكرية، ومالية، واجتماعية، كما أن الوزير لم يصل إلى سلك منصب الوزارة إلاَّ بالتدرُّج بالوظائف الإدارية سواء الوظائف المدنية أو الوظائف الحربية في الخلافة العباسية[٣].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٧٥/٦).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٥٣/٢٢).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١٤٠/١).

المبحث الثالث

وزراء العصر البويهي

(٣٣٤- ٤٤٧هـ / ٩٤٥- ١٠٥٥م)

لما دخل البويهيون[١] بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م استأثر أمراؤهم بالسلطة دون خلفاء بني العباس، وشاركوهم في بعض مظاهر سيادتهم الدينية وانفردوا باتخاذ الوزراء، بينما اكتفى الخلفاء بكُتَّاب يديرون شؤونهم [٢]

ومن وزراء العصر البويهي ابن حاجب النعمان مُحَمَّد بن علي بن عبد العزيز بن إبراهيم، أبو الفضل الكاتب، جده عبد العزيز أبو الحسين أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة الكتابة بالدواوين، وكان أيام معز الدولة البويهي واليًا على ديوان السواد، وكانت وفاته سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م[٣]، ويعتبر أحد الكُتَّاب الحذَّاق بأمور الديوان، له مؤلفات في الهزل، منها: كتاب الصبوة، وكتاب أشعار الكتاب، وكتاب الفصل في الولاية والعزل، وكتاب الغرر ومجتنى الزهر، وكتاب النساء[٤].

---

(١) كان أبو الحسن علي بن بويه وأخواه الحسن وأحمد جنودًا مرتزقة في جيش القائد الديلمي ماكان بن كالي وارتقوا بسرعة إلى مرتبة الأمراء، ثم فارقوه بعد أن ضعف أمره، وانحازوا إلى قائد آخر هو مرداويج بن زيار الذي امتدت سلطته إلى حدود العراق حوالي عام ٣٢٠هـ /٩٣٢م، وقد رحب مرداويج أول الأمر بانحياز علي بن بويه وأخويه إليه، ثم ولى عليًّا بلاد الكرج سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، ثم قويت نفسه حتى استولى على أصبهان وقم وقاشان وكرج والري سنة ٣٢٢هـ /٩٣٤م، ثم سير علي بن بويه أخاه الأصغر أحمد إلى الأهواز فاستولى عليها ثم سار إلى واسط فاحتلها ومنها سار إلى بغداد ودخلها سنة ٣٣٤هـ /٩٤٦م، وهكذا استطاع بنو بويه دون غيرهم من الفرس أن يؤسسوا دولة فارسية ذات ثلاث عواصم كبرى، هي: الري، وشيراز، وبغداد. وكان عدد الخلفاء العباسيين الذين عاصروا الحكم البويهي في العراق حتى سقوطها سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م خمسة، وهم: الخليفة المستكفي بالله ٣٣٤هـ/٩٤٦م، والمطيع لله ٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٦- ٩٧٤م، والطائع لله ٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٤- ٩٩١م، والقادر بالله ٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م، والقائم بأمر الله ٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١- ١٠٧٥م. (مسكويه، تجارب الأمم، ١٥٧/٥، وما بعدها).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات (٣٠٩/١٦)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٣٣/٢٦).

(٣) الحموي، معجم الأدباء، (١٥٦٧/٤).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٨/ ٢٨٣.

كان أبوه أبو الحسن علي بن عبد العزيز قد عمل كاتبًا للخليفة الطائع لله، ثم للقادر بالله بعده، وذلك في شوال سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، ولقِّب برئيس الرؤساء، وخدم خليفتين أربعين سنة، حيث اتخذه الخليفة القادر بالله[١] وزيرًا سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م، فلمَّا استخلف القائم بأمر الله[٢] سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م وزر له، وكان أديبًا شاعرًا[٣]، توفي سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م[٤].

ثم تولى الوزارة في عهد بني بويه أبو القاسم، علي بن الحسن بن الشيخ أبي الفرج بن المسلمة، الذي كان مولده في شعبان سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٧م، ولاه الخليفة القائم بأمر الله النظر في أمور خدمته سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م، وقدَّمه على حاشيته،[٥] ثم اتخذه كاتبًا له، وفي سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م استوزره، ولقبه جمال الورى، شرف الوزراء رئيس الرؤساء، وكان عزيزًا جدًا على الخليفة، كان من أكابر العلماء ونبلائهم[٦]، والشاهد على ذلك أنه كان مطلعًا على علوم كثيرة، فما من شيء من هذه العلوم إلا وقد رزقه الله منه نصيبًا[٧] حيث حفظ القرآن، ودرس الفقه، والفرائض، والنحو، والعروض[٨].

---

(١) الخليفة، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله، أبو العباس، القادر بالله أمير المؤمنين، ولد سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م،بويع بالخلافة في الحادي عشر رمضان سنة ٣٨١هـ/٩٩١م. كان من أهل الستر التهجد، وكثرة الصدقات، وصنف كتابا في الأصول،كان يقرأ كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي، ويحضره الناس وكانت مدة خلافته إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر، توفي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م (الذهبي، تاريخ الإسلام ٣٤٧/٩).

(٢) الخليفة أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر العباسي، ولد سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م. وكان مليحًا وسيمًا أبيض بحمرة، دينًا ورعًا متصدقًا. له يد في الكتابة والأدب، وفيه عدل وسماحة. بويع يوم موت أبيه بعهد له منه في ذي الحجة، سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م. وأبوه هو الذي لقبه. توفي القائم بأمر الله في ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/ ١٤١).

(٣) الحموي، معجم الأدباء، (١٨٠٦/٤).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩١/٤).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٣٠٢/١٥).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٨٩/١٣).

(٧) البغدادي، تاريخ بغداد، (٣٢٦/١٢).

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، (٤٢/١٦).

ولهذا اجتمع فيه من المميزات ما لم تجتمع في أحد قبله، حيث وصفه الذهبي وصفًا دقيقًا فقال: "من سداد مذهب، ووفور عقل، وأصالة رأي"،[1] وقال البغدادي: "وحسن اعتقاده"،[2] حتى وصفه ابن العمراني وصفًا جميلاً حيث قال: "وكان رئيس الرؤساء صدرًا يملأ العين منظرًا وفضلاً وبراعة وسياسة وعقلاً وتدبيرًا"[3]، ومما تحلى به من الصفات كان من خيار الوزراء العادلين[4].

ومن الوزراء أبو الطاهر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن بقية بن علي العراقي الأواني نصير الدولة، كان من جلة الوزراء وأكابر الرؤساء وأعيان الكرماء[5]، وزير عز الدولة بختيار[6] بن معز الدولة، كان أبوه فلاحًا[7]، وكان يعمل في عهد الأمير معز الدولة ضامنًا لمدينة تكريت وأعمالها. ثم تقلَّد بعد وفاته الإشراف على مطبخ الأمير عز الدولة بختيار، ومن ثم أخذ ابن بقية يعمل على توثيق علاقته بهذا الأمير عن طريق الهدايا الثمينة التي كان يقدّمها له، حتى بلغ علو مكانته لدى الأمير البويهي، أنه أصبح من المتعذَّر الاتصال به إلا عن طريق ابن بقية وبواسطته[8]،

أدَّى هذا النفوذ الذي تمتع به ابن بقية إلى الاصطدام بالوزير أبي الفضل الشيرازي فانتهز أعداء هذا الوزير الفرصة، وأخذوا يلتفون حول ابن بقية ويدفعونه إلى طلب الوزارة، مع أنه كان غير مؤهل لها [9]، وهكذا وصل ابن بقية إلى منصب الوزارة مع أنه لم تكن له دراية بالأعمال الإدارية، ولا يحظى بتقدير الناس واحترامهم؛ لضعف شأنه[10]، ومع اتفاق المؤرخين والكُتَّاب على أن ابن بقية كان لا يستحق الوزارة إلا أن بعضهم وصفه بالكرم والسماحة وسعة

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/٣٨٩).

(٢) البغدادي، تاريخ بغداد، (١٢/٣٢٦).

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٨٨.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/٣٨٩).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/٩٨).

(٦) صاحب العراق، الملك، أبو منصور بختيار بن الملك معز الدولة أحمد بن بويه بن فناخسرو الديلمي، قتل سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/٢٢٢).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٦/٢٢١).

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، (٢/٢٨٦).

(٩) مسكويه، تجارب الأمم، (٢/٣١١).

(١٠) الثعالبي، تحفة الوزراء ص٥١. ابن الجوزي، المنتظم، (٧/٥١).

الصدر[1]، وأن كرمه كان يغطي عيوبه[2]، وقد استوزره الخليفة المطيع لله أيضًا، فلقَّبه الناصح سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م.[3]

ولقد عاصر ابن بقية الأمير البويهي عز الدولة بختيار واتخذه وزيرًا له سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م، وكان ابن بقية قدَّم للأمير عضد الدولة سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م مساعدات كثيرة خلال إقامته في بغداد فكافأه عضد الدولة بأن عينه وزيرًا لابنه أبي الحسين وعرض عليه ما يشاء أن يتقلده من أعمال، فاختار ابن بقية واسط وتكريت [4]، واستمر ابن بقية حتى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م حيث توفي ببغداد[5].

ومن وزراء هذا العصر الوزير الفتح منصور بن أحمد بن دارست، كان أبوه في أول أمره تاجرًا للملك البويهي أبي كاليجار[6][7] ثم ولي الوزارة للقائم بأمر الله. وكان سبب وزارته أن الخليفة القائم بأمر لله استشار بعض أعوانه وخاصة المقربين إليه فيمن يرونه أهلاً لتولي وزارته، فأشاروا عليه بتولية أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست لخبرته الإدارية وأمانته، فقبل الخليفة تزكيتهم، وأسند وزارته إلى ذلك الشخص سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م[8].

كان مشهورًا بالتجارة لذلك كان يقدِّم خدمات مالية للناس دون أن يأخذ مقابلاً؛ وبناء على هذا اختاره هذه الخليفة لمنصب الوزارة وذلك سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م، فأحضر أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست من الأهواز إلى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة، وجلس في منصبه،

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم (٦١/٧). ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢٠٣/٤).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (٦١/٧).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٢١/١٦).

(٤) تكريت، بلدة مشهورة بين بغداد والموصل. (الحموي، معجم البلدان، ١٤٢/٤).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٧٧/٢).

(٦) أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بويه السلطان، صاحب العراق، أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه. تملك بعد ابن عمه جلال الدولة، فكانت مدة حكمه خمس سنين، وعاش أربعين سنة، وقهر ابن عمه الملك العزيز، ومات سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٩م بكرمان، وحكم بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر، وانتهت دولة بني بويه، وقامت دولة بني سلجوق. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦٨١/١٧).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٧٢/٨).

(٨) الأصفهاني، عماد الدين مُحَّد بن مُحَّد، (ت، ٥٩٧/١٢٠٠م). تاريخ دولة آل سلجوق، قرأه وقدّم له: يحيى مراد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ، ٢١.

وعاد في آخر حياته إلى الأهواز؛ وتوفي بها سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م[١].

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٠/٩).

المبحث الرابع

وزراء العصر السلجوقي

(٤٤٧- ٥٩٠هـ / ١٠٥٥- ١١٩٤م)

في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م خلف السلاجقة[١] البويهيين في حكم بلاد المشرق الإسلامي، فعملوا على الاستفادة من ضعف الخلافة العباسية الناجم عن ثورات الجند وانتشار الدعوة العبيدية في العراق وفارس وقيام حركة البساسيري[٢]، فاستأثروا بجميع السلطات في الدولة؛ فأصبح الخليفة العباسي مجردًا من سلطاته حتى في داخل حاضرة الخلافة، وقد ترتب على وجود وزير للسلطان ووزير للخليفة حدوث احتكاك بينهما؛ وكان وزير السلطان أكثر نفوذًا وسلطة من وزير الخليفة، ولم يبق للخليفة العباسي سوى بعض المظاهر والرسوم، وأعلن طغرل بك نفسه كخادم للخلافة العباسية، وخلع عليه الخليفة لقب السلطان، وفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٦م تولى مهام الوزارة للخلفاء العباسيين في العهد السلجوقي عدد من الوزراء، وكان أولهم:

الوزير مُحَّد بن مُحَّد بن جهير أبو النصر فخر الدولة، ولد بالموصل عام ٣٩٨هـ/١٠٠٨م وبها نشأ، عاش بداية حياته في هذه المدينة خاليًا من المال والجاه فقيرًا معدمًا، يكد لغرض نيل العيش الرغيد، واستمرت به الأحوال هكذا لحين اتصل بإمبراطور الروم عندما مضى برسالة إليه، فمن خلالها منحه الإمبراطور مبلغًا قدره عشرون ألف دينار، وبذلك تغيَّر أمره من فقير معدم إلى ثري مالك[٣].

---

(١) السلاجقة: مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم "الغز"، كانت تسكن الهضاب القريبة من بحيرة خوارزم (بحر آرال) ونهري سيحون وجيحون. وقد ابتدأت الدولة السلجوقية واشتد ملك السلطان طغرلبك مُحَّد وأخيه جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق سنة ٤٣٢هـ/١٠٤١م. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٥/٢٢٦- ٢٣٦).

(٢) أبو الحارث البساسيري الملقب بالمظفر ملك الأمراء آرسلان التركي، البساسيري، نسبة إلى تاجر باعه من أهل فسا. ترقت به الأحوال إلى أن خرج على الخليفة القائم بأمر الله وخلع طاعته، قتل سنة ٤٥١هـ/١٠٩٥م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ١٣٣).

(٣) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م). المختصر في أخبار البشر، تحقيق: مُحَّد زينهم، مُحَّد عزب ويحي سيد حسين، تقديم: حسين مؤنس، ط١، دار المعارف، (د. م. ت)، (١٨١/٢).

وبعد ذلك اتصل الوزير فخر الدولة مُحَمَّد بن جهير بوالي ميّافارقين[١] وديار بكر[٢]، استوزره معز الدولة بن صالح بن مرداس، بعدها نال وزارة أحمد بن مروان بن دوستك الكردي، وراسل الخليفة القائم بأمر الله فخر الدولة، وتم تعيينه وزيرًا له مرتين: المرة الأولى عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م[٣]، والمرة الثانية سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م[٤].

ولما ولي المقتدي بأمر الله الخلافة[٥] سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م أقر فخر الدولة بن جهير على وزارته، بناء على وصية من الخليفة القائم بأمر الله، وانتهت حياة الوزير فخر الدولة بن جهير سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، بمدينة الموصل[٦].

أمَّا الوزير عميد الدولة أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن جهير، فقد كان أديبًا فاضلاً بليغًا، سخيًا وله هيبة شديدة، قليل الكلام، وقائدًا عسكريًا محنكًا، قاد الجيوش لفتح الموصل، وكان من أعظم الوزراء وأبعدهم أثرًا في سياسة الدولة وتدبيرها، فضلاً عن ذلك فقد عرف بحسن سفارته وأداء مهامه بنجاح، بحيث كسب ثقة الخلفاء وسلاطين السلاجقة، وتعد هذه الصفة من عوامل وصول عميد الدولة بن جهير إلى منصب الوزارة، ففي عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م أرسله الخليفة القائم بأمر الله إلى الري[٧]، وكان الهدف من سفارته هذه هو تحقيق اتفاقية مراسيم خطبة ابنة السلطان ملكشاه[٨] لولي العهد المقتدي بأمر الله[٩]، ولما أثبت عميد الدولة بن

---

(١) ميّافارقين، أشهر مدينة بديار بكر، قالوا: سميت بميّا بنت؛ لأنها أول من بنيت. (الحموي، معجم البلدان، ٢٣٥/٥).

(٢) ديار بكر، هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان، وحدّها ما غرّب من دجلة إلى بلاد الجبل المطلّ على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وآمد وميّافارقين. (الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٤٩٤).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٣١/٥).

(٤) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٦.

(٥) الخليفة المقتدي بأمر الله، أبو القاسم عبيد الله بن ذخيرة الدين، مُحَمَّد بن القائم بأمر الله، عبد الله بن القادر بالله، أحمد بن إسحاق بن المقتدر العباسي. تسلم الخلافة بعهد من جده يوم ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ هـ/١٠٧٤م وهو ابن عشرين سنة، كان حسن السيرة وافر الحرمة. أمر بنفي الخواطئ والقينات وأن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر. وفيه ديانة ونجابة وقوة وعلو همة. توفي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وكان عمره ٣٩ سنة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤٤٤/١٣).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، (٥٤/٩).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٧٦/١٩).

(٨) السلطان الكبير جلال الدولة، أبو الفتح ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان، مُحَمَّد بن جغري بك السلجوقي، التركي، توفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧٥/١٩).

(٩) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٤٥-٤٦.

جهير حسن سفارته وأداء مهمته بنجاح، زاد من استحسان ورضا الخليفة عليه، ممَّا دفعه إلى استوزاره وتكريمه بالخلعة[١].

كما نال الوزير عميد الدولة بن جهير رضا السلطان السلجوقي ملكشاه، ممَّا دفع بالسلطان إلى أن يأمر أتباعه بتقديم الهدايا الثمينة والخلع لعميد الدولة، ومن ثم توديعه بموكب فخم في أثناء مروره في مدينة أصفهان[٢]، كما نال عميد الدولة رضا الوزير السلجوقي نظام الملك أبي علي الحسن الطوسي، حيث زوّجه ابنته زبيدة في هذه السفرة[٣]، بحيث أصبح هذا الزواج محل خير لعميد الدولة، حيث أعيد للوزارة بعد أن خلعه الخليفة العباسي، ويذكر ابن الجوزي أن الخليفة القائم بأمر الله كان معجبًا بابن جهير، فقد خاطب المقتدي بقوله: "يا بني، قد استوزرت ابن المسلمة وابن دارست وغيرهما فما رأيت مثل ابن جهير"[٤]، بقي عميد الدولة وزيرًا للخليفة المقتدي بأمر الله حتى عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[٥].

وفي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ولي عميد الدولة بن جهير الوزارة للمرة الثانية بوساطة الوزير نظام الملك، ويروى أن هذا الوزير وكبار أمراء السلاجقة ساروا إلى عميد الدولة، وهنؤوه بالوزارة.[٦]

ولما تولى المستظهر بالله[٧] الخلافة في سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، أقر عميد الدولة في الوزارة[٨]، فظل يلي وزارته حتى عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م.[٩]

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٧٦/١٩).

(٢) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٤٥- ٤٦.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٣١/٥).

(٤)المنتظم، (١٨١/٩).

(٥) الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي الأزرق، (٥٧٧هـ/١١٨١م). تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، (د. ط)، القاهرة، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م. ص ٢٠٨.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، (٥٧/٩).

(٧) أمير المؤمنين، أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة، مُحَمَّد بن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر الهاشمي العباسي، مولده في شوال، سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، واستخلف عند وفاة أبيه في تاسع عشر المحرم، وله ست عشرة سنة وثلاثة أشهر، سنة ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م. كان موصوفًا بالسخاء والجود، ومحبة العلماء، وأهل الدين، والتفقد للمساكين، مع الفضل والنبل والبلاغة، وعلو الهمة، وحسن السيرة، وكان رضي الأفعال، سديد الأقوال، توفي سنة ٥١٢ هـ/١١١٨م وعمره ٧٠ سنة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١٤).

(٨) ابن الجوزي، المنتظم (٥٨/٩).

(٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان (١٣٢/٥).

كان كثير الصدقات واسع المعروف خاصة على العلماء[1]، ويذكر ابن خلكان أن الوزير نظام الملك كان معجبًا بعميد الدولة، كما كان هذا الوزير من المهتمين بالأدب والحديث والفقه، ودرس مختلف أنواع العلوم[2].

ومن الوزراء المشهورين الوزير ظهير الدين أبو شجاع مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم من أهالي روذراور[3]، ولد سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٦م، يقول ابن الجوزي: إن الوزير أبا شجاع يعود أصله إلى بلدة من نواحي همذان، أهوازي المولد[4]، ولي أبو شجاع الوزارة للمرة الأولى في سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م[5]، ثم للمرة الثانية في سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[6]، وكان الوزير أبو شجاع رجلاً دينًا خيرًا كثير البر والصدقات، وكان -يرحمه الله- يملك ثروة هائلة بلغت حوالي ستمائة ألف دينار أنفقها على الفقراء والضعفاء والمحتاجين[7]، يقول أبو جعفر الخرقي: كنت أنا من أحد عشر يتولون إخراج صدقاته، فحسبت ما خرج على يدي فكان مائة ألف دينار، ووقف الوقوف وبنى المساجد وأكثر الإنعام على الأرامل. وكان هذا الوزير محبوبًا محترمًا يؤيده أكثر العامة[8].

ويصف ابن خلكان حالة الخلافة في عهده، فيقول: "كانت أيامه (أبو شجاع) أوفى الأيام سعادة، وبركة على الرعية، وأعمها أمنًا، وأشملها رخصًا، وأكملها صحة، وقامت للخلافة في نظره من الحشمة والاحترام ما أعادت سالف الأيام"، وظل أبو شجاع يلي وزارة الخليفة المقتدي بأمر الله حتى عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م[9].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم (١١٨/٩).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان (١٣١/٥).

(٣) روذراور، كورة قرب نهاوند من أعمال الجبال، فيها ثلاث وتسعون قرية متصلة بجنان ملتفة وأنهار مطّردة منبتها الزعفران، وفي أشجارها أنواع الفواكه. (الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٨٧).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، (٩٠/٩).

(٥) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م). طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود مُحَمَّد الطناحي وعبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، ط٢، هجر للطباعة، (د. م)، ١٤١٣هـ، (١٣٧/٤).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، (٦/٩).

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٢/ ١٣٧).

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، (٩١/٩).

(٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٥/ ١٣٦).

قال عنه ابن كثير: "كان من خيار الوزراء، كثير الصدقات والإحسان إلى العلماء والفقهاء وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره وصنَّف كُتبًا، ووقف الوقوف الحسنة، وأكثر الإنعام على الأرامل والأيتام، قال له رجل: إلى جانبنا أرملة لها أربعة أيتام وهم عراة وجياع، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعامًا، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد، وقال: والله لا ألبسها حتى ترجع إليَّ بخبرهم، فذهب الرجل مسرعًا فقضى حاجتهم وأوصلهم ذلك الإحسان، ثم عاد والوزير يركض من البرد فلما أخبره عنهم بما سرَّه لبس ثيابه. وجيء إليه مرةً بقطائف سكر، فلما وضعت بين يديه تنفض عليه بمن لا يقدر عليها، فأرسلها كلها إلى المساجد وكانت كثيرة جدًّا، فأطعمها الفقراء والعميان، وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء، فإذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه، وكان كثير التواضع مع الناس، خاصتِهم وعامَّتِهم"(١).

قال عنه الذهبي: "وكان كثير التلاوة والتهجُّد، ويكتب مصاحف، ويجلس للمظالم، فيكتظ الديوان بالسادة والكبراء، ويُنادي الحُجّاب: أين أصحاب الحوائج؟ فيُنصف المظلوم، ويؤدِّي عن المحبوس، وله في عدله حكايات في إنصاف الضعيف من الأمير، وخلعت عليه بنت السلطان ملكشاه حين تزوَّجت بالمقتدي، فاستعفي من لبس الحرير، فأرسلت له عمامة بمائتين وسبعين دينارًا فلبسها، وكان كاملاً في فنون الأدب، وله يد بيضاء في البلاغة والبيان وكتابته طبقة عالية على ابن مُقلة"، ثم حج ونزل المدينة وتزهد، ومات بها ودفن بالبقيع سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م وكان عمره ٥١ سنة(٢).

أمَّا الوزير سديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الأصفهاني،(٣) فقد اتخذه الخليفة المستظهر بالله وزيرًا في شهر رمضان سنة ٤٩٥ هـ/١١٠٢م(٤).

أمَّا الوزير هبة الله بن مُحَّد بن علي بن الحسن بن المطلب الكرماني أبو المعالي بن أبي سعد الكاتب، فقد كان كاتبًا مجيدًا حاسبًا سديدًا، انفرد في زمانه بكتابة الحساب وتدبير الضياع، كان رجلاً كافيًا من كفاية الدولة العباسية، ولي ديوان الزمام في أيام المستظهر بالله سنة

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٥١/١٢).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٠/١٩).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/ ٦٢٧).

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٣١٥.

٤٨٧هـ / ١٠٩٤م[١]، وكان من علماء الوزراء وأفضلهم وأخيارهم،[٢] وكان ذا معروف وبرٍّ، يلقب بمجير الدين، له خبرة وفضيلة وذكاء،[٣] وقد تفقَّه على يد مجموعة من الفقهاء وكان يحفظ السير والتواريخ، وكان كثير الصدقة والمعروف، وتقلد الوزارة سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م للخليفة المستظهر بالله، حتى ساد وعظم شأنه، وقد زوج ابنته بالوزير أبي علي بن صدقة، وتوفي أبو المعالي سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٧م، وله ٨٤ سنة. وكان زاهدًا في حياته حتى قال:

إذا كـــان لله البقـــاء وكلنـــا يصـير إلى مـوت فمـاذا التنـافس[٤]

أمَّا الوزير أبو علي بن صدقة جلال الدين الوزير الحسن بن علي بن صدقة أبو علي بن أبي العز الوزير الملقب بجلال الدين فقد ولد بنصيبين[٥] سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م وخدم بعد وفاة أبيه عند الأمير إبراهيم بن قريش بن مسلم وكان عمره عشرين سنة، فلما قبض على إبراهيم هرب من الموصل إلى بغداد وولي نظر واسط وغير ذلك من الولايات[٦] وأعمال السواد[٧]، ثم ولي نظر ديوان الزمام، ثم ولي الحلة وبقي مدة ثم عاد إلى الديوان، ولم يزل يخدم تارة ببغداد وتارة بأعمالها إلى أن توفي الوزير أبو شجاع الحسين بن الوزير أبي منصور بن أبي شجاع بأصبهان سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، وكان أبو علي بتكريت فاختاره للوزارة وكتب له بذلك وطلبه منه الحضور من الديوان، فحضر إلى بغداد وتولي الوزارة وكان ذلك بسبب ميل قلوب الناس إليه وحبهم له، ولقد اتسمت حياته بعلو القدر والاحترام سواء قبل منصب الوزارة أو في أيام الوزارة أو بعدها [٨].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٢٨/٢٧).

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٩٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٨٤/١٩).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٢٨/٢٧).

(٥) نصيبين: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قراها –على ما يذكر أهلها– أربعون ألف بستان، وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه إياها، وقالوا: كان سبب فتحه إياها أنه حاصرها وما قدر على فتحها، فأمر أن تجمع إليه العقارب فحملوا العقارب حتى ضج أهلها، وفتحوا له البلد واستولى عليها عنوة. (الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٥٨٨).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩١/١٢).

(٧) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٩٢.

(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩١/١٢).

وكان فاضلاً عالمًا بقوانين الرئاسة خيرًا، كانت له معرفة بالحساب[(١)]، وتزوج بابنة الوزير أبي المعالي بن المطلب[(٢)]، وكان الوزير أبو علي الحسن بن علي بن صدقة من أفاضل وزراء الخليفة المسترشد بالله، استوزره هذا الخليفة سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ولقَّبه بجلال الدين سيد الوزراء، صدر الشرق والغرب، ظهير أمير المؤمنين[(٣)]حتى اثني عليه ابن العمراني بقوله: "وكان كاتبًا بليغًا فصيحًا كريمًا كافيًا، يملأ العين والقلب، وكان له رواء ومنظر وسكينة، وكان حسن التدبير للأمور، محبًا لأهل العلم، كثير الميل إلى أرباب الصلاح والدين[(٤)]، وقال بعض الشعراء يرثيه، وكان منهم ابن الأقفاصي:

نـــزورك في ثـــوبي خشـــوع وذلـــة　　　كأنـــك ترجـــى في الضـــريح وترهـــب

ونلـــثم تـــربا مـــن رفيـــع محجـــب　　　كمـــا يلـــثم البيـــت الرفيـــع المحجـــب

توفي سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م[(٥)].

كما أن الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي أبو القاسم، كان نقيب النقباء في أيام الخليفة المستظهر بالله[(٦)]، وكانت له مكانة مرموقة ومنزلة عظيمة، وهو من أصل له حسب ونسب عظيم[(٧)]، وقد امتاز هذا الوزير بصفات حميدة جعلته يتصدَّر وظائف الدولة المهمة، فقد امتاز بحسن تدبيره للأمور داهية، شجاعًا، مهيبًا، فضلاً عن ذلك كان عالمًا محبًا لأهل العلم يقرأ القرآن والحديث، وكان مجلسه عامرًا بالفقهاء، ويخلو بنفسه للعبادة، وكان حنفي المذهب بارعًا به[(٨)]، كان والده ساد الدهر رتبة، وعلوًا، وفضلاً، ورأيًا، وشهامة، ولي نقابة البصرة ثم بغداد، وتمتع بسمعه وبصره وقوته، وترسَّل عن الديوان، فحدَّث بأصبهان، وكان

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٩٢.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩١/١٢).

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٩٢.

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١٠.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩١/١٢).

(٦) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٢٢.

(٧) ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن مُحَمَّد، أبو يعلى التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، تاريخ دمشق، تحقيق: د سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣٥٦.

(٨) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٣٥٦.

يحضر مجلس إملائه جميع أهل العلم، لم ير ببغداد مثل مجالسه، وقد أملى بمكة وبالمدينة، وألحق الصغار بالكبار، كان حنفيًا من جلة الناس، وكبرائهم، ثقة، ثبتًا، توفي سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م[١].

وحظي الوزير الزينبي بثقة الخليفة العباسي المسترشد بالله، فتقرَّب منه، وبعد وفاة الوزير علي بن صدقة سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م ناب علي بن طراد الوزارة من بعده، ثم بعد مدة قصيرة ولاه الخليفة المسترشد بالله الوزارة، وعندما جلس الوزير في دست[٢] الوزارة قال له الخليفة: "كل من ردت إليه الوزارة شرف بها إلا أنت، فإن الوزارة شرفت بك"[٣].

وبعد مقتل الخليفة المسترشد بالله وتولي الخلافة المقتفي لأمر الله[٤]، سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م، استوزر شرف الدين بن طراد الزينبي، فتمتع بسلطة واسعة في وزارته[٥].

كان شرف الدين الزينبي فقيهًا بارعًا في مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان يتمتع بمنزلة رفيعة لدى الناس، هذا فضلاً عما كان يتصف به من حلم وكرم مع معرفة واسعة بقوانين الوزارة ومتطلباتها، بقي شرف الدين الزينبي ملازمًا داره، حتى توفي ٥٣٨هـ/١١٤٤م[٦] وكان عمره ستًا وسبعين سنة[٧].

أمَّا الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فقد تدرَّج في المناصب الإدارية حيث شغل أولاً منصب كاتب ديوان الزمام ببغداد عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م، وفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م نال وزارة

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٩/ ٢٩).

(٢) الدست: هُوَ مِن الثِّيابِ والوَرَقِ وصَدْرِ البَيْتِ لثلاثةِ معانٍ مُعَرَّباتٌ عَن الْمُعْجَمَة. وَاسْتَعْملهُ المتأَخِّرون بِمَعْنى الدِّيوان، ومجلِس الوِزارة، والرآسة، والدَّسْتُ بالفارسيّة اليَدُ، وَفِي الْعَرَبِيَّة بِمَعْنى اللِّبَاس، والرِّياسة، والحِيلة. (الزبيدي، تاج العروس ٤/٤١٨).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٠/٨٤).

(٤) أمير المؤمنين، أبو عبد الله، مُحَّد بن المستظهر بالله، أحمد بن المقتدي بالله، عبد الله بن الذخيرة، مُحَّد بن القائم بأمر الله، عبد الله بن القادر بالله، أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر، الهاشمي العباسي البغدادي الحبشي الأم. مولده في ربيع الأول سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٣م، أقام حشمة الخلافة، وقطع عنها أطماع السلاطين السلجوقية وغيرهم، توفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وعمره ٦٦سنة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/١٦٣).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (١٠/٨٥).

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٥ /٢٧٤).

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٦/٣٣٤).

الخليفة المقتفي لأمر الله[1]، ونتيجة لمكانته المرموقة لدى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله لقبه عون الدين[2]. كما وزر للخليفة العباسي المستنجد بالله،[3] وقد اشتهر الوزير يحيى بن هبيرة باطلاعه الواسع على علوم الفقه والحديث، وكان عالمًا بأمور النحو، بليغًا في كتاباته[4]، شجع العلم والمعرفة من خلال إسهامه ببناء المدرسة في باب البصرة عام ٥٥٧هـ/١١٦٢م، وعندما توفي الوزير ابن هبيرة دفن جثمانه في هذه المدرسة، ولشدة تمسُّكه بمبادئ الدين الإسلامي فقد رفض لبس الحرير، وكان عادلاً، يخصص جزءًا من وقته للنظر في المظالم ونصرة المظلوم[5]، فضلاً عن ذلك فقد عرف عنه سداد الرأي وحسن التدبير[6].

وقد أورد المؤرخون عدة أسباب لتولي ابن هبيرة الوزارة، منها أن الخليفة أمر ابن هبيرة –وكان يتولى ديوان الزمام– أن يكتب للسلطان السلجوقي مسعود[7]، فكتب ابن هبيرة رسالة طويلة للسلطان السلجوقي ذكر فيها ما عرف عن سلاطين السلاجقة من حسن الطاعة والتأدُّب مع الخلفاء، والحرص على الذب عنهم ممن يحاول النيل منهم، وأشار إلى شكوى الخليفة من الشحنة[8]، فكان لرسالته أبلغ الأثر في السلطان نفسه فكتب للخليفة يعتذر

(١) ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م). تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٢/٤٩).

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٢٥.

(٣) الخليفة أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله، محمد بن المستظهر بن المقتدي العباسي. عقد له أبوه بولاية العهد في سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٣م، وعمره يومئذ تسع وعشرون سنة. كان موصوفًا بالعدل والرفق، وأطلق المكوس بحيث إنه لم يترك بالعراق مكسًا، وكان شديدًا على المفسدين، توفي سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ١١٦/١٥).

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٢٥.

(٥) ابن دحية، النبراس، ص١٥٧.

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٥٧.

(٧) غياث الدين أبو الفتح مسعود بن السلطان محمد السلجوقي. استقل بالسلطة سنة ٥٢٨هـ /١١٣٣م بعد أخيه طغرل، وكان سلطانًا عادلًا، وبطلًا شجاعًا، توفي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٠٢/٥).

(٨) الشحنة: وظيفة سلجوقية جديدة، استحدثها السلاجقة، ويُعيَّن صاحبها من قبل السلطان، وهذه الوظيفة أشبه ما تكون بوظيفة المتصرف أو محافظ المدينة في عصرنا، ويتمتع شاغلها بسلطات بوليسية وإدارية، بذلك فهو يشبه (الحاكم العسكري) الذي يقوم بضبط الأمن، فهو مسؤول عن إدارة المدينة والمحافظة على النظام ومعاقبة المسيئين. (حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، (د. ط)، طبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٥م. ص٢٠١. عبد الجبار ناجي، الإمارة المزيدية، (د. ط)، دار الطباعة الحديثة، بغداد، ١٩٧٠م، ص٢٢٢).

ويستنكر ما فعله الشُحنة، كما أوقف الشُحنة عند حده، فسُرَّ الخليفة من ابن هبيرة وزاد تقديره له فولَّاه وزارته(١).

ومن المرجَّح أن السبب في إسناد الوزارة إليه يرجع إلى مشورته على الخليفة المقتفي لأمر الله بألا يؤدي أي مبلغ من المال للسلطان مسعود، مقابل رفع حصاره عن بغداد؛ لأن هذا سيكون حافزًا للسلاجقة للمطالبة بالمزيد، وأشار بصرف المبلغ المطلوب، وقدّره ثلاثون ألف دينار في إعداد جيش للخلافة من الترك والأكراد وأهل بغداد وأعمال العراق؛ لصد قوات مُحَّد شاه، فقبل الخليفة رأي ابن هبيرة، وفوَّضه في إعداد هذا الجيش، فلم تمض أيام قليلة حتى اجتمع عسكر كثير، فخرج به ابن هبيرة لقتال مُحَّد شاه وأصحابه فهزمهم، فلما أيقن الخليفة بحسن رأي ابن هبيرة استدعاه وولاَّه الوزارة سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م(٢).

وظل ابن هبيرة وزيرًا للمقتفي لأمر الله، حتى توفي هذا الخليفة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وخلفه المستنجد بالله، فأقر ابن هبيرة في الوزارة. ويذكر ابن كثير أن الخليفة المستنجد بالله، وعد ابن هبيرة بأن يظل محتفظًا بمنصبه حتى وفاته(٣).

ويصف المؤرخون ابن هبيرة بأنه كان عالمًا فاضلاً، ذا رأي صائب، يقرب أهل العلم من الفقهاء والمحدِّثين والأدباء، ويبالغ في إكرامهم(٤)، وكان ينفق عليهم وعلى الفقراء كل ما يدخل عليه من مال، حتى قيل: إنه لم تجب عليه زكاة قط(٥)، توفي الوزير ابن هبيرة سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م، وكان لابن هبيرة أولاد من أهل الصلاح والتقوى، وهم ظفر بن يحيى بن مُحَّد بن هبيرة أبو البدر أبي المظفر، كان يُلقَّب شرف الدين، ناب عن والده في الوزارة، وكان شابًا ظريفًا لطيفًا أديبًا فاضلاً، ينظم الشعر، وولده مُحَّد الذي لقب بعز الدين، ناب بالوزارة بعد وفاة والده، وكان فاضلاً رئيسًا عبقًا بالسيادة، شاعرًا رشيق المعاني، خبيرًا بالأدب والحديث النبوي(٦).

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢٣١/٦، ٢٣٢).

(٢) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص١٦٢. الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٠٢- ٢٠٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، (٢٥١/١٢).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣٣٣/٦).

(٥) أبو يعلى، مُحَّد بن مُحَّد، (ت، ٥٢٦هـ/١١٣٢م). طبقات الحنابلة، تحقيق: مُحَّد حامد الفقي، (د. ط)، دار المعرفة، بيروت (د. ت)، (١/ ٢٥٦).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٣١٠/١٦).

ونخلص ممَّا سبق أن وزراء العهد السلجوقي للخلافة العباسية على درجة عالية من العلم والآداب والمعرفة والفقه والتأليف، حيث قال ابن العمراني في وصف الوزير ابن هبيرة: "وكان كافيًا يملأ العين والقلب، وكان كاتبًا بليغًا، فصيحًا، عالمًا بالنحو، واللغة، والفقه، والأحاديث، والقرآن العظيم المجيد وتفسيره، وصنَّف كتبًا في ذلك كله. وكان حسن التدبير للأمور السياسية، محبًّا لأهل العلم، كثير الميل إلى أرباب الصلاح والدين. ولو أخذت في ذكر مناقبه وحسن سيرته لجاءت مجلدات عظيمة، ولم أقدر أستقصي على بعضها، ولم يسمع بأن كان لبني العباس وزير مثله قبله ولا بعده ""[١].

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٢٥.

المبحث الخامس

الوزراء منذ نهاية العصر السلجوقي حتى سقوط بغداد بيد المغول (٥٩٠- ٦٥٦هـ /١١٩٤- ١٢٥٨م)

وبعد زوال العهد السلجوقي وقبل سقوط بغداد (٥٩٠- ٦٥٦هـ /١١٩٤- ١٢٥٨م) تولى عدد من الوزراء منصب الوزارة، فكان الوزير أحمد بن مُحَمَّد بن سعيد البلدي، المعروف بابن البلدي كان من رجال الدهر، وكان قبل الوزارة ناظرًا بواسط، فأبان في مدة ولايته عليها عن قوة وجلادة، فعظمت منزلته عند الخليفة المستنجد بالله، فحكم حكم الوزراء وكاتب ملوك الأطراف، ثم تولى رئاسة الديوان سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م[١]، وتحقق للخليفة شهامته وعظم هيبته وإقدامه وشدة وطأته[٢] ودهائه ونبله في أثناء عمله هذا[٣]، لذلك كاتبه الخليفة المستنجد بالله، واختاره للوزارة سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م، فتوجه إلى بغداد ودخل على الخليفة فتوجه وألبسه جبة وعمامة وسيفًا ومركبًا وفرشًا رائعًا، وسكن دار ابن هبيرة، ولما وقف بين يدي الخليفة قال:

بأي لسان أم بأي بيان ... أقابل ما أوليتنيه زماني

فلا زلت يا مولى الأنام مؤيدا ... مدى الدهر حتى يذهب الملوان

خليفة ربا العالمين ووارث النبيين ... والمعدي على الحدثان

لقد سعد الدهر الذي أنت ملكه ... وبات بنوه في غنى وأمان[٤]

(١) اليافعي، أبو مُحَمَّد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت، ٧٦٨هـ/١٣٦٧م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، (٣٣/٢).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٦٢/٧).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٤٥/١٥).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٦٢/٧).

ولقب هذا الوزير بشرف الدين جلال الإسلام معز الدولة سيد الوزراء صدر الشرق والغرب(١)، ولم يزل وزيرًا إلى أن توفي الخليفة المستنجد بالله ثم تولى الخلافة المستضيء بالله(٢) سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م، وفي بداية خلافته توفي ابن البلدي سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م(٣).

أمَّا الوزير عضد الدين، أبو الفرج مُحَمَّد بن عبد الله بن هبة الله بن مظفر، ابن الوزير الكبير رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن المسلمة البغدادي، فقد ولد في جمادى الأولى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، وكان أبوه أستاذ دار(٤) المقتفي لأمر الله سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م، فلما مات ولي هو مكانه، فبقي كذلك إلى أن مات المقتفي، فأقره المستنجد سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م على ذلك ورفع قدره فوق ما كان(٥).

فلما ولي المستضيء بأمر الله الخلافة اتخذه وزيراً سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م، كان حافظًا للقرآن وكان ملازمًا على قراءة القرآن، وكان همه الكبير انشغاله بدراسة الحديث والفقه والأدب(٦)، وكان كثير المعروف(٧)، وله مروءة وإكرام وجود للفقراء حتى كان الناس الذين معه في حياة رخاء وسعة ورفاهية(٨)، فكان إذا وزن الذهب، يرمي تحت الفرش قطعًا كثيرة ليأخذها الفرَّاشون، ولا يرى صبيًّا إلاَّ ووضع في يده دينارًا، وتأثر أولاده به فكانوا يفعلون مثله، وكان له ولدان؛ وهما: كمال الدين، وعماد الدين، ولم يكن كريمًا للفقراء فقط بل كان للعلماء وأهل

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، (٣١٦/١٢).

(٢) الخليفة أبو مُحَمَّد الحسن بن المستنجد بالله، يوسف بن المقتفي، مُحَمَّد بن المستظهر، أحمد بن المقتدي الهاشمي، بويع بالخلافة وقت موت أبيه في ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م، رفع المكوس، ورد المظالم، وأظهر العدل والكرم، وكان حليمًا، رحيمًا، شفيقًا، لينًا، توفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧٠/٢١).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٤٥/١٥).

(٤) مسؤول أستاذ الدار: هو من المناصب الإدارية التي استحدثها العباسيون في منتصف القرن الرابع الهجري، وصاحبها مسؤول عن رعاية دار الخلافة العباسية وصيانتها، وتوفير ما يلزم ساكنيها من أسرة الخليفة. وقد اكتسب منصب أستاذ الدار في مطلع القرن السادس الهجري أهمية كبيرة، حيث أخذ يبرز في صياغة الأحداث الداخلية، وأصبح من حاشية الخليفة التي لها القرار بتنصيب الخليفة أو عزله، وترشيح المقربين لتولي المناصب العليا. مُحَمَّد بن عبد الله القدحات، منصب أستاذ الدار في الخلافة العباسية ما بين ٣٥٢-٦٥٦هـ/٩٨٧-١٢٥٨م، مبحث منشور، مجلة جامعة الملك خالد، المجلد الرابع، العدد السابع، ١٤٢٧هـ، ص٢٥.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٤٦/١٨).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٧٧/٢١).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤٣٢/٩).

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٤٦/١٨).

العلم مكانة خاصة عنده، ويميل إليهم في الجود والإكرام وإسباغ النعم عليهم[١]، لهذا كانت داره مجمعًا للعلماء، ومع هذا كان مهيبًا، كبير القدر، توفي سنة ٥٧٣هـ/١١٧٨م[٢].

وكان الوزير ظهير الدين أبي بكر منصور بن نصر بن العطار الحراني البغدادي قد ولد سنة ٥٣٤هـ/١١٤٠م، ونشأ وتفقَّه على يد مجموعة من العلماء[٣]،كان أبوه من كبار التجار، ولما مات أبوه ترك له أموالاً طائلة فأصبحت له مكانة عظيمة، ولهذا السبب خالط خلفاء الدولة والأعيان، وبذل لهم الأموال، وكان أول اتصاله مع المستضيء بأمر الله قبل أن يكون في الخلافة، فلما بويع بالخلافة سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م ولَّاه بداية الإشراف على الخزانة، ثم ولَّاه الوكالة المطلقة، فعظم شأنه سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م[٤].

وفي سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م قلده الخليفة المستضيء بأمر الله أمور الوزارة، وكان معظم رجال الدولة يحضرون عنده، وكان يولي ويعزل، وكان شهمًا مقدامًا، له هيبة عظيمة وشدة وطأة على المفسدين حتى مات المستضيء[٥].

وفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م تولى الوزارة الوزير الكبير، جلال الدين أبو المظفر عبيد الله بن يونس بن أحمد البغدادي، الأزجي، الفقيه، حيث تلقَّى علومه على يد مجموعة من العلماء[٦]، حيث درس الفقه وقرأ الأصول والكلام، وتلا بالروايات، وكان تلقى علومه في همذان، صنَّف كتابًا في الأصول،[٧] ثم تعلم على يديه مجموعة من الفضلاء[٨]، أمَّا من ناحية عمله فكان في ابتداء أمره أحد الشهود[٩] العادلين[١٠].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢١/٧٧).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩/٤٣٢).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢١/٨٤).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، (١٨/٢٢٢).

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/٥٦٦).

(٦) وقرأ الأصول والكلام على أبي الفرج صدقة بن الحسين. وسمع أبا الوقت، ونصر بن نصر العكبري. وسافر إلى همذان، فقرأ القراءات أو بعضها على الحافظ أبي العلاء. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/٨٤).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢١/٢٠٠).

(٨) عبد العزيز بن دلف، وأبو الحسن بن القطيعي. (الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢/١٠١).

(٩) وقد كان الوزير عبيدالله بن يونس يشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني. (الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢/٦٧٢).

(١٠) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣١٠.

ونظرًا لمكانته العلمية خالط كبار رجال الدولة إلى أن أصبح وكيلاً لأم الخليفة الناصر[١]، ثم زادت مكانته، وعظم قدره، إلى أن ولي وزارة الناصر لدين الله[٢] في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م حيث استدعاه الخليفة يوم الجمعة وخلع عليه خلعة الوزارة الكاملة، ولقب يومئذ جلال الدين، وقبّل يد الخليفة وقال له: "قلدتك أمور الرعية فقدِّم تقوى الله أمامك"، توفي سنة ٥٩٣ هـ/١١٩٧م.[٣]

أما الوزير سعد بن علي بن أحمد ابن الحسين الوزير معين الدين أبو المعالي الأنصاري البغدادي الذي عرف بابن حديدة[٤]، أصله من الكرخ في سامراء، يقال: إنه من أولاد الأنصار، كان من ذوي الوجاهة، وكان في بداية حياته يعمل في ديوان الخلافة [٥]، فكان رجلاً فاضلاً، كثير المال[٦]، سمحًا متواضعًا[٧]، وكان ابن حديدة لديه معرفة تامة بقوانين التجارة أكثر من معرفته بقوانين منصب الوزارة [٨].

كانت داره مجلسًا للوعظ، استوزره الخليفة الناصر الوزارة سنة ٥٨٤ هـ/١١٨٨م، كان حسن السيرة في وزارته، كثير الخير والنفع للناس،[٩] كان سمحًا جوادًا، متواضعًا، كما كان جليلاً وقورًا، حسن السيرة، مشكورًا على الألسن، وكان مقربًا للعلماء والصلحاء، كثير البر،[١٠]. لازم بيته في آخر حياته حتى توفي في شهر جمادى الأولى سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م[١١].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢١/٢٠٠).

(٢) الخليفة أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي مُحَمَّد الحسن بن المستنجد بالله، يوسف بن المقتفي، مُحَمَّد بن المستظهر بالله، أحمد بن المقتدي الهاشمي، العباسي، ولد في عاشر رجب، سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م، وبويع في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين، وكان أبيض، معتدل القامة، تركي الوجه، مليح العينين، أنور الجبهة، أقنى الأنف، خفيف العارضين، أشقر، رقيق المحاسن، نقش خاتمه: رجائي من الله عفوه، توفي سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، وكانت مدة خلافته ٤٧ سنة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/١٧٠).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/٦٧٢).

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٣١٠.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٥ ١٥٢).

(٦) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٣١٠.

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٥/١١٢).

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/٦٨٢).

(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٠/٢٨٦).

(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٤٣/ ٣٦٨).

(١١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٥/١١٢).

أمَّا الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي الرازي، فقد كان من أصل رازي، ونشأ بالري، عاش حياته في بغداد وتوفي بها، كان من أكفأ الرجال وفضلائهم وأعيانهم وذوي الميزة منهم، اشتغل بالآداب في صباه فحصَّل منها طرفًا صالحًا، ثم تبصَّر بأمور الدواوين ففاق فيها.(١)

كان في ابتداء أمره ينوب عن بعض النقباء(٢) وأخذ منهم قوانين الرئاسة، فلما قُتل النقيب عز الدين هرب ولده النقيب شرف الدين مُحَمَّد إلى بغداد مستجيرًا بالخليفة الناصر لدين الله، صحبه نائب نصير الدين بن المهدي سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م.(٣)

ومن هنا بدأت علاقته بالخليفة حتى وثق به، كما أنه من أسباب اختياره للوزارة أنه كان من عقلاء الرجال، فاختبره الناصر فرآه عاقلاً لبيبًا سديدًا فصار يستشير به سرًا فيما يتعلق بملوك الأطراف، فوجد عنده خبرة تامة بأحوال سلاطين العجم، ومعرفة بأمورهم وقواعدهم وأخلاق كل واحد منهم، فكان الناصر كلما استشار به في شيء من ذلك يجده مصيبًا عين الصواب فاستخلصه لنفسه وعينه أولًا نقيب الطالبين،(٤) ثم فوض إليه أمور الوزارة سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م(٥)، واستمر في منصب الوزارة يدير أمورها على أكمل وجه، وكان كريمًا عالي الهمة شريف النفس، توفي سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م(٦).

وفي أيام الخليفة الناصر لدين الله تولى الوزارة ابن برز الوزير مؤيد الدين أبو الحسن مُحَمَّد بن عبد الكريم برز القمي البليغ الكاتب(٧)، هو قمي(٨) الأصل والمولد، قدم إلى بغداد ونشأ فيها وتوفي فيها، ينتسب إلى المقداد بن الأسود الكندي، وكان في ابتداء أمره قد تعلق بخدمة سلاطين العجم، وكان يلوذ ببعض وزراء العجم بأصفهان في حال صباه ولم يبلغ العشرين من عمره، وكان ذلك الوزير قد ضجر من الكتاب الذين بين يديه، ونسبهم إلى أنهم يخافون

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/٥٣٢).

(٢) عز الدين المرتضى القمي، نقيب بلاد العجم كلها. (ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣١٢).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/٥٣٢).

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٣١٢.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/٥٣٢).

(٦) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٣١٢.

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/٢٢٩).

(٨) قمي: كلمة فارسية وهي مدينة تقع بين أصبهان وساوة وأهلها كلهم شيعة إمامية (الحموي، معجم البلدان، ٤/٣٧٩).

تقدماته، فأبعدهم عنه واستكتب القمي؛ ظنًّا منه أنه لمجرد حداثة سنِّه لا يقدم على مخالفة ما يشير به فمكث القمي يكتب بين يديه مدة، وكان ملازمًا لبعض الوزراء وبعض الكُتَّاب في بلدة قم، وحل محل كاتب الإنشاء ولم يغير هيئته في اللبس على قاعدة العجم، ثم ناب في الوزارة سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م وأمور الديوان، ونقل إلى دار الوزارة، وما زال القمي سديد الأمر، تولى الوزارة للناصر.[١]

ولما ولي الظاهر بالله[٢] الخلافة أقره على حاله، قرَّبه ورفع قدره، توفي في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، وكان كاتبًا بليغًا فاضلاً، كامل المعرفة بالإنشاء، يكتب بالعربي والعجمي كيف أراد ويحل المترجم المغلق، وكان حسن الأخلاق مليح الوجه، تخافه الملوك وترهبه الجبابرة، وله يد باسطة في النحو واللغة ومشاركة في العلوم[٣]. كان -رحمه الله- بصيرًا بأمور الملك، خبيرًا بأدوات الرئاسة، عالمًا بالقوانين عارفًا باصطلاح الدواوين، خبيرًا بالحساب، ريانًا من فنون الأدب، حافظًا لمحاسن الأشعار، راويًا لطرائف الأخبار، وكان جلدًا على ممارسة الأمور الديوانية ملازمًا لها من أول النهار إلى الليل[٤].

وفي آخر العصر العباسي الثاني تولى منصب الوزارة ابن العلقمي، وهذا اسم تفوح منه رائحة الخيانة والغدر، اسم ارتبط بجريمة من أفظع الجرائم، وكارثة من أخطر الكوارث، وهي سقوط بغداد حاضرة الخلافة الإسلامية في أيدي التتار.

هو أبو طالب مُحَمَّد بن أحمد بن علي، مؤيَّد الدين الأسدي البغدادي الرافضي المعروف بابن العلقمي ٥٩٣- ٦٥٦هـ/ ١١٩٧- ١٢٥٨م، وقال عنه الزركلي: "وزير المستعصم[٥] العباسي، وصاحب الجريمة النكراء في ممالأة هولاكو على غزو بغداد، اشتغل في صباه بالأدب،

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٣١٥.

(٢) الظاهر بأمر الله، أبو نصر، مُحَمَّد بن الناصر لدين الله الخليفة، أبو نصر مُحَمَّد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء، حسن بن المستنجد، يوسف بن المقتفي الهاشمي، العباسي، البغدادي. ولد سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٦م. وبويع بولاية العهد، ولما ولي الخلافة أظهر العدل والإحسان، وأعاد سنة العمرين، وكان نعم الخليفة، توفي سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، فكانت خلافته تسعة أشهر ونصفًا، وعاش ٥٢ سنة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٢/٢٦٧).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/٢٢٩).

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣١٥.

(٥) الخليفة، أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله منصور بن الظاهر مُحَمَّد بن الناصر أحمد بن المستضيء الهاشمي، العباسي، قتل سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ١٧٨).

ووثق به المستعصم فألقى إليه زمام أموره، وكان حازمًا خبيرًا بسياسة الملك، كاتبًا فصيح الإنشاء"[١]، شغل منصب أستاذ الدار أو الأستاذ دارية عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م[٢].

ثم اتخذه الخليفة المستعصم بالله وزيراً سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، وقد أورد ابن كثير ذلك في كتابه قائلاً: "استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب مُحَمَّد بن أحمد بن علي بن مُحَمَّد العلقمي، توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م [٣].

ونخلص مما سبق أنه تولى منصب الوزارة منذ نهاية العصر السلجوقي حتى قبيل سقوط بغداد بيد المغول سنة ٥٩٠- ٦٥٦هـ /١١٩٤- ١٢٥٨م عدد من الوزراء من أهل العلم والمعرفة تخافهم الملوك، وترهبهم الجبابرة، ولهم يد باسطة في النحو واللغة والمشاركة في العلوم[٤]، وكان لهم معرفةً بأمور الملك، ولهم خبرة بأساليب الرئاسة والحساب، وعالمين بالقوانين، كما كانوا عارفين باصطلاح الدواوين، وفنون الأدب، حافظين لمحاسن الأشعار، راوين لطرائف الأخبار، تفوقوا بالصبر والجلد على ممارسة الأمور الديوانية، ملازمين لأعمالهم من أول النهار إلى الليل، وأغلبهم من العناصر الفارسية الذين فقدنا ذكرهم منذ بداية العصر العباسي الثاني، وقد استعان بهم الخلفاء؛ رغبة منهم في الاستفادة من خبراتهم لأنظمة الخلافة العباسية[٥].

---

(١) الزركلي، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، مايو ٢٠٠٢م، (٢٤٨/٤).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٦٢/٢٣).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٩٢/١٣).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٢٩/١).

(٥) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣١٥.



الفصل الثاني

الفصل الثاني

أسباب نكبات الوزراء في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول

محاولة الاستئثار[1] بالسلطة

(٢٣٢- ٣٢٤هـ /٨٤٧- ٩٣٦م)

بدأ الوزراء محاولاتهم للاستئثار بالسلطة منذ نهاية العصر العباسي الأول وبداية العصر العباسي الثاني، حيث بدأها الوزير مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات، إذ أورد الطبري معلومات عن الإجراءات التي اتَّخذها هذا الوزير عند مصادرة الخليفة الواثق بالله للكُتّاب عام ٢٢٩هـ /٨٤٠م، والتي قصد منها الكشف عن المظالم التي ارتكبها بعض كبار رجال الدولة ومحاسبتهم عليها؛ ممَّا أثار حفيظتهم فقال: "ونصب مُحَمَّد بن عبد الملك لابن أبي داود وسائر أصحاب المظالم العداوة، فكشفوا وحبسوا، وأجلس إسحاق بن إبراهيم فنظر في أمرهم، وأقيموا للناس ولقوا كل جهد".[2]

ويظهر أن هذه الإجراءات قد عزَّزت مكانة الوزير كثيرًا خلال الفترة التالية، حتى إنه أصبح مخولاً باختيار وتعيين بعض العمال في المناطق المهمة والعقد لهم في دار الخلافة وهي مسؤولية كبيرة كانت محصورة أصلاً على الخلفاء، ويتحدث المسعودي عن الخليفة الواثق بالله في هذه المرحلة فيذكر بأنه قد غلب عليه أحمد بن أبي داود، ومُحَمَّد بن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر إلا عن رأيهما، ولا يعتب عليهما فيما رأياه، وقلدهما الأمر وفوّض إليهما ملكه"[3].

وكان استئثار الوزير ابن الزيات في السلطة قد جعلته في مواجهته مع جعفر بن المعتصم (المتوكل على الله) وأصبح طرفاً في العلاقة المتوترة بين الواثق بالله وبين أخيه جعفر بن المعتصم، وكان جعفر دائمًا يطلب من الوزير مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات التدخل في حل الخلاف بينهما؛ ليرضى عنه أخوه الواثق، لكنه يقابل بالإساءة والتهديد والإهانة، لذلك أضمر جعفر العداء للوزير مُحَمَّد بن عبد الملك بن الزيات، كما أن القاضي ابن أبي دؤاد[4] كان له دور كبير في تحامل المتوكل على الله بعد جلوسه على عرش الخلافة على وزيره ابن الزيات، فكان الوزير

(١) استأثر بالشيء، استبدَّ به وانفرد. واستأثر بالشيء على غيره: خص به نفسه. (الزَّبيدي، تاج العروس، ٢١/١٠).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ١٥٦).

(٣) المسعودي، مروج الذهب، (٦٦/٤).

(٤) القاضي ابن أبي دؤاد، أحمد بن فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد، ينتهي إلى معد بن عدنان، أصله من قرية بقنسرين، وقد نشأ في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام، توفي سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٨م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٦٨/٧).

ينافس القاضي ابن أبي دؤاد على مكانته عند الخلفاء ويضمر له العداء، وبذلك كان القاضي ابن أبي دؤاد يشجِّع الخليفة المتوكل على الله التخلص من الوزير ابن الزيات حتى نكبه هذا الخليفة سنة ٢٣٣هـ/٨٤٨م بعد أن تولى الخلافة العباسية مباشرة[١].

وفي سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦-٨٥٧م استأثر الوزير أبو مُحَمَّد الفتح بن أحمد الخاقاني بمنصب الوزارة في عهد الخليفة المتوكل على الله استئثاراً عظيماً عنده، فاتخذه أخًا وخلاً، ونديمًا، ووزيرًا، بل وأكثر من ذلك، فقد كان المقدَّم على سائر أهله وولده، له القول، وكانت له اليد الطولى في تدبير شؤون الخلافة[٢]، وتيسير أمورها، وحلّ مشكلاتها، يسأل ويستشار، ويعمل برأيه[٣]، فقد عيَّنه المتوكل على الله في عام ٢٣٣هـ/٨٤٧-٨٤٨م على الخراج، وفي عام ٢٤٢هـ/٨٥٦-٨٥٧م جعله أميرًا ونائبًا عنه لشؤون مصر وإفريقية.[٤]

ولقوة الفتح بن خاقان ضم المتوكل على الله إليه أملاك القواد سنة ٢٤٧هـ/٨٦٢م، ومن فرط محبة هذا الخليفة له أن طلب من الشاعر البحتري أن يقول فيهما شعرًا، رغبةً منه في أن يحيا معه وألا يفقده[٥]. كما أن المتوكل على الله جرد ابنه المنتصر بالله من ولاية العهد؛ بل واتفق المتوكل مع الفتح بن خاقان على قتل ابنه المنتصر بالله والقائدين وصيفًا وبغًا وغيرهما من قوّاد الأتراك[٦].

وبالتالي أدى ذلك إلى توليد الحقد بالقوّاد الأتراك فاتفقوا على تدبير خطة مضادة قبل أن يقتلهم المتوكل على الله جميعًا، وفي المقابل استغل الأتراك الخلاف الحاصل بين المتوكل وولده المنتصر الذي مال إليه الأتراك، لا حبًا فيه؛ بل نكاية بأبيه، كما أن مصالح كلا الطرفين الأتراك والمنتصر بالله قد التقت مع بعضها، الأمر الذي يحتم تعاونهما ضد الوزير ابن خاقان[٧]، فدبَّر نكبة للوزير الفتح بن خاقان عام ٢٤٧هـ/٨٦٠م.[٨]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٥٧/٩).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٨٤/٩).

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، (٣٣٥/١).

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٢٩٥/٢).

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢٠٢/٥).

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٢٢٥).

(٧) المسعودي، مروج الذهب، (٤/ ١١٨).

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٢٢٦- ٢٢٧). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ١٣٨).

وبرزت خلال العصر العباسي الثاني ظاهرة وجود وزيرين في آن واحد، أحدهما للخليفة العباسي والثاني للسلطان السلجوقي، فكان الاثنان في صراع مستمر؛ للحصول على النفوذ السياسي المرموق والاستئثار بالسلطة، ممَّا دفع الوزير السلجوقي إلى توجيه الاتهامات السياسية للوزير العباسي لغرض نكبته(١)، حيث واجه الوزير العباسي فخر الدولة بن جهير صراعًا حادًا مع الوزير السلجوقي أحمد بن نظام الملك(٢)، ونتج عنها شدة كراهية الوزير السلجوقي أحمد بن نظام الملك للوزير العباسي أبي منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن جهير فخر الدولة.(٣)

فطلب الوزير أحمد بن نظام الملك من الخليفة القائم بأمر الله تنحيته عن منصبه، فاستجاب الخليفة لطلبه سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م(٤)، وهذا السبب الحقيقي في نكبة الوزير ابن جهير، أمَّا الأسباب الظاهرية التي وضحها الخليفة للوزير وبناءً عليها نكب، فمنها: " أنه قيل له: إنك بدَّلت أشياء في الخدمة، فوفيت بالبعض، ومنها: أنك تحضر باب الحجرة من غير استئذان، وقد قلت: ما يجب أن يدخل هذا المكان غيري، ومنها: أنك لبست خلع عضد الدولة في الدار العزيزة في أشياء أخر". ولكن الوزير لم يقتنع بهذه الأسباب؛ لأنها أسباب غير مقنعة حتى قال الوزير: "الله بيني وبين من ثقل قلبك علي يا أمير المؤمنين"(٥).

وكان للوزير العباسي هبة الله بن مُحَمَّد بن علي بن الحسن بن المطلب الكرماني؛ مكانة عالية نظرًا لما تحلى به من قوة وشجاعة وأدب ومعارف للعلوم وللوزارة، حتى عظمت منزلته في منصب الوزارة، فاستأثر بالسلطة دون الخليفة المستظهر بالله، وبهذا خاف منه الخليفة فنكبه سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٩م.(٦)

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢١/ ٣٨١).

(٢) الوزير الكامل أبو نصر، أحمد بن نظام الملك الحسن بن علي الطوسي، توفي ٥٤٤هـ / ١١٤٩م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠/ ٢٣٦).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١١٦/١٦).

(٤) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٥.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (١٠٦/١٦).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٨٩/٢٧).

كما استأثر بالسلطة الوزير أبو القاسم علي طراد الزينبي سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٩م أيام الخليفة المسترشد بالله، وشاركه في جميع حروبه حتى قُتِل الخليفة المسترشد بالله سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م، ولقبه الخليفة بعدة ألقاب؛ نظرًا لمكانته، فقد لقبه بمعز الإسلام عضد الإمام سيد الوزراء، صدر الشرق والغرب. ثم استمر في الوزارة حتى نهاية خلافة الراشد بالله، وبايع الخليفة المقتفي لأمر الله سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م فاستوزره، فتمتع بسلطة واسعة في وزارته واستأثر بها حتى إن الخليفة كان لا يستطيع أن يبتَّ في أمر من أمور الخلافة إلا بمشورته، وبلغ من نفوذه أنه عندما عين الخليفة بعض الموظفين والعمال سنة ٥٣٤هـ/١١٤٠م دون أخذ رأيه استاء الوزير من ذلك، وانقطع عن العمل حتى صالحه الخليفة. ولما ازداد تدخل هذا الوزير في شؤون الخليفة لم يستطع الخليفة نكبه، بل لجأ إلى السلطان السلجوقي مسعود بن مُحَّد يشكو له من تصرفاته، فأصدر السلطان أمرًا بنكب الوزير الزينبي[(١)]، وقد نسب لهذا الوزير العباسي تعاونه مع السلاجقة الأتراك في عزل الخليفة الراشد بالله[(٢)]، حيث كتب الوزير محضرًا وقَّع عليه عدد من القضاة شهدوا فيه زورًا بتعدد المنكرات والكبائر التي اتهموا بها الخليفة العباسي الراشد بالله وبتأييد صريح من السلطان السلجوقي، ممَّا أدَّى إلى خلع الخليفة. فكان هذا من الأسباب التي دفعت بالخليفة العباسي المقتفي لأمر الله إلى نكبته، وبهذه المناسبة قال الخليفة المقتفي لأمر الله: "إذا فعلوا هذا مع غيري فهم يفعلونه معي".[(٣)]

أما الوزير ابن العلقمي الرافضي فقد استأثر بالسلطة في عهد الخليفة المستعصم بالله ٦٤٠هـ /١٢٤٢م بسبب بروز قائد الجيش مجاهد الدين الدويدار[(٤)]، السني، وكان شخصية

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (٨٥/١٠).

(٢) الخليفة، أبو جعفر منصور بن المسترشد بالله الفضل بن أحمد العباسي. خطب له بولاية العهد سنة ٥١٣هـ /١١١٩م، واستخلف في ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م. وكان أبيض مليحًا، تام الشكل، شديد الأيد، وكان حسن السيرة، مؤثرًا للعدل، فصيحًا عذب العبارة، أديبًا شاعرًا، جوادًا، لم تطل أيامه حتى خرج إلى الموصل، ثم إلى أذربيجان، وعاد إلى أصبهان، فأقام على بابها مع السلطان داود، محاصرًا لها، فقتلته الملاحدة سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٩٣/١٤).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٢٦٠/٥).

(٤) مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير، أحد أبرز قادة الجيش العباسي، كان شجاعًا، ومن أشهر أقواله: "لو مكَّنني أمير المؤمنين المستعصم لقهرت التتار، ولشغلت هولاكو بنفسه". (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٧١/٢٣).

قوية عاونت الخلافة معاونة صادقة بكل حكمة وتدبير؛ فأراد ابن العلقمي التخلص منه، ثم إن الدويدار يعلم بموالاة ابن العلقمي لهولاكو[١]، وأن الطرفين كانا يتبادلان الجواسيس فيما بينهما، ومن أجل دفع هذه التهمة عن نفسه قام بالمؤامرة ضد الدويدار، وأخبر الخليفة أن الدويدار يرغب في خلعه فاستدعى الخليفة الدويدار على الفور، وأطلعه على ما قاله الوزير في شأنه فردَّ عليه الدويدار بقوله: إذا ثبت جرمي فهذا رأسي وهذا هو السيف، وعندما ثبت للخليفة صدقه أعلن للناس أن ما قيل في حق الدويدار إنما هو محض افتراء وبهتان، وأن الخليفة يعتمد عليه اعتمادًا كليًا، وهو في أمانهم[٢].

ويبدو أن هذا الإعلان زاد من مكانة قائد الجيش مجاهد الدين الدويدار، بينما تسبَّب هذا في إضعاف الوزير ابن العلقمي؛ ممَّا جعله يميل أكثر لعقد علاقات قوية مع التتار على حساب الخلافة العباسية، وأراد من ذلك أخذ الثأر بسيف التتار ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٣].

ونخلص ممَّا سبق أن اتخاذ الوزراء سياسة الاستئثار بالسلطة، ورغبتهم بالتمتع بنفوذ كبير في الخلافة، لدرجة مواجهتهم للصراعات والتحديات، وبخاصة إن كان هذا الاتجاه فيه مصلحة للخلافة والاستفادة منه في شؤون الحكم؛ فهذا استئثار في السلطة محمود، والجميع يشيدون به، ورغم ذلك تعرض الوزراء لنكبات متعددة وترك مصلحة الخلافة أمام الأعداء؛ وذلك لأن وزيرَ السلطان السلجوقي أكثرَ نفوذًا وسلطةً من وزير الخليفة؛ حيث كان يَسْتمِدُّ نفوذه من قوة السلطان السلجوقي صاحب النفوذ الفعلي، وبلغ من نفوذ الوزير السلجوقي أنْ جاهر بعدائه لوزير الخليفة، وأخذ يتدخَّل في شؤون الوزارة؛ فقلَّ شأنهم، فتعرضوا لعدة نكبات، ولكن إذا

---

(١) ملك التتار هولاكو بن تولى قان بن جنكيز خان، كان طاغية من أعظم ملوك التتار، وهو على قاعدة الترك في عدم التقيُّد بدين، لكن زوجته تنصَّرت، استولى على المماليك في أيسر مدة، وفتح بلاد خراسان وفارس والعراق والشام والجزيرة والروم، وقتل الخليفة المستعصم بالله وأمراء العراق، مات هولاكو سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م وكان عمره ٦٠سنة. (الكتبي مُحَّد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات، تحقيق: علي بن مُحَّد بن عوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٠م، ٢/ ٥٨١).

(٢) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، تاريخ المغول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، نقله إلى العربية، مُحَّد صادق نشأت وآخرون، راجعه وقدَّم له: يحيى الخشاب (د. ط)، دار إحياء الكتب العلمية، وزارة الثقافة (د. م)، (١/ ٢٦٢- ٢٦٤).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٣/ ٣٦٢). ابن الوردي عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، (٢/ ١٨٩).

كان الاستئثار في السلطة رغبة في الانتقام، فإن ذلك يؤدي كلُّه إلى ضعف الخلافة ومن ثَمَّ سقوطها[١].

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٣/ ٣٦٢).

المبحث الثاني

قوة نفوذ قادة الجيش

نتج عن زيادة قوة نفوذ رجال الجيش في العصر العباسي الثاني أن ضعفت سلطة الوزراء، وقلَّ شأن الوزارة، وأصبح الوزراء يخشون على أنفسهم من بطش قواد الجيش العباسي، وأصبح منصب الوزارة في هذا العهد محنة لمن يتولاه، بسبب ما ينتظره من نكبات، فقد كثرت الفتن في هذا العصر الذي أصابت بنارها أكثر الناس، وبخاصة من كان منهم صاحب مال أو كان مسؤولاً عن مال[١].

ويرى المؤرخ التنوخي أن منصب الوزارة ضَعُفَ عندما سيطر الأتراك عليه، وقاموا بتسيير صاحب المنصب حسب أهوائهم ورغباتهم، فيقول: "جعل المتوكل الكتب باسم وصيف التركي[٢]، وانتصب منصب الوزارة وإن لم يُسَمَّ بها، فاختار من الكُتّاب عبيد الله بن يحيى بن خاقان وصار أمره يقوى، فكان يعرض الأعمال عليه، كما كان الوزراء يعرضونها، وليس هو يعد قديرًا لها، وأثبت المتوكل على الله اسمه ثم أمر له الخليفة بعد زمن الوزارة، ثم خوطب بها وكان وزيرًا أميرًا"[٣].

فقد قوي نفوذ قواد الأتراك على الخلافة منذ عهد الخليفة المتوكل على الله، وفي عهد الخليفة المستعين بالله صار الوزير يُعيَّن من قبلهم، فإن وافق هواهم رضوا عنه، وإن خالفهم في شيء نكبوه وأقاموا غيره، فقد تعرَّض الوزير أحمد بن الخصيب لسخط القواد الأتراك ونقمتهم؛ لعدم تنفيذه رغباتهم[٤]، وذلك حينما أراد الأتراك قتل الموالي؛ بسبب فتنة الشغب التي

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٣٦٩).

(٢) وصيف التركي القائد. من كبار الأمراء. استولى على المعتز وحجر عليه، واصطفى لنفسه الأموال والذخائر، فشغبت الفراغنة والأشروسنية وطالبوه بالأرزاق، فخرج إليهم وصيف وبغا وسيما الشرابي وجماعة من الخواص، وقال لهم وصيف: ما لكم عندنا إلا التراب، وما عندنا مال، وقال بغا: نسأل أمير المؤمنين لكم، ثم خرج هو وسيما إلى سامراء يستأذنان المعتز، فبقي وصيف في طائفة يسيرة، فوثبوا عليه فقتلوه بالدبابيس، وقطعوا رأسه، ونصبوا الرأس على رمح سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٣م. (الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦/٢٢٦).

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، (٨ / ١٥-١٦).

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب تاريخ اليعقوبي، (د. ط. ت)، دار صادر، بيروت، (٢/ ٤٩٤).

اجتاحت بغداد؛ نتيجة استيلاء الخليفة المستعين بالله على أموال المعتز والمؤيد[1]، وجميع ما لهما من الدور والمنازل والضياع والقصور والفرش والآلة وسجنهم، وحاول الوزير ابن الخصيب منعهم من ذلك، وقال: "ليس لهما ذنب لا تقتلوهما، ولكن احبسوهما، فحبسا"[2].

ثم ازداد نفوذ قوّاد الأتراك حتى تولَّى أحدهم الوزارة في عهد الخليفة المستعين وهو القائد أَوْتَامُش التركي، لكنه اتُّهِم باستغلال أموال الدولة لمصلحته الشخصية[3]، حيث استبدَّ أوتامش بالأمور وأقطع لنفسه أموالاً جليلة، "وأطلق المستعين بالله يد أوتامش في بيوت الأموال، وأباح فعل ما أراد فعله فيها، ممَّا أغاظ قادة الأتراك الآخرين والجند[4]، وهكذا فإن استبداد الوزير أوتامش بالدولة وتفرُّده في الأموال والإقطاعات دون بقية رؤساء الأتراك عجَّل بنهايته، حيث تذمَّر منه الجند ونكبوه سنة ٢٤٩هـ /٨٦٤م[5].

وكان من نتائج تنصيب قواد الأتراك في منصب الوزارة استيلاؤهم على أموال الدولة التي ترد من جميع الأقاليم، وبهذا تكون من نصيبهم، ثم قوِيَ نفوذهم وتصرفهم دون النظر لشؤون الدولة الاقتصادية، ومن ثمَّ وضع الدولة في ضيق من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، ممَّا ترتب عليه ظهور الفتن والقلاقل داخل الخلافة العباسية؛ بسبب استهلاك أموال الخلافة بغير وجه حقٍّ[6].

وفي هذا يعلِّق أحد الباحثين: "وكان الوزراء يزدادون نفوذا واستئثارًا بالأموال، كلما زاد اعتماد الخليفة عليهم في شؤون الدولة حتى صارت معظم الأموال إليهم، ونافسوا الخلفاء في اتساع ثرائهم، وتواترت عليهم الهدايا من العمال وغيرهم من موظفي الدولة؛ التماسًا لرضاهم"[7].

---

(١) المؤيد بالله إبراهيم بن المتوكل بن المعتصم، عقد له أخوه بولاية عهد الخلافة من بعده، ودعي له في الأمصار، ثم بلغ المعتز عنه أمر، فضربه، وخلعه من العهد، وحبسه يومًا، ثم أخرج ميتًا. فقيل: أجلس في الثلج حتى مات بردًا، قتل المؤيد في رجب سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/٣٣٣).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢٥٩).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢٦٠).

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (٢/٦٠٦).

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٢٦٣-٢٦٤). مسكويه، تجارب الأمم، (٤/ ١٥١).

(٧) جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، (٢/١٥٧).

وهذا التصرف وقوة النفوذ أدَّى إلى ظهور التنافس بين الأتراك؛ لاختلاف أهوائهم، وأثَّر على أحوال الخلافة العباسية في ميادينها كافة، حيث يقول أحد المؤرخين: "فكثير ما كانت تقع بينهم الشرور، والأمة هي التي تبتئس بكل ذلك، والخلافة تضعف هيبتها، وكان ذلك سببًا في ابتداء استقلال الأطراف"[1].

وبعد هذه التجربة قرَّر الأتراك أن يعرضوا عن تولي الوزارة بأنفسهم، ورأوا أن من مصلحتهم تجنُّب متاعبها، مع الإشراف عليها عن طريق إشرافهم على قصر الخلافة وعلى شؤون الدولة كلها[2].

ولقوة نفوذ القواد وغضبهم على الوزير أبي صالح عبد الله بن مُحَمَّد بن يزداد[3] عندما لم تتفق سياسته مع طموحاتهم، انقضوا عليه، ونكبوه سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م؛ لأنه سار على سياسة التقشف؛ بغية توفير الأموال والإقطاعات، وخاصة بعد أن ألغى الزيادات التي كانت قد استحدثت على أرزاق الجند، فلم يستوزر الخليفة المستعين بالله بعده أحدًا وإنما كان يعيِّن كُتَّابًا يقومون بأعمال الوزراء[4].

ويتضح لنا ممَّا سبق أن الوزير الذي تتوافر فيه صفات النزاهة في أداء أعماله وثبوت كفاءته الإدارية، سرعان ما يكون غير مرغوب فيه من وجهته رجال البلاط؛ لأن نزاهة الوزير تتضارب مع مصالح هؤلاء الذين يرغبون في استغلال موارد الدولة وحقوق الناس؛ لتحقيق رغباتهم الشخصية، وعدم مسايرتها لذلك العصر، ويؤدي ذلك إلى اضمحلال أمور الدولة[5].

وبذلك أصبح تعيين الوزراء وترشيحهم يتم عن طريقهم، ويخضع لشهواتهم، وبذلك ازدادت نكبات الوزراء، فقد تم تعيين الوزراء دون رغبة الخليفة المعتز بالله حيث فُرِض عليه أبو موسى عيسى بن فرخان شاه من قبل رؤساء الأتراك، ولم يكن له معرفة بأمور الوزارة حتى ثارت

---

(١) مُحَمَّد خضري بك، دروس في التاريخ الإسلامي من البعثة الشريفة حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري، صححه وضبطه: محمود بيروني، ط٢، دار البيروني، دمشق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٥٠- ١٥٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (٦٠٦/٢).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٤ /١٥١).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٥١/٩).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ١٤٨ - ١٤٩). السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٤٠.

ثورة بين القوّاد بسببه، حيث كان فريق راغبًا به وفريق خلاف ذلك، حتى أدت هذه الثورة إلى نكبته سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م[١].

وعندما أعاد الوزير أحمد بن إسرائيل الأنباري وضع الدولة من الناحية الإدارية سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[٢]، حال نفوذ قادة الأتراك دون استقرار الأمور؛ ذلك أن القائد التركي صالح بن وصيف[٣] فرض سيطرته على أغلب مرافق الدولة الإدارية والمالية، وبذلك سلب الوزير أغلب اختصاصاته؛ إذ لم يدع بيده من الأعمال سوى كتابة بعض المراسلات للخليفة، والمشاركة في الاحتفالات والمناسبات العامة.[٤]

ولقد تجاوز هذا القائد كل الحدود في نهاية الأمر حيث نكب الوزير الأنباري وبدون رضا الخليفة أو استئذانه، رافضًا وساطة الخليفة المعتز بالله وتوسلاته[٥]، وهذا يدل على قدر ما وصل إليه منصب الوزارة من الضعف ومبلغ الفساد في أحوال الدولة.

وبهذا استطاع صالح بن وصيف أن يتخلص ممن يسيطر على منصب الوزارة [٦]. وفي أقل من شهر خلع الخليفة المعتز بالله من الخلافة[٧].

ضعف شأن الوزارة واستمر الحال على ذلك حتى عهد الخليفة المقتدر الذي ساءت أحوال الخلافة في أيامه، واضطربت أمور دولته من جراء السياسة التي اتبعها في تعيين وزرائه،

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤١.

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤٤.

(٣) صالح بن وصيف التركي، أحد قوّاد المتوكل، قدم معه إلى دمشق سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م وكان قد استطال على الخلفاء، وقتل المعتز وأخذ أمواله وأموال أمه قبيحة، وولى المهتدي الخلافة وحكم عليه، قتل صالح بن وصيف على يد قواد الأتراك على رأسهم موسى بن بغا سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م، وحزّوا رأسه وبعثوا به إلى المهتدي. (الصفدي، الوافي بالوفيات ١٦/١٥٠).

(٤) المسعودي، مروج الذهب، (٤/١٦٩).

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٣٨٨). مسكويه، تجارب الأمم، (٤/٢١٢).

(٦) أبو نوح عيسى بن إبراهيم، أحد كُتَّاب المعتز بالله. كان من ضمن الذين قتلهم صالح بن وصيف بعد أن عذَّبهم بالضرب والقيد، وقرب كوانين الفحم في شدة الحر منهم، ومنعهم من كل راحة، ونسبهم إلى أمور عظام من الخيانة وذلك سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٩/ ٣٩٦).

(7) LE Vizirt `Abbàside. Damas1959. DE649 A 936،Dominque Sourdel

يؤيد ذلك قول المسعودي:[1] "لم يقف على أحوال الملك، فكان الأمراء والوزراء والكُتَّاب يديرون الأمور، ليس له في ذلك حل ولا عقد ولا يوصف بتدبير ولا سياسة"، فقد سيطر القائد التركي مؤنس على الناحية العسكرية، فبعد أن أعاد الخليفة المقتدر بالله إلى الخلافة استولى على المناصب العليا حيث أسندت إليه شرطة بغداد[2]، بالإضافة إلى قيادة الجيش، كما أنه قلد في سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م الحرمين والثغور، وقلد أعمال مصر والمغرب[3]، وبذلك تفوَّق بكثير من الصلاحيات حيث يقول الصولي: "ملك مؤنس الأمر كله، فزاد ونقص، وأثبت وأسقط، وكان يفعل في أسفاره كما يفعل الخلفاء، يأمر بما يريد في المال من الزيادات والإثبات والنقل والتسويغ، ثم ينفذ ذلك إلى الدواوين فيمتثل أمره فيه"[4].

هذا القائد التركي تدخَّل في الوزارة حتى رشح مُحَّد بن علي بن مقلة وزيرًا سنة ٣١٧هـ/٩٨١م، للخليفة المقتدر بالله، لكن اتُّهِم الخليفة المقتدر بالله بالتعاون مع مؤنس، وهذا من الطبيعي؛ لأن مؤنسًا هو الذي رشَّحه، وكان المقتدر قد ساءت علاقته بمؤنس، فانتهز فرصة خروج مؤنس خارج بغداد فنكبه الخليفة سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م[5].

كما رشَّح القائد التركي مؤنسٌ الوزيرَ عبيد الله بن مُحَّد الكلوذاني لمنصب الوزارة سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[6].

ولم يكن الخليفةُ في الحقيقة راغبًا في توليته أيضًا، ولكنَّه أذعن لطلب مؤنس حتى عجز هذا الوزير عن سد النفقات، حيث اجتمع أكثر من خمسمائة فارس وجندي كانوا مقيمين في الكوفة وحلوان فرجموه بالأحجار وهو راكب في سفينته، فجعل ذلك حجة لعدم الخروج من بيته، وأغلق بابه وحلف على أنه لا ينظر في أعمال الوزارة، فنكبه الخليفة المقتدر بالله في رمضان ٢٨ من شهر رمضان سنة ٣١٩هـ/٩٢٨م[7].

---

(١) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٣٢٨.

(٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٠١).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٤) أبو بكر مُحَّد بن يحيى الصولي، ما لم ينشر من أوراق الصولي (أخبار السنوات ٢٩٥- ٣١٥هـ)، تحقيق: هلال ناجي، ط١، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣١.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/٦٨).

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢١١).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/٧٢).

وفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٥م قوي نفوذ القائد مُحَّد بن ياقوت، فحاول الوزير مُحَّد علي بن مقلة التخلُّص من نفوذه، فسعى به عند الراضي بالله، فأمر الخليفة بالقبض على مُحَّد بن ياقوت وعلى أخيه المظفر وحبسهما، وقد مات الحاجب مُحَّد بن ياقوت في الحبس واتَّهم المظفرُ الوزيرَ ابن مقلة بقتل أخيه بالسم، وظنَّ ابن مقلة أن الأمور استقامت له، ولكن المظفر بن ياقوت تآمر مع الجند وقبضوا على ابن مقلة، ولما علم الخليفة الراضي بذلك استحسن فعله، وسلَّم ابن مقلة للخليفة فنكبه ٣٢٣هـ/٩٣٦م[١].

ونخلص ممَّا سبق أن قوة نفوذ قادة الجيش علت على قوة الخلفاء حتى كان ضحيتها الوزراء، ومن ثمَّ ضعُف منصب الوزارة شأنًا ومكانة، وانشغل الجميع في محنة الثورات التي تفاقمت وعاثت فسادًا في كيان الخلافة العباسية[٢].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/١٠٠). مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٣٣٦).

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦/ ٦٥٧).

المبحث الثالث

الأزمات المالية

انصرف أغلب الوزراء في العصر العباسي الثاني إلى الاهتمام بمصالح الخليفة والقوَّاد والحريم وكبار رجال الدولة، وإلى محاولة السيطرة على الأموال والإقطاعات، وكانت نتيجة ذلك خلو بيت المال[1]، وظهور الأزمات المالية[2].

فعندما تولى الوزارة أبو الحسن علي بن الحسن بن الفرات سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م لجأ إلى سياسة استنزاف الأموال؛ ممَّا أدَّى إلى حدوث أزمة مالية، ويبدو أن ابن الفرات لم يراع جانب الأتراك وخاصة مقدمهم مؤنس؛ ممَّا أدَّى إلى العداء بينهما وحدوث نكبة للوزير على يد الخليفة المقتدر بالله سنة ٢٩٩هـ/٩٢١م[3].

وقد حاول الوزير عبد الله بن مُحَمَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان بسبب اضطراب خزينة الدولة استخراج الأموال من الوزراء الذين كانوا قبله، ممن عملوا في منصب الوزارة لحل الأزمات المالية ولكن محاولته باءت بالفشل[4].

وأسهم عدم استقرار الأمور في إفلاس خزينة الدولة؛ ونتيجة لهذا شغب القواد على الوزير ابن خاقان مطالبين بدفع رواتبهم التي لم يستطع توفيرها لهم[5]؛ ممَّا أدَّى إلى تآمر القواد ونساء الخليفة وذلك سنة ٣١٢هـ/٩٢٦م حتى نكب من منصبه[6].

---

(١) بيت المال: يجمع فيه ما أخذه الإمام من أموال الكفار سواء كان غنيمة أو جزية أو مال صلح أو خراجًا. (التهانوي، مُحَمَّد بن علي بن القاضي مُحَمَّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت، بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تقديم وإشراف ومراجعة، د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية، د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية، د. جورج زيناني، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م، ١٢٩٣/٢).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (١٢٧/٥).

(٣) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، (٢٥٣/١).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦٩٣/٦).

(٥) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣١٧.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (١٢٧/٥).

ولم يكن عهد الوزير أحمد بن الخصيب الذي نقله هذا المنصب سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م؛ بأحسن حال من عهد سلفه نتيجة لتفاقم الأزمة المالية ولم تتوافر له الأموال التي يتقرَّب بها إلى الخليفة المقتدر بالله، وأغلظ على الناس في الضرائب وازداد شغب الجند، فأمر المقتدر بالله بنكبته والاستغناء عنه سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م[١]، ولقد اعتمد هذا الوزير في تنظيم مالية الدولة على أموال المصادرين[٢]، ويمثل الوزيران عبد الله بن مُحَمَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان و أحمد بن الخصيب مظهرًا من مظاهر الضعف والانحلال في الدولة العباسية، ولم يستطع هذان الوزيران معالجة الأمور المالية؛ ممَّا أدَّى إلى اضطراب أحوال مالية الدولة[٣].

أمَّا الوزير مُحَمَّد علي بن مقلة فقد ساءت الأحوال المالية في وزارته للمقتدر بالله سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م رغم أنه اعتمد في وزارته على تسيير أمور الوزارة المالية على المصادرات والضمانات والمساعدات المالية التي تقدَّم بها أصحاب الولايات، أمثال: أبي عبد الله البريدي من الأهواز حيث أرسل إليه بثلاثمائة ألف دينار[٤]، ومما يدل على سوء الأحوال المالية طلب الخليفة المقتدر بالله من الوزير أبي علي بن مقلة أن يبيع ما في الخزائن من الأمتعة والجواهر، وبيع أملاك الناس، فبيع ذلك بأرخص الأسعار؛ لحل الأزمات المالية وإعطاء الجنود رواتبهم[٥]، وهذا يمثل إعلانًا عامًا في وصول الخلافة العباسية إلى مستوى متردٍ من الناحية المالية، الذي أثَّر بدوره على جميع النواحي العامة للدولة حتى اعتماد الدولة على المساعدات الخارجية غير المضمونة، وتعاون الوزير أبو علي مُحَمَّد بن مقلة مع الأتراك وخاصة مع مؤنس قائد الجيش لحل الأزمات المالية، فأدى ذلك إلى اتساع نفوذ الأتراك في الإدارة وسيطروا على الأموال، فنكبه الخليفة المقتدر بالله؛ لتفريطه بالأموال سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م[٦].

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ٦٦).

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص ٣١٨.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١٨١).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١٨٧).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٦/٧٤١).

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢٠٣- ٢٠٥).

وفي سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م حاول الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد حل الأزمة المالية، فصادر مُحَمَّد علي بن مقلة بمائتي ألف دينار، لكنه واجه كثيرًا من المشاكل المالية[1]، وكثرت عليه المطالبات فطالبه الجند بأرزاقهم أكثر من مرة، وكثر شغب العامة بسبب قلة الوظائف فنكب سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[2].

أمَّا الوزير أبو القاسم عبيد الله بن مُحَمَّد الكلوذاني فكثرت المصادرات سواء من الوزراء أو من الناس في أيامه لحل الأزمات المالية التي ازدادت حتى شغب الجند عليه مطالبين برواتبهم حتى نكب سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م[3].

وكانت الأزمات المالية المستعصية التي واجهت الخلفاء العباسيين سببًا في حدوث نكبات سريعة للوزراء أيام الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٢- ٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤١م، حيث جرى تكليف مُحَمَّد علي بن مقلة في منصب الوزارة، ولم يستمر في منصبه حتى واجه ضائقة مالية؛ ممَّا زاد في اضطراب الوضع المادي وتأزمه؛ بسبب احتجاز ابن رائق الأموال الواردة من واسط والبصرة انتقامًا من ابن مقلة، فتأخَّر ابن مقلة في دفع أرزاق الجند، فثار عليه الجند والغلمان الأتراك، فتعرض ابن مقلة للنكبة سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م.

ثم تولى الوزارة عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤م[4]، وعجز عن ضبط الأمور، وتفاقمت المشكلة المالية، وأدَّى ذلك إلى نكبته في السنة نفسها.

كما أنه عجز مُحَمَّد بن القاسم الكرخي، وزير الخليفة الراضي بالله في توفير الأموال، رغم المصادرات؛ نتيجة حجز ابن رائق إيرادات واسط والبصرة وقطع البريدي موارد الأهواز، فقلَّت الأموال في بغداد، فنكب أبو جعفر مُحَمَّد بن القاسم الكرخي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م.[5]

كما أخفق الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد -أيضًا- في توفير الأموال، فثار عليه قوّاد وغلمان الأتراك فنكب الوزير سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م.[6]

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٢١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧٥٧/٦).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٨٤/١- ٨٥).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٠٠/٨).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٣٨/٥).

(٦) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١٢٢/١١).

وبذلك اضطر الخليفة الراضي إلى أن يراسل ابن رائق وهو بواسط، وطالبه بالأموال لتوفير نفقات الجيش والحاشية، وأعلمه أنه قلَّده الإمارة ورياسة الجيش وجعله أمير الأمراء، وردَّ إليه تدبير أعمال الخراج والضياع، وفوَّض إليه تدبير المملكة، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الممالك، وأرسل له بالخلع واللواء، فعلَتْ مرتبة ابن رائق على مرتبة الوزير[١].

ونخلص ممَّا سبق إلى أنَّ امتناع أصحاب الولايات عن دفع الأموال للخليفة أدَّى إلى عجز خزانة الدولة عن دفع رواتب الجند، واستمر التدهور حتى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م حيث ضعف منصب الوزارة، وأصبح الوزير عاجزًا عن توفير الأموال؛ ممَّا اضطر الخليفةُ إلى استحداث منصبِ أمير الأمراء الذي يعبِّر حقيقة عن ضعف الخلافة والوزارة[٢].

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١٣/٣٥٨).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٣٥٠).

المبحث الرابع

ضعف الخلفاء

تغيَّر حال الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني عن العصر العباسي الأول، فوجدنا في العصر العباسي الأول خلفاء أقوياء، بينما تولى في العصر العباسي الثاني خلفاء البعض منهم ضعفاء، سواء لضعف شخصيتهم، أو لصغر سنهم حيث جرى تعيينهم من قبل القوّاد وغيرهم؛ ليسهل توجيههم ويكونوا تحت وصايتهم، فكان من ضعف الخليفة المنتصر بالله ٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١- ٨٦٢م إرضاء الأتراك والتزلُّف إليهم وتنفيذ مطالبهم، ومع هذا كله فإن الخليفة المنتصر بالله كان يشعر بوطأتهم وطغيانهم واستبدادهم بالأمور، حتى اتفق قواد الأتراك وحرضوه على وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان، حيث أخبروه بميله إلى الخليفة المعتز بالله، حتى أوغروا قلب الخليفة المنتصر عليه فنكب وزيره سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م.[١]

أمَّا الخليفة المستعين بالله الذي تولى الخلافة ٢٤٨ -٢٥٢هـ/٨٦٣-٨٦٦م على يد قواد الأتراك فكان ضعيفًا، ليست له هيبة، فلا يستطيع أن يقاتلهم أو أن يستبدل غيرهم؛ بل على العكس من ذلك يهابهم ولا يتجرأ عليهم ويكون تحت وطأتهم[٢].

ومعنى هذا أن الخليفة ليس له من الخلافة إلاّ الاسم، ولم تكن له يد في إدارة شؤون دولته؛ إذ أجبره الأتراك وعلى رأسهم أوتامش على نكبة الوزير أحمد بن الخصيب؛ لعدم تنفيذه رغبات قواد الأتراك وترك الحرية لهم في شؤون الخلافة سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م[٣]، كما تعرَّض وزير الخليفة المستعين بالله الوزير أبو صالح عبد الله بن مُحَمَّد بن يزداد للنكبة؛ لعدم تنفيذ أوامر القواد الأتراك سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م.[٤]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٣٦٢). الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص١٩١.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم (٤/ ١٤٦، ٢٤٧). ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٢٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (٢/ ٤٩٤).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٤ /١٥١).

وبهذا فقد قهروا المستعين في خلافته[1]، حتى كان يسميهم الفسقة[2]، وعندما استوزر من بني جلدتهم القائد التركي أَوْتَامُش[3]، حقدوا عليه؛ لتفرده بأموال الخلافة دونهم، ونكبوه سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م[4].

ويعلق على ذلك بعض الباحثين: وبذلك تقلَّد منصب الوزارة قائد عسكري بعد أن كانت بيد المدنيين.[5]

ولم يكن المعتمد على الله ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ /٨٤٣-٨٩٢م على قدر من المسؤولية، للنهوض بالخلافة العباسية لأرقى درجات القوة والهيبة؛ بل كان مغلوباً على أمره حتى إنه انهمك في اللهو والملذَّات، واشتغل عن الرعية، فكرهه الناس وأحبُّوا أخاه طلحة الموفق.[6]

وتعرض الوزراء في عهده إلى عدة نكبات حتى توفي ٢٧٩هـ/٨٩٢م،[7] لم يكن الوزير الحسن بن مخلد على علاقة حسنة مع زعماء الأتراك، ولم يقدّر للوزير ابن مخلد أن يستمر في وزارة المعتمد على الله، إذ لم يكد مقدَم الأتراك موسى بن بغا[8] يصل إلى العاصمة سر من رأى حتى نكب الوزير سنة ٢٦٣هـ/٨٧٨م[9].

---

(١) الذهبي، العبر (٢/٨).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٣٣٤).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩/ ٢٤٩).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٢٦٣- ٢٦٤).

(٥) مساعد بن مساعد مُحَمَّد الصوفي، العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية ٢٤٧-٣٣٤هـ، رسالة ماجستير، إشراف ضيف الله بن يحي الزهراني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص١٧.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦/ ١١).

(٧) الزركلي، الأعلام، (١/١٠٧).

(٨) موسى بن بغا الكبير، أحد قوّاد المتوكل. ندب سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م لحرب أهل حمص حين قاتلوا واليهم، فأوقع بهم وقتل منهم خلقًا، ورمى النيران في حمص، وبالغ في العسف. ثم ولي حرب الزنج بالبصرة فنصر عليهم؛ وولي حرب الحسن بن أحمد الكوكبي الحسيني الذي استولى على قزوين وزنجان، فهزمه موسى وقتل من عسكر الكوكبي نحو العشرة آلاف. توفي سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م. (الذهبي، تاريخ الإسلام ٦/٤٣٦).

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/٥١١). ابن كثير، البداية والنهاية، (١١/٣٦).

وعندما باشر الوزير سليمان بن وهب عمله سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م[١]، وقد عيَّنه القائد موسى بن بغا دون رضا الخليفة المعتمد على الله، وقام بتدبير أمور الوزارة وضبط المصروفات المالية للدولة[٢]، إلاَّ أن حرص الوزير في حفظه على استقرار الدولة وعدم إفلاسها جعلته يصطدم مع مطالب المعتمد على الله المتكررة في حاجته للأموال، وبعد أن توفي موسى بن بغا سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م أعلن المعتمد على الله غضبه على الوزير ونكبه، وأعيد هذا الوزير مرة أخرى للوزارة سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م، ولكن سرعان ما بدأ قائد الجيش الموفق يفقد ثقته في الوزير سليمان بن وهب بسبب كثرة أمواله حتى أمر بنكبته سنة ٢٧٢هـ/٨٨٦م[٣].

كما ضعف شأن الوزارة في عهد الخليفة المقتدر بالله سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م وساءت أحوال الخلافة العباسية في أيامه، واضطربت أمور دولته من جراء السياسة التي اتبعها في تعيين وزرائه، يؤيد ذلك قول المسعودي[٤]: "لم يقف على أحوال الملك، فكان الأمراء والوزراء والكُتَّاب يديرون الأمور، ليس له في ذلك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة". كما أنه زالت هيبته؛ لصغر سنه حيث تولَّى الخلافة وهو في الثالثة عشرة من عمره. وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ الخلافة العباسية التي يبايع فيها صبيٌّ في مثل هذه السن[٥]، ويعدَّ هذا سببًا من أسباب نكبات الوزراء.

وحينما نتأمَّل هذا السبب من خلال الصفات التي اتصف بها الخليفة المقتدر بالله الخاصة بالحكم نجد أنه لم يكن لديه خبرة بتدبير أحوال الخلافة سياسيًا، وإداريًا، واقتصاديًا.

وطبعي أن يكون لهذا آثاره على خلافة المقتدر بالله، فكان من أبرزها زعزعة منصب الوزارة، ولم يكن الجانب الاقتصادي أفضل حالاً، فقد خلت خزائن الخلافة من الأموال[٦]،

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/٥٦٣).

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٤٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/٥٤٠).

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢٨.

(٥) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ١٣٩).

(٦) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣٧٧.

ومن جانب آخر تعرَّضت الخلافة العباسية للثورات الخارجية كثورة القرامطة[1]، أمَّا من الناحية العسكرية فظهر تسلط القادة[2].

وقد تعاقب على الوزارة في عهده حوالي اثني عشر وزيرًا، جميعهم واجهوا عدة نكبات بسبب ضعف هذا الخليفة[3]، فنكب أول وزرائه العباس بن الحسن بن أيوب بن سليمان الجرجرائي، فقد أراد هذا الوزير إبقاء الخليفة المقتدر بالله في الخلافة، وكان هذا الوزير معروفًا بشجاعته، فخاف منه القوّاد سنة٢٩٦هـ/٩٠٩م، واجتمعوا عليه[4] مع الكُتَّاب ونكبوا الوزير في السنة نفسها[5]، وفي ذلك يقول الذهبي: "أنفت الكبار من خلافة المقتدر، وهو حدث، فهاجوا وتوثبوا على المقتدر"[6].

ثم اعتلى منصب الوزارة أبو علي مُحَّد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م، وقد ظهرت بوادر سوء سياسته وعجزه عن إدارة أمور الوزارة حتى تدخَّل القائد مؤنس فأشار بنكبته سنة ٣٠١هـ /٩١٤م.[7]

ولم يستطع الوزير حامد بن العباس تدبير أمور الوزارة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، وعندما تبيَّن للخليفة المقتدر بالله أول سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م[8] عدم مقدرته على ذلك، جعل تدبير أمور

---

(١) القرامطة: سموا بهذا الاسم نسبة إلى زعيمهم حمدان بن قرمط، أحد دعاة الباطنية، التي ظهرت زمن الخليفة المأمون وانتشرت في زمن المعتصم، ثم ظهر بعده في الدعوة إلى البدعة أبو سعيد الجنابي، استولى على البحرين الأحساء وسنّوا لأتباعهم اللواط، وأمر بقطع يد من أطفأ نارًا بيده؛ وذلك لميلهم إلى المجوسية، وفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م دخلوا مكة وقتلوا من وجدوا في الطواف، واقتلعوا الحجر الأسود وحملوه إلى البحرين، ثم أخذ منها إلى الكوفة، ورد بعد ذلك من الكوفة إلى مكة في سنة ٣٣٩هـ/٩٥١م، وقتل بعد ذلك زعيمهم سليمان بن الحسن وانقطعت بعد ذلك شوكة القرامطة. (البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٩٩ وما بعدها).

(٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٠١/١١).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٦٧/٩).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٣/١١).

(٥) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٨، ٩).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٣/١٤).

(٧) مسكويه، تجارب الأمم (٧٥/٥). الصابئ، تحفة الوزراء قي تاريخ الأمراء، ص٣٠٥.

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٥٦/١٤).

المملكة ينفرد بها أبو الحسن علي بن عيسى، وأصبح حامد بن العباس لا يأمر في شيء في أمور الوزارة، فلما رأى هذا ضعف حاله استأذن المقتدر بالله في العودة إلى واسط؛ ليدبِّر أمر ضمانه الأول من أعمال الخراج والضياع والأهواز وأصبهان، فأذن له المقتدر في ذلك وأقام بواسط ولم يكن له إلاَّ اسم الوزارة فقط، وبهذا ظهرت ظاهرة جديدة وهي تعيين وزيرين في الوزارة[١].

وفي سنة ٣١١هـ/٩٢٣م نُكِب الوزيران حامد بن العباس وعلي بن عيسى عن الوزارة؛ وذلك لضعف الخليفة وعجزه عن تنفيذ أوامر الوزير علي بن عيسى لتنظيم أمور الوزارة أمام ضجيج الحاشية؛ بسبب زيادة الضمانات، ولتأخير أرزاق الحرم، والتقليل من رواتب الخدم والحاشية والفرسان، ومن استحقاقاتهم، وتأخير أرزاق العمال شهرين في كل سنة، ومن أرزاق المنفقين وأصحاب الأجناد والقضاة أربعة أشهر، فزادت عداوة الناس له.[٢]

وفي وزارة علي بن الفرات الأخيرة ضعفت أحوال الخلافة بسبب ضعف الخليفة المقتدر بالله، حيث استطاع الوزير ابن الفرات إبعاد مؤنس عن بغداد؛ للتخلص منه رغم مواجهة هذا القائد للأعداء ودفاعه عن الدولة ضد القرامطة، ولذلك شغب الناس وخافوا من سيطرتهم على الدولة، فطالبوا بإعادة مؤنس وخلع ابن الفرات، وتحركت العامة فامتنعوا عن أداء الصلاة في المساجد الجامعة ذلك اليوم، وتزعزع الأمن في بغداد، وحاول المقتدر خلعه، لكنه لم يستطع، فأشار مفلح الخادم على المقتدر بتأخير نكبته، لكن القوّاد والجنود دخلوا على الوزير وهو عند حرمه، فنكبوه سنة٣١١هـ/٩٢٣م[٣].

وسعى القائد مؤنس ومجموعة من القوّاد والحاشية بنقل الوزارة لعبد الله بن مُحَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، رغم كره الخليفة المقتدر بالله له، لكن عجز الخاقاني عن توفير الأموال، وثار الجند عليه مطالبين بأرزاقهم، فنكب سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م. ولضعف الخليفة المقتدر بالله عجز الوزير أبو العباس الخصيبي عن توفير الأموال، ولإدمانه على

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (١١٣/٥).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (١٤٣/٥).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٦٢/١ - ٦٣). مسكويه، تجارب الأمم، (١٤٦/٥).

الخمر، وإهماله شؤون الدولة، نكبه القائد مؤنس سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، يقول ابن الأثير: "فلما صار الأمر إلى هذه الصورة، أشار مؤنس بعزله وولاية علي بن عيسى"(١).

وبذلك أصبح الخليفة المقتدر بالله حائراً بين الوزراء وبين القوّاد، والضحية هي الخلافة، والرعية يلبي مطالب القوّاد والحاشية؛ ليأمن شرهم وغدرهم، لذلك كان المقتدر يصدر قرارات ويرجع في إلغائها أمام الطغمة المحيطة به، فجعلته واقعًا تحت تأثيرهم؛ مصادقاً على قراراتهم(٢).

وممَّا يشير إلى ضعف الخليفة المقتدر بالله حرمانه من الوزراء الأكْفاء، حيث مارس الوزير علي بن عيسى بن الجراح سياسته التنظيمية التي طبَّقها في محاولة التقليل من اختلال السياسة وكثرة النفقات، وخاصة نفقات الحرم والخدم، لكنه واجه الاعتراضات حتى نكب الوزير عن منصب الوزارة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م(٣).

وممَّا يعطي دلالة واضحة على ضعف الخليفة المقتدر بالله وتدخل المحيطين في شؤون إدارة الخلافة هو تعيين شخص أو أكثر بجانب الوزير، يسلبون منه اختصاصاته ولا يبقون له أثرًا كبيرًا في إدارة الدولة، وقد تكررت هذه الظاهرة في وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد الذي نكب سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م(٤)، حيث عيَّن علي بن عيسى "الإشراف على سائر الأمور من الأعمال والدواوين، فصار يصل مع سليمان إلى المقتدر، ولا يقلد سليمان أحدًا ولا يصرفه، ولا يعمل شيئًا إلا بموافقة علي بن عيسى"(٥).

ثم في وزارة أبي القاسم عبد الله بن مُحَّد الكلوذاني(٦) سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، فرض مؤنس على الخليفة المقتدر بالله تقليص كثير من صلاحياته، وذلك بأن أمر علي بن عيسى بمحضر من الوزير "أن يجري على عادته في الإشراف على الأمور والحضور معه، وعرَّفه أنه قد أفرده

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٧٠٦).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١٤٩).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٦/٢١٦).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٢٠٥).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢٠٥).

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٢٠٧).

بالنظر في المظالم"، لكنه لم يستمر حتى نكب الوزير الكلوذاني دون مشورة الخليفة في السنة نفسها[١].

لم يكن الخليفة الراضي بالله ٣٢٢هـ/٩٤٣م من الخلفاء الأقوياء الذي علت الخلافة بوصوله إليها، فقد غلب على شخصيته الضعف وعدم أخذ الأمور بحزم، فلم يكن من شأنه أن يعيد للخلافة مجدها وهيبتها، ففضل الانشغال عنها بالمجالس الشعرية والانغماس في الملذات[٢]، فلم يكن بمقدوره تنظيم أمور دولته وصد كيد الطامعين، فلجأ إلى تعيين ابن رائق في منصب جديد ولقَّبه بأمير الأمراء تضخيمًا له، وأسند إليه كثيرًا من الأمور العسكرية والمدنية ليكفيه هم الخلافة[٣].

أراد الخليفة الراضي بالله أن يجعل على وزارته وزراء أكْفاء يغطي على ضعفه بقوتهم، وكلفهم بأمور الدولة وإصلاحها؛ حفاظًا على بقاء الدولة العباسية وطرد شبح السقوط، إلا أن بعض الوزراء الذين اختارهم أصابوه بخيبة أمل؛ لسوء تدبيرهم وعجزهم عن القيام بواجباتهم الوزارية، والبعض منهم كان قويًّا إلا أنه كان أنانيًّا تهمه مصلحته الخاصة دون مراعاة المصلحة العامة للدولة، الأمر الذي جعل الخليفة الراضي بالله يتخبَّط في اختيار الوزراء؛ إذ لم يمض على خلافته عام حتى تعاقب على وزارته أربعة وزراء، لعله يجد لدولته من يصلح حالها؛ إذ إن الأزمة المالية تفاقمت واشتكت خزينة دولته من النقصان[٤].

لقد اضطربت أحوال الخلافة في عهد الراضي بالله بسبب ضعفه الذي أدَّى إلى ظهور صراع رجال دولته؛ سعيًا منهم للاستئثار بالمناصب، حتى استطاع مُحَّد بن ياقوت أن ينتزع منصب رئاسة الجيش والحجابة من ابن رائق الذي كان آنذاك في الأهواز، وبدأت أعمال مُحَّد بن ياقوت تطغى على الخليفة ووزيره أبي علي مُحَّد بن مقلة، الذي أصبح أمره معطلًا في وزارته بسبب القرار الذي أصدره مُحَّد بن ياقوت، وكان مفاده ألا يقبل توقيعًا بولاية ولا عزل

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢١٢ – ٢١٣). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٢٠٨).

(٢) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص ١٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/ ٥٢).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/ ٥٢ وما بعدها).

وإطلاق إلا إذا كان توقيعه عليه، كذلك أمرهم بحضور مجلسه[1]، حتى أصبح الوزير ابن مقلة يعرض الأعمال على مُحَّد بن ياقوت، فما أجازه وقع عليه، وما لم يجزه يتركه، لهذا دبَّر الوزير ابن مقلة مؤامرة ليتخلص من مُحَّد بن ياقوت فقبض عليه سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م، ثم سجنه وقتله، ولم يستمر ابن مقلة في الوزارة حتى استطاع المظفر بن ياقوت أن يدبِّر مؤامرة ضد هذا الوزير ليأخذ بثأر أخيه، فتحالف مع جنود أخيه فنكب ابن مقلة سنة ٣٢٤هـ/ ٩٦٣م[2].

ونتيجة لهذه الصراعات أهملت أعمال الدولة واضطربت أحوالها؛ لتكالب رجال الدولة على المناصب، فكل منهم يسعى لمصلحته لا لصلاح حال الدولة ورعاياها.

ونستطيع القول: إن تلك العوامل كانت كفيلة بأن تجعل دولة الراضي بالله مسرحًا للفوضى والشغب، الأمر الذي أدَّى إلى خلخلة أركان الدولة وتناقص هيبتها فضعفت الخلافة، ولحق الضعف في منصب الوزارة، فذهب الراضي بالله للبحث عن علاج يسقي به دولته المريضة، فوجد الدواء بأن يبطل أعمال جميع إدارته حتى سلطته، ويحدث منصب إمرة الأمراء؛ ليكمل به مسيرته في الخلافة، إلاَّ أنه أخطأ في الدواء، فقد كان وباء عليه وعلى من جاء بعده[3].

أمَّا الخليفة المستعصم بالله فقد كان آخر خلفاء بني العباس الضعفاء في العراق، وكان كريمًا حليمًا، سليم الباطن حسن الديانة، متمسكًا بالسنة كأبيه وجده، ولكن لم يكن مثلهما في التيقُّظ والحزم وعلو الهمة، ففيه لين"[4].

ويقول ابن طباطبا: "كان المستعصم رجلاً خيرًا متدينًا لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان، حمل كتاب الله تعالى، وكتب خطًا مليحًا، وكان سهل الأخلاق، وكان خفيف الوطأة، إلا أنه مستضعف الرأي، ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمور المملكة، مطموعًا فيه، غير مهيب

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (١٤٧/٥).

(٢) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ص٨١.

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٨٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٣/ ٢٤١). السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٤.

في النفوس، ولا مطلع على حقائق الأمور"[1]. ولم يوصف بتلك الأوصاف فقط، بل زاد عليها المؤرخ ابن العبري بقوله: "وكان ضعيف الرأي قليل العزم، كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول، وكان إذا نُبِّه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار: إمَّا المداراة والدخول في طاعتهم وتوخِّي مرضاتهم، أو تجييش العساكر وملاقاتهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق، فكان يقول: أنا بغداد تكفيني، ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد، ولا أيضًا يهجمون عليَّ وأنا بها، وهي بيتي ودار مقامي. فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب، فأصيب بمكاره لم تخطر بباله".[2]

ولضعفه أرغم رجالُ البلاط كلَّ أفراد البيت العباسي لكي يبايعوا، وقد أُخِذ كل من رفض أن يبايع إلى سجن خاص، فحبسوا، وأخيرًا خضعوا لأوامر رجال البلاط، فبايعوا مكرهين[3].

وبهذا حصل للوزير الشيعي مؤيد الدين العلقمي الذي كان في قلبه غل على السنّة وأهلها،[4] من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء.[5]

ونخلص ممَّا سبق إلى أن ضعف الخلفاء كان السبب المباشر الذي أدَّى إلى ظهور عدد من النكبات للوزراء، وتطرق الفساد إلى منصب الوزارة منذ بداية عصر الخليفة المنتصر بالله ٢٤٧هـ/٨٦١م حتى عهد الخليفة المقتدر ٢٩٥- ٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م، لاتِّباعه سياسة ضعيفة في تعيين وزرائه وعزلهم، حتى تقلَّد الوزارة في عهده اثنا عشر وزيرًا، عُزِل بعضُهم أكثر من مرة، وبهذا ضاعت هيبة الوزارة فلم يبق للوزراء شيء من النفوذ؛ فاقتصرت وظيفتهم على الحضور إلى دار الخلافة في أيام المواكب مُرتَدِين السواد متقلدين السيوف والمناطق وغيرها من

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣١٧-٣١٨.

(٢) ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف (ت، ٦٨٥هـ/١٢٧٦م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار النشر الشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٢٣.

(٣) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٨٨، ١٩٥- ١٩٦.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٨/ ٢٦٢).

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٣/ ٢٣٩- ٢٤٩).

شعارات الوزارة، وأصبح تعيين الوزراء وعزلهم بيد القوّاد،[1] واستمر ضعف الخليفة العباسي حتى دخول التتار بلاد العالم الإسلامي والقضاء على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[2].

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (٦/٢١٦).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٣/ ٢٤١). السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٤.

المبحث الخامس

الصراع على منصب إمرة الأمراء

ضعف شأن الوزارة في عصر إمرة الأمراء، فلم يكن للوزير أن ينظر في شيء من أمر الولايات، ولا الدواوين، ولا الأعمال، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط، بينما أصبح أمير الأمراء ينظر في جميع الأمور، وصارت الأموال تحمل من جميع الولايات إلى خزائن أمير الأمراء، فيأمر وينهى فيها وفق ما يراه، وينفق منها كما يرى، ويطلق لنفقات السلطان ما يريد، فخلت بيوت الأموال[١] .

حددت سلطة الوزراء وضعف شأنهم بصورة جلية مع بداية القرن الرابع الهجري، فأنقص الخليفة الراضي بالله من اختصاصاتهم وأسند شؤون الدولة كافَّة إلى أحد كبار القوّاد ولقبه أمير الأمراء[٢] ، وعلَتْ مرتبته على مرتبة الوزير، يقول ابن طباطبا: "واستبدَّ ابن رائق أمير الأمراء بالأمور، وورد الحكم في جميع الأمور إلى نظره، ولم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير"[٣] .

وهكذا زال نفوذ الوزير من الناحية العملية في عصر إمرة الأمراء، ولم يبق منها إلا الناحية الاسمية، وأصبح منصب الوزير فخريًا شرفيًا، واعتبر أحد أفراد حاشية الخليفة[٤] ، يقول ابن خلدون: "واستبد العجم في أمور الخلافة"، ولم يتمكن هؤلاء أن ينتحلوا ألقاب الخلافة، واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب؛ لأنهم خول[٥] لهم، فتسمّوا بالإمارة أو السلطان، وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الأمراء أو السلطان، على ما يحليه به الخليفة من ألقابه، كما تراه في ألقابهم، وتركوا اسم الوزارة على من يتولاها للخليفة من خاصته، ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم"[٦] .

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١١/٣٣٠). مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٣٢).

(2) Sourdel، Amir Al Umara ; Encylopaedia of Islam1960 Vol، P P: 446

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٧٤.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٦/٣٢).

(٥) خول، حشم الرجل وأتباعه، (الزَّبيدي، تاج العروس ٢٤/٤٤٤).

(٦) ابن خلدون، العبر، (١/٢٤٣).

وأصبح الوزير بعد إحداث هذا المنصب مجردَ كاتبٍ يتولّى الأمور المالية للخليفة وحده، في حين انتقلت سلطات الوزير والخليفة إلى أمير الأمراء، وفي ذلك يقول مسكويه: "إن الراضي عرفه أنه قلده الإمارة ورياسة الجيش وجعله أمير الأمراء، وردَّ إليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال جميع النواحي، وفوَّض إليه تدبير المملكة، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الممالك"[١].

لقد أخطأ الخليفة الراضي بالله بأن سلَّم دولته في يد أحد الطامعين من الأتراك بإعلان صريح يسمح له بالتصرف في شؤون الدولة دون الرجوع إلى سلطة الخليفة، وهذا بمثابة الخليفة على المؤمنين، لقد أقدم الراضي بالله على إحداث منصب في الخلافة غير مألوف؛ ظنًا منه أنه إنقاذ للخلافة من تدهورها، فلم يتخيَّل له أن الأمور سوف تتخذ طابع إلغاء سلطة الخليفة العباسي، فلم يفكر الراضي بأن يبحث عن بني جلدته وأهل بيته؛ ليشاطروه هموم الخلافة وكيفية النهوض بكيان الدولة والحفاظ على بقائها وإعادة هيبتها وقوتها،[٢] فقد أعتقد الراضي أن الأتراك قوة لا تُقْهَر.

أصبحت دولته في استحداث هذا المنصب الجديد حلبة لصراع الأقوياء وظهور المنافسين من العسكريين للوصول إلى منصب الأمير في الدولة متصرفين فيها كما يريدون، واستفحل نفوذ الأمراء حتى إن القائم بهذا المنصب في عهد الخليفة الراضي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م أمر بذكر اسمه في خطبة الجمعة إلى جانب اسم الخليفة، وظل قادة الأتراك يتوارثون هذا المنصب حتى انتزعه منهم البويهيون الذين سيطروا على مقاليد الأمور بصورة أوضح في بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م في عهد الخليفة المستكفي بالله[٣].

وبهذا ضعف شأن الوزير، وصار لأمير الأمراء الحق في اختيار وزير للخليفة، ففي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م كتب أمير الأمراء ابن رائق كتابًا نيابة عن الخليفة الراضي إلى أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يستدعيه؛ ليجعله وزيرًا، وكان يتولى الخراج بمصر والشام، وكان ابن رائق يظن أنه إذا استوزره جبى له أموال مصر والشام، فقدِم الفضل إلى بغداد وتولى الوزارة للخليفة[٤].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٩٨/٥).

(٢) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٣٠٧/١).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (١١١/٦).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٥٦/٧).

ولما عجز ابن الفرات عن توفير الأموال بسبب ازدياد نفوذ قواد الأتراك وسيطرتهم على الأموال، وكثرة الثورات بسبب الحروب الداخلية، وانفصال بعض الولايات، وتجريد الوزير من صلاحية تنظيم مالية الدولة، نكب سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م، واستوزر الخليفة الراضي بالله أبا علي ابن مقلة، ولم يكن له من الأمر شيء وإنما الأمر جميعه لمحمد بن رائق،[١]، فسعى عند الراضي في القبض عليه وتعيين بجكم[٢]، وكاتب بجكم يطمعه في منصب ابن رائق، ولكن الراضي تحالف مع ابن رائق ضد ابن مقلة،، وأخبره بمؤامرة ابن مقلة، فشكر ابن رائق الخليفة الراضي بالله على ذلك ونكب ابن مقلة سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م[٣].

ضعف أمر ابن رائق؛ نتيجة انتشار الاضطرابات في البلاد وقلة الأموال، فتقدَّم بجكم التركي من واسط إلى بغداد، فهرب ابن رائق واختفى، ودخل بجكم بغداد، فخلع الخليفة الراضي عليه، وعقد له لواء وجعله أمير الأمراء سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م[٤].

استوزر الخليفة الراضي بإشارة بجكم أبا عبد الله البريدي، وفي سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م ساءت العلاقات بين بجكم وبين الوزير أبي عبد الله البريدي، ونتج عن ذلك أن نكب بجكم هذا الوزير، واستوزر بدلاً منه أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م، ثم عجز هذا الوزير عن تدبير الأمور لسيطرة إمرة الأمراء[٥]، "ومن تلك الأيام اضطهدت الخلافة العباسية، ووهنت الوزارة وخرجت الأمور منها، واستولى الأعاجم والأمراء وأرباب السيوف على الدولة، وجبوا الأموال وكفُّوا يد الخليفة وقرروا له شيئًا يسيراً"[٦].

ولما بويع المتقي لله بالخلافة ٣٢٩ - ٣٣٣هـ/٩٤٠ – ٩٤٤هـ أقرَّ في منصب إمرة الأمراء بجكم، فأقر سليمان بن الحسن وزيراً سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، ولم يكن له من الوزارة إلا اسمها، بينما التدبير كله للكوفي كاتب أمير الأمراء بجكم[٧]، فقيل في ذلك[٨]:

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧١/٧).

(٢) أحد غلمان الأتراك، وصل إلى منصب إمرة الأمراء سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م وقتل سنة ٣٢٩هـ ٩٤١م في خلافة المتقي لله. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧١/٧).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧١/٧).

(٤) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ٨٧. مسكويه، تجارب الأمم، (٤٠٧/٥).

(٥) الذهبي، العبر، (٢٨/٢).

(٦) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٧٤.

(٧) أبو الفداء، المختصر، (٩٣/٢).

(٨) القلقشندي، مآثر الإنافة، (١٩٨/١).

وزيــر رضــي عــن بأســه وانتقامــه يملي رقـاع حشـوها الـنظم والنثر
كمـا تسـجع الورقـاء وهـي حمامـة ولـيس لهـا نهـي يُطَـاع ولا أمــر

ثم نكب الخليفة المتقي وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد في السنة نفسها، واستوزر الخليفة كاتبه أبا الحسين أحمد بن مُحَّد بن ميمون بن هارون الأنباري بناء على رغبته ودبَّر أمور الوزارة، إلاَّ أنه نكب سنة ٣٢٩هـ /٩٤١م[١]، فلم يرض به قوّاد أمير الأمراء بجكم وطلب الوزارة البريدي فأجاب المتقي لله على طلبه وقلده المنصب في السنة نفسها،[٢] وكان الذي قبض على الوزير ابن ميمون البريدي[٣]، وأخفق البريدي في توفير المال، ولعدم مقدرة أمير الأمراء حل قضية الأزمة المالية ثار الجند عليه وطالبوه بأرزاقهم، فخاف منهم ونكب، وعقد المتقي الأمر إلى علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن دون تسميتهما بوزراء سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م[٤]، ريثما يتم اختيار وزير له، وولى الوزارة بعد ذلك أبا إسحاق مُحَّد بن أحمد بن إبراهيم الإسكافي القراريطي سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، فثار الجند ضده مطالبين بالأموال، فنكب الخليفة عن الوزارة، وتولى أبو جعفر مُحَّد بن القاسم الكرخي الوزارة سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، ولم يلبث الوزير الجديد أن نكب -أيضًا- في السنة نفسها للسبب نفسه، فتضاءل شأن الوزارة؛ نتيجة ضعف منصب إمرة الأمراء[٥].

فحاول بجكم حل الضائقة المالية، فاتفق مع الخليفة المتقي لله على الخروج إلى واسط للحصول على الأموال، وإصلاح الأوضاع، ثم خرج بجكم للصيد وهو بواسط فالتقى بجماعة من الأكراد وطمع في أموالهم، فقتله صبي منهم سنة ٣٢٩هـ٩٤١م[٦]، وانضم معظم عسكره إلى ابن البريدي، عندها استولى الخليفة على دار بجكم وعلى الأموال التي استولى عليها حيث بلغت أكثر من مليوني دينار.[٧]

---

(١) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص١٨٧.
(٢) الذهبي، دول الإسلام، (١/١٤٨).
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧/ ٥٨٧).
(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ١٥٢).
(٥) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٢٢٦.
(٦) القلقشندي، مآثر الإنافة، (١/٢٩٤).
(٧) الأربلي، خلاصة الذهب، ص١٨٧.

ويبدو أن الخليفة المتقي لله لم يكن راضيًا عن أمير الأمراء السابق بجكم ولا الجديد كورتكين الذي تقلّد هذا المنصب سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م حيث تظلّمت العامة من اتباع كورتكين، فنكب الوزير أبا إسحاق مُحَمَّد بن أحمد الإسكافي القراريطي ووضع بدلًا منه جعفر مُحَمَّد بن القاسم الكرخي سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م وهرب كورتكين منها، ثم ظفر به ابن رائق وأودعه السجن في دار الخلافة سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م.[١]

وتجدد الرأي لدى الخليفة المتقي لله في رد الوزارة إلى أبي عبد الله البريدي فعقد له الوزارة سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م،[٢] ولما عاد البريدي إلى بغداد نكبه ابن رائق عن الوزارة وأعاد أبا إسحاق القراريطي، بل ولعن بني البريدي على منابر مساجد بغداد[٣]. استاء البريدي من هذا الموقف فاستولى على بغداد فسادت الاضطرابات فيها، ووقع النهب والسلب، فهرب الخليفة المتقي لله وابن رائق إلى الموصل، ولاذا ببني حمدان.[٤]

وأمر ناصر الدولة الحمداني بقتل ابن رائق فقتل سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م، وخلع الخليفة المتقي على ناصر الدولة، وجعله أمير الأمراء، وخلع على أخيه أبي الحسن ولقَّبه سيف الدولة، ورحل الخليفة وبنو حمدان من الموصل إلى بغداد[٥].

وردَّ الخليفة الوزير أبا إسحاق مُحَمَّد بن أحمد الإسكافي القراريطي إلى الوزارة سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م، إلاَّ أنه غلت الأسعار وثار الناس وطالبوا بأرزاقهم، ونكب القراريطي سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م[٦].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/٧٦).

(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢١٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/١٠١).

(٤) دولة الحمدانيين، قامت في منطقة الموصل ثم في حلب سنة ٣١٧- ٣٩٤هـ/ ٩٢٩- ١٠٠٤م، وقد ظهر الحمدانيون في عهد الخليفة المعتضد، وكان أشهر رؤساء بني حمدان أبا مُحَمَّد الحسن بن عبد الله الذي لُقِّب ناصر الدولة، وأخاه أبا المحاسن علي بن عبد الله الذي لُقِّب سيف الدولة. وقد تشعَّبت الدولة الحمدانية إلى شعبتين، إمارة الموصل وعليها ناصر الدولة وإمارة حلب وعليها سيف الدولة، إلا أنها سقطت بسبب الضغط عليها من ناحية البويهيين والصراع الداخلي بين أمرائها. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/ ٤٢٦ وما بعدها).

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، (١١/ ٢٠٢ – ٢٠٣).

(٦) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص ٢٢٩.

استأثر أمير الأمراء ناصر الدولة الحمداني بالسلطة وأساء معاملة الخليفة، وقد أشار الصولي إلى ذلك بقوله: "وضيَّق ناصر الدولة على المتقي في نفقاته وعلى أهل بيته وانتزع ضياعه وضياع والدته، فجعلها في جملته"[(١)]، وثار الأتراك ضده فقرر أن يعود إلى الموصل سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م[(٢)]، وبعد خروج ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل، استوزر الخليفة المتقي لله أبا الحسين بن مقلة، واستمر وزيرًا إلى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م[(٣)].

واستنجد الخليفة بالقائد توزون، فقدم إلى بغداد سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م، وخلع المتقي عليه وولّاه إمرة الأمراء[(٤)]، وسيطر على الخليفة المتقي حتى حدد له راتبًا شهريًّا قيمته خمس مائة دينار،[(٥)] ثم ما لبثت أن ساءت العلاقات بين الخليفة المتقي وتوزون أمير الأمراء، حتى قبض على الخليفة، وسمل عينيه[(٦)]، وبايع المستكفي بالخلافة سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م، ونكب توزون الوزير أبا الحسن بن علي بن مقلة[(٧)].

وبعد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م انتقل منصب أمير الأمراء إلى الأمير البويهي، وبات هذا الأميرُ هو رأس السلطة والحاكم المطلق لإمارته، فلم يعد للخلافة وزارة ولا وزير، فقد كان له كاتب يهتم بأموره الخاصة، في حين تحوّل منصب الوزير بعد ذلك إلى الأمير البويهي معز الدولة الذي يستوزر لنفسه من يريد[(٨)].

وكان آخرُ وزراء الخلافة العباسية قبل استئثار بني بويه بالسلطة في العراق أبا الفرج مُحَمَّد بن علي السامري سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م، ولم يكن له من الوزارة إلا الاسم بينما المسيطر

---

(١) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٢٣٥- ٢٤٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٢١/٧).

(٣) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٢٣٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٢١/٧).السيوطي، تاريخ الخلفاء ص ٢٦٢.

(٥) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٧.

(٦) سَمَل العينَ: فقأها بِحَدِيدَةٍ مُحْمَاةٍ. (أحمد بن مُحَمَّد بن مقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح للرفاعي، (د. ط)، المكتبة العلمية، بيروت (د. ت)، ٢٨٩/١).

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، (٨٠/٢).

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/ ٢٠٨).

والمدبِّر كاتب أمير الأمراء معز الدولة البويهي[1]، حتى نكب سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م،[2] ويقرر ابن الأثير أن المستكفي بالله استكتب بعد نكبه لوزيره أبي الفرج السامري[3] أبا عبد الله بن أبي سليمان، ثم قبض عليه، واتخذ كاتبًا له أبا الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي[4].

ويتضح من هذه الروايات أن الخليفة المستكفي بالله آخر الخلفاء العباسيين الذي كان له وزيرٌ ولم يتخذ له وزيرًا بعد السامري. كما أنه عندما خلع معزُّ الدولة الخليفةَ المستكفي وأقام الخليفة المطيعَ لله، لم يجعل له أمرًا ولا نهيًا ولا رأيًا،[5] ولا مكَّنه من إقامة أمور الخلافة ولا إقامة وزير؛ بل غلب معز الدولة على أمر الخليفة، فلم يكن هناك "خلافة تُعرَف ولا وزارة تُذكَر"[6].

ويكفي أن نعرف أن الوزارة أصبحت بيد البويهيين، ومن وزراء معز الدولة أبو جعفر مُحَّد بن أحمد الصيمري الذي توفي سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م،[7] وأبو مُحَّد الحسن بن مُحَّد المهلبي، مكث وزيرًا ثلاث عشرة سنة، وتوفي سنة٣٥١هـ/٩٦٢م وعمره ٦٤سنة.[8]

ومن وزراء الأمير البويهي ركن الدولة الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين بن العميد الأول الذي توفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م، وابنه الوزير أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد الذي لقِّب بذي الكفايتين[9].

وكان من الوزراء الذين تعرضوا للنكبات الوزير ابن بقية، حيث كان لابن بقية نفوذ كبير في أثناء وزارته للبويهيين من قبل الخليفة المطيع لله عندما اتخذه وزيرًا ولقَّبه بالناصح سنة

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٩٩.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ٢٧٣).

(٣) الكامل في التاريخ، (٧/١٨٨).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/ ٢٠٣- ٢٠٤).

(٥) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، (١/ ١٣٣).

(٦) المسعودي، مروج الذهب، (٤ / ٣٧٢).

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ٢٩٤).

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، (١١/ ٢٨٩ - ٢٩٠).

(٩) مسكويه، تجارب الأمم، (٥ / ٣٨٩ - ٣٩٠).

٣٦٠هـ /٩٧١م،[1] ولما انتزع الأمير عضد الدولة إمارة العراق من ابن عمه عز الدولة بختيار سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م قدَّم له ابن بقية مساعدات كثيرة خلال إقامته ببغداد، فكافأه عضد الدولة بأن عيَّنه وزيرًا لابنه أبي الحسين، وعرض عليه ما يشاء أن يتقلَّده من أعمال، فاختار ابن بقية واسط وتكريت وعكبرا[2]، فعينه عضد الدولة ضامنًا لتلك الأعمال.[3]

ويبدو أن ابن بقية كان يطمع أن يوليه عضد الدولة وزارته هو، لا ووزارة ابنه، ممَّا جعله ينقم على عضد الدولة، ويعمل فور وصوله إلى واسط على تأليب حكام مدن العراق ضده، ممَّا أضعف موقف عضد الدولة، ولما تجدد النزاع بين الأميرين عضد الدولة وعز الدولة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م نكب ابن بقية بحجة أنه السبب في الهزائم التي لحقت به في تلك الحرب[4].

ونخلص ممَّا سبق أن منصب إمرة الأمراء الذي استحدثه الراضي بالله كان تجربة فاشلة، لم يستطع صاحب هذا المنصب إنقاذ الخلافة من أزمتها السياسية والمالية، وازدادت حالتها سوءًا في فترة إمرة الأمراء، وفقد الخليفة والوزير نهائيًّا كل اختصاصاتهم كمصدر أول للسلطة في الخلافة، هذا فضلًا عن كون الخليفة أصبح مكرهًا على متابعة تعليمات أمير الأمراء وتنفيذها كما ترد إليه.[5]

وقد دخلت مرحلة من الانهزام والسقوط غير المباشر بل جعلت الأطراف تطمع في ممارسة نفوذهم على الخلافة، وأخذ حصتهم من التركة الموزعة، وعمَّت الفوضى والاضطرابات في الدولة العباسية حتى فسدت الحياة بجميع عناصرها، ومهَّدت الطريق أمام السيطرة البويهية لبغداد.

وبدأت مرحلةٌ جديدة في تاريخ الدولة العباسية، فأصبحت الخلافة تابعة لأسرة جديدة كانت ترى لها الحق في الوصاية على الخلفاء العجزة، وتحررهم من هيمنة الأتراك الذين عصفوا بالخلافة وأنقصوا هيبتها حقبة من الزمن، فلم يكن في حقيقة الأمر دخول البويهيين بغداد

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٢١/١٦).

(٢) عكبر: بليدة من نواحي دجيل على بعد عشرة فراسخ من بغداد. (الحموي، معجم البلدان، ١٤٣/٤).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٤٥/٥، ٣٤٦).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٤٥/٥، ٣٤٦).

(٥) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٤١.

لإنقاذ الخلافة من وهنها وإنما ليمارسوا سلطانهم على الخلافة وإعادة المجد الفارسي، وإن كان تحت ستار الاسم للخلفاء والملك لبني بويه، وصار معز الدولة يمارس حريته في الدولة.[1]

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ٢٧٦).

المبحث السادس

تدخُّل النساء في شؤون الوزارة

أدَّى تدخل النساء في شؤون الدولة، وبخاصة في تولية الوزراء وعزلهم إلى عدم تولي الأكْفاء من الوزراء، وأصبحت الوزارة ألعوبةً بأيديهن يحظى بها من يدفع إتاوة أكبر إليهن، وأصبح الحكم في يد النساء[١].

فقد تدخلت السيدة شغب أم المقتدر بالله[٢] في شؤون الحكم مستغلة صغر سن ابنها، فكانت تطوي عنه الرزايا والفجائع، وتقول: إظهارها يؤلم قلبه، فأدَّى ذلك إلى انتشار الفساد في الدولة العباسية[٣]، ويعلق أحد الباحثين فيقول: وتمثِّل السيدة شغب أم الخليفة العباسي المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠ هـ/٩٠٨-٩٣٢م نموذجًا مبكرًا وقويًا لتجلّي المرأة كرمز للسلطة والثروة التي وصلت إليه المرأة في الدولة والمجتمع[٤].

وكان الأمر لها في خلافة ابنها وهو يتدبَّر بتدبيرها، فكانت تدفع الأموال للجنود لمنعهم من الشغب[٥]، ولشدة ثرائها وقوة شخصيتها كانت تنفق على الجيوش في أثناء مواجهة الأعداء[٦].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١، ٣٢٨.

(٢) أم المقتدر: شغب أم المقتدر بالله، لم يكن لامرأة بعد زبيدة بنت جعفر من الخير ما كان لها، فإنها كانت مواظبة على صلاح حال الحاج وإنفاذ خزانة الطب والأشربة إلى الحرمين وإصلاح الطرق والحياض والآبار، وكان يرتفع إليها من ضياعها الخاصة ألف ألف دينار في كل سنة وتتصدق بأكثرها، ووقفت وقوفًا كثيرة على مكة والمدينة، ولما قتل ولدها المقتدر وأفضت الخلافة إلى القاهر قبض عليها وأُخِذت أموالها وأمر الشهود أن يشهدوا عليها بحل وقوفها فأبت وقالت: شيء وقفته لله لا أرجع فيه، خذوا غيره من أموالي، وعذَّبها عذابًا شديدًا، ومرضت فلم يخفف عنها من العذاب إلى أن هلكت في الاعتقال سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م. (الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦/٩٨).

(٣) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص٢٢٠-٢٢١.

(٤) محمَّد الأرناؤوط، السيدة شغب أم الخليفة العباسي المقتدر بالله نموذجًا، (د. ط)، دار الحياة، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١١م، ص١٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٥٠٣).

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٢٣/ ٣٧٤).

وقد أنفق المقتدر أموالاً طائلة على نسائه وجواريه، حتى غدت خزائنه فارغة[١].

قال الذهبي: "وفي أيام المقتدر اضمحلت دولة الخلافة العباسية وصغرت؛ لأنه كان مؤثر للعب والشهوات، غير ناهض بأعباء الخلافة، وكانت أمه وخالته وقهرمانته[٢] يتدخلن في الأمور كلها[٣].

وبلغ من جراءة أم المقتدر أنها نصبت جارية تعرف بثمل القهرمانة، تجلس للمظالم ويحضرها الوزراء والقضاة والعلماء[٤]، وتنظر في حقوق الناس كل جمعة[٥]، ومن شدة سلطتها أنها كانت تسعى بالوزارة إلى بعض أعوان السيدة شغب[٦]، وتعلِّق إحدى الباحثات بقولها: وتكون بذلك أقدمت على تلك الجراءة التي لم يكن لأحد عهد بمثلها من قبل[٧]، وكانت مهمة القهرمانة إشرافها على نقل الرسائل من الخليفة المقتدر بالله وأمه إلى الوزير العباسي وهي مهنة حساسة؛ لأنها تعتمد على السرية، ويبدو أنه نتيجة لضعف الخليفة المقتدر أصبح لتلك الجارية تطلعات كبيرة، حيث تجاوزت ذلك إلى المشاركة الإيجابية في إدارة شؤون الدولة، حيث قال ابن الأثير: "فكانت أم موسى تؤدي الرسائل من المقتدر إلى الوزير، وإنما ذكرناها لأن لها فيما بعد من الحكم في الدولة ما أوجب ذكرها وإلا كان الإضراب عنها أولى"[٨].

وكان من آثار تدخل النساء في الحكم احتقار وازدراء الخلافة، فزالت هيبة الخلافة من النفوس، وفي ذلك يقول ابن طباطبا: "واعلم أن دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير؛ لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه، وهو مشغول بلذَّاته، فخرجت الدنيا في أيامه، وقلت بيوت الأموال واختلفت الكلمة، فخلع، ثم أعيد، ثم قتل"[٩].

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٥٣- ٢٥٦.

(٢) القهرمان: الوكيل وأمين الدخل والخرج. (القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ١/ ١٩٧).

(٣) الذهبي، العبر، (٢/ ١٨٧، ١٨٨).

(٤) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص٢١٣. ابن دحية، النبراس، ص١٠٩.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٢٣/ ٢٦).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧/ ١١٣).

(٧) سنية قراعه، أم المقتدر، مجلة العربي، العدد (١١٥)، (د. م)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٢٦.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٤٧٩).

(٩) الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢١١.

فقد تدخّلت السيدة وقهرمانتها ثمل في عزل الوزراء وتعيينهم، ففي سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م لما نكب المقتدر بالله الوزير علي بن مُحَّد بن الفرات، ولى أبا علي مُحَّد بن يحيى بن خاقان الوزارة، كان ذلك بتأثير أم المقتدر بالله بعد أن ضمن لها الوزير مائة ألف دينار[١]، كما ولى المقتدر أبا الحسن بن أبي البغل الوزارة في بغداد، وكان وزيرًا بأصبهان، وعاونه في تولي الوزارة أم موسى القهرمانية[٢]، ولما علم الخاقاني ضمن لأم المقتدر خمسين ألف دينار، فنقضت أمر ابن أبي البغل، وردته واليًا على فارس[٣]، ولما علمت أم موسى القهرمانية بما حدث راجعت الخليفة، فامتنع عن استيزاره ورده إلى أصبهان[٤].

وضعفت الوزارة في عهد الوزير الخاقاني وسيطر أولاده على الحكم، وسعوا جميعًا للحصول على الرشوة، وأسرف في تولية العمال حتى إنَّه ولى على الكوفة في خلال عشرين يومًا سبعة من العمال، دفع كل منهم رشوة كبيرة له[٥]، وكان الخاقاني يحصل على رشوة من كل عامل يولّيه[٦]، حيث كتب إلى بعض العمال وقال له يهدده: "الزم – وفقك الله – المنهاج واحذر عواقب الاعوجاج، واحمل ما أمكن من الدجاج، فحمل العامل دجاجًا كثيرًا"[٧]، إلا أن طريقة وزارة الخاقاني لم تعجب الخليفة فنكبه سنة ٣٠١هـ/٩١٤م[٨].

ثم إن المقتدر بالله أسند الوزارة إلى رجال أكْفاء أمثال الوزير علي بن عيسى، ولم يستمر هذا الوزير المصلح في الحكم[٩] حتى نكب بسبب أم موسى القهرمانة التي طلبت المال لعيد الأضحى، فلم يأذن لها حاجبه بمقابلته وصرفها صرفًا جميلاً، وكان الوزير علي بن عيسى قد

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري (٤٠/١)، الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٨٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٢١/٨).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٢٢/١).

(٤) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٩٧ – ٢٩٩.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (١٧/٥).

(٦) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٢٢/١).

(٧) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٠١/١١).

(٨)مسكويه، تجارب الأمم، (٤٠/١)،ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣١/٨).

(٩) مسكويه، تجارب الأمم، (٤٠/٥).

ضجر في جميع أوقاته من سوء أدب الحاشية والمطالبة بالأموال، رغم ذلك بعث الوزير علي بن عيسى الجراح حاجبه وولده يعتذرون لها، فلم تقبل الاعتذار، فغضبت عليه وحرضت الخليفة المقتدر على الوزير وأوغرت عليه صدر أم الخليفة فنكب من منصبه سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م[١].

وفي وزارة أبي الحسن علي بن مُحَّد بن الفرات الثانية سنة ٣٠٤هـ/٩١٧م، شغب الجند بسبب تأخر أرزاقهم، وكان ابن الفرات يعمل على تنظيم الإيرادات ومراجعة الضمانات، فوجد في ضمانات أعمال واسط ما تجب زيادته، فخاف حامد بن العباس صاحب الضمان أن يأخذ وأن يطالب بذلك المال، فكتب إلى نصر الحاجب، وإلى السيدة والدة المقتدر، وضمن لها مالاً ليرشحاه عند المقتدر بالله للوزارة، فقلَّده الوزارة ونكب ابن الفرات سنة ٣٠٦هـ/٩١٩م[٢].

وسعى عبد الله بن مُحَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الوزارة، وتعهَّد بتأدية ألفي ألف دينار للقهرمانة ثمل، فتولى الوزارة سنة ٣١٢هـ/٩٣٣م.[٣]

ومن ذلك الوقت زادت مكانة ثمل وصارت تكبس منازل التجار والمستوردين فتحوز ما تجده لنفسها، وانبسطت يدها، حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها، وبهذا أصبح الناس لا يطمئنون على أنفسهم، ولا على أموالهم[٤]. وفي سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م نكب علي بن عيسى عن الوزارة، وتولاها مُحَّد علي بن مقلة محاولة لحل المشكلة المالية، حيث كثرة نفقات الحريم والخدم، ولاسيما نفقات أم الخليفة[٥].

---

(١) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٣١٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣٧/٨).

Harold Bown، the life and times of Aly Ipn Isa … P، 151 - 152 .

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٣٠٨

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (١٢٧/٥).

(٤) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه: عمر السعيدي، (د. ط)، (د.د)، دمشق، ١٩٧٢م، (٧٥/٤).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩٨/٨).

وبهذا كان للنساء دورٌ كبيرٌ في سياسة الدولة واستنزاف ثرواتها، وكانت ثمل موصوفةً بالشر حيث كانت يُسلم إليها من يُسخط عليه من الوزراء، ومن الجواري وخدم القصر لمحاسبته، ولذلك اشتهرت بالقسوة في العقوبات.

فقد استخرجت ثمل من أم موسى ومن أختها وأخيها أموالًا عظيمة وجواهر نفيسة ومن الثياب والكسوة والفرش والطيب ما يعظم مقداره، حتى نصب علي بن عيسى لذلك ديوانًا وسماه: ديوان المقبوضات[(١)]، وقد أدَّى تدخلهن إلى إضعاف نفوذ الوزراء وأصبحت هذه المناصب يتولاها أشخاص يفتقدون الخبرة والدراية والقدرة، فذهب ما كان في خزائن الدولة من الأموال وزال كثير من رسوم الخلافة[(٢)].

ونخلص ممَّا سبق أن الوزراء الطامعين في الوزارة يقدِّمون المال لنساء القصر للوصول إلى هذا المنصب، وكان الوزير يسعى للحصول على المال؛ ليضمن رضا الخليفة ونساء القصر والخدم، ويلجأ إلى توفيرها من خلال فرض الضرائب الباهظة على الشعب، وإلى استخدام أساليب القسوة والشدة مع الأهالي في جمعها، بالإضافة إلى مصادرة أموال الوزير السابق وأتباعه وأقربائه، وإلى قبول الرشوة من الولاة والعمال، مقابل حصولهم على مناصبهم أو بقائهم فيها، كما كان الوزير يحاول أيضًا السيطرة على أموال الخراج، والجباية والاستئثار بمعظمها.[(٣)]

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (١٤١/٥).

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢٨.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٢٧/٥).

المبحث السابع

قوة نفوذ الوزراء وكفاءتهم

كان لبعض الوزراء أثرٌ كبيرٌ في إدارة شؤون الدولة والعمل على إصلاح الحالة المالية، وأسهموا في الإشراف على ديوان الجند والنظر في أحوالهم وصرف أرزاقهم، واهتموا في تحقيق قواعد الشريعة في الميادين كافة، كما أنهم حاولوا التخلص من النفوذ الخارجي على الخلافة العباسية، فكانت شخصية الوزراء شخصية قوية عاونت الخلافة معاونة صادقة، وأخذت في تدبير شؤونها ورعاية مصالحها بكل حكمة وروية[(١)]، إلى جانب تعيين أفضل الولاة على بلدان الخلافة العباسية ومع هذا فإنهم واجهوا نكبات متنوعة[(٢)].

فكان مُحَّد بن عبد الملك بن الزيات من خيرة وزراء العصر العباسي، فقد تولى مُحَّد بن عبد الملك الزيات الوزارة لثلاثة من الخلفاء دون انقطاع، فقد استوزره الخليفة المعتصم بالله واستمر في منصبه حتى وفاة المعتصم، ثم واصل عمله في الوزارة طوال عهد الخليفة الواثق بالله، وخلال الشهور الأولى من عهد الخليفة المتوكل على الله، وينقل التنوخي قول الفضل بن مروان عنه: "ولا نعلم وزيرًا وزر وزارة واحدة بلا صرف لثلاثة خلفاء غير مُحَّد بن عبد الملك الزيات"[(٣)].

ويبدو من النصوص القليلة التي وصلتنا عن فعاليات الوزير مُحَّد بن عبد الملك بن الزيات في عهد الخليفة المعتصم بالله أنه كان كبير النفوذ والتأثير في الإدارة، وأن الخليفة المعتصم كان يجله ويقبَل قوله ورأيه[(٤)]، كما تشير إلى أنه قد نهض بأعباء الوزارة نهوضًا لم يكن لمن تقدمه من أضرابه[(٥)]، غير أنها وصفته أيضًا بأنه "كان جبَّارًا متكبرًا، فظًّا غليظ القلب، خشن الجانب،

---

(١) ابن دحية، النبراس، ص١٥٨.

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٢٦.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، (١٥/٨).

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢١٣-٢١٤.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٥٤/٩).

مبغضًا إلى الخلق"[١]، وقد قام ابن الزيات بدور كبير جدًا في المحاكمة العلنية التي أجريت للأفشين[٢]، وكانت المناظرة التي جرت أوضحت تورط الأفشين وخيانته وفساد عقيدته وشعوبيته، كما عكست مدى اتساع أفق ابن الزيات ودقته وحرصه وذكائه.[٣]

استمر الوزير مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات في منصبه بعد مبايعة الخليفة الواثق بالله هارون ابن المعتصم بالله بالخلافة[٤].

ويظهر أن الوزير لم يكن على علاقة حسنة بالخليفة الواثق في حياة والده المعتصم بالله، فقد كان يبالغ في ذكره وحرمانه ممَّا يطلب من الأموال، كما أنه كان يشير على المعتصم بألا يعطيه شيئًا، ولعل ذلك كان بتأثير طبيعة الوزير وتربيته وحرصه على الاقتصاد في النفقات الجانبية؛ لغرض توفير مطالب الخليفة في نفقات البناء للعاصمة سامراء وقصور الخلافة وعمارات العاصمة ومقتضى إسكان الجند الأتراك ونفقاتهم، وكان ذلك مدعاة لكي يضمر الواثق العداء للوزير ويصمم "على قتله شر قتله"[٥]، إن هو ولي الخلافة، فلما توفي المعتصم بالله وبويع الواثق بالخلافة "ذكر حديث ابن الزيات، فأراد أن يعاجله فخاف ألا يجد مثله"[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/١٥٤).

(٢) الأفشين: أحد أشهر قواد الأتراك للخليفة المعتصم بالله، ندبه الخليفة للقضاء على ثورة بابك الخرمي، وتمكَّن من القبض على بابك سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م، وحمله إلى المعتصم في العاصمة سامراء، فأمر بقتله، وقطع يديه ورجليه، ثم صلبه؛ نكاية به وعبرة لغيره، في حين حُمِلت رأسه إلى خراسان، وأراد المعتصم مكافأة الأفشين فَتَوَّجَهُ وألبسه وشاحين من الجوهر وقدَّم له ألف ألف درهم، وبهذا الانتصار حل الأفشين من المعتصم بالله محلاً كريمًا وبلغ منزلة لم يتقدّمه فيها أحد. ولكنه جنى على نفسه حينما تآمر مع المزيار بابك الخرمي على الخلافة العباسية فأودت هذه المؤامره بحياته. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٩/٥٥). جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي (١/٣٩). ماتياسن، خلافة المعتصم، طبعة كود أرابكو، ليدن، إبريل، ١٨٤٩م، ص٤٩.

Historia Chalifatus AL-Motacimi. EX، Cod. Arabico. By، Matthiessen. Lugduni. E. J. Brill1849،PP343

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩/١٩٠ – ١٩٢).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/١٥٧).

(٥) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢١٣-٢١٤.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/١٥٥).

ويبدو أن الواثق بالله قد أدرك مبلغ نبوغ ابن الزيات وخبرته بقواعد الملك وآداب الخلافة، ولم يجد بين الكُتَّاب من يرقى إلى مستواه فقرر استبقاءه في الوزارة وقال له: "والله ما أبقيتك إلا خوفًا من خلو الدولة من مثلك، فإني أجد عن المال عوضًا ولا أجد عن مثلك عوضًا"، ولذلك فقد استمر في استيزاره، ولم يفكر في عزله طيلة أيام خلافته، وينقل التنوخي قول الخليفة الواثق بالله عن وزيره: "إن السلطان أحوج إلى مُحَمَّد بن عبد الملك من حاجة مُحَمَّد إلى السلطان"[1]، وتشير المصادر إلى أن الخليفة الواثق بالله قد فوَّض الأمور إلى الوزير ابن الزيات، وأورد الطبري معلومات عن الإجراءات التي اتخذها الوزير عند مصادرة الخليفة الواثق بالله للكُتَّاب عام ٢٢٩هـ/٨٤٠م، والتي قصد منها الكشف عن المظالم التي ارتكبها بعض كبار رجال الدولة ومحاسبتهم عليها ممَّا أثار حفيظتهم، فقال: "ونصب مُحَمَّد بن عبد الملك لابن أبي دؤاد وسائر أصحاب المظالم العداوة، فكشفوا وحبسوا وأجلس إسحاق بن إبراهيم فنظر في أمرهم وأقيموا للناس ولقوا كل جهد، ويظهر أن هذه الإجراءات قد عززت مكانة الوزير كثيراً خلال الفترة التالية، حتى إنه أصبح مخولاً باختيار وتعيين بعض العمال في المناطق المهمة والعقد لهم في دار الخلافة وهي مسؤولية كبيرة كانت أساساً حصراً على الخلفاء، فقد ورد في أحداث سنة ٢٣١هـ/٨٤٢م أن الوزير "عقد لإسحاق بن إبراهيم بن يزداد على اليمامة والبحرين وطريق مكة ممَّا يلي البصرة في دار الخلافة، ولم يذكر أن أحدًا عقد لأحد في دار الخلافة إلا الخليفة، غير مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات".[2]

ويتحدث المسعودي عن الخليفة الواثق بالله في هذه المرحلة فيذكر بأنه "قد غلب عليه أحمد بن أبي دؤاد، ومُحَمَّد بن عبد الملك الزيات، فكان لا يصدر إلا عن رأيهما، ولا يعتب عليهما فيما رأياه، وقلدهما الأمر وفوض إليهما ملكه"[3].

اشترك الوزير مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات مع قاضي القضاة ابن أبي دؤاد، وحجاب الواثق الثلاثة في مداولات اختيار من يتولى الخلافة بعد وفاة الخليفة الذي كان قد رفض أن يوصي بها

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، (١٥/٨).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩ / ١٥٥).

(٣) المسعودي، مروج الذهب، (٤/ ٦٦).

لأحد[1]، ويؤكد الطبري على دور الوزير في ترشيح مُحَمَّد بن الواثق وعلى دور وصيف في صرف النظر عنه لصغره، كما أنه يذكر مشاركته في الموافقة على استخلاف المتوكل واقتراحه تسميته "بالمنتصر بالله" وإقرار ذلك في البداية ثم تدخل قاضي القضاة بعد ذلك واختياره لقب "المتوكل على الله" له، كما ذكر أن الذي كتب كتاب البيعة له هو مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات "وكذلك الحال مع التعميم الصادر" إلى القضاة والكُتَّاب والعمال وأصحاب الدواوين وغيرهم من سائر من تجري المكاتبة بينه وبينهم"، وكانت لقوة نفوذه عدم الرضا حتى نكبه المتوكل على الله سنة ٢٣٣هـ/٨٤٤م[2].

ومن الوزراء الأكْفاء أبو صالح عبد الله بن مُحَمَّد بن يزداد الذي كان وزير الخليفة المستعين بالله، والذي يُعزَى إليه ضبط أمور الدولة، وقد كان من أشهر كُتَّاب عصره، وأقدرهم في إدارة أمور الدولة، واستطاع أن يضبط الأموال، ولكن نكبه قوّاد الأتراك؛ لعدم تحملهم سياسته سنة ٢٤٩هـ/٨٦٤م.

ومن الوزراء الأكْفاء الوزير أبو جعفر أحمد بن إسرائيل، الذي عُرِف بدقته في الإشراف على الدواوين في أثناء عهد الخليفة المعتز وقد أساء إليه الأتراك، وتربّصوا به حتى نكب سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[3]، وكان لسياسة الموفق الرشيدة وقوته في السيطرة على أمور الخلافة أثر فاعل في اختيار الوزراء المخلصين ذوي الكفاءة العالية، فاختار الموفق للوزارة صاعد بن مخلد سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م، فاستطاع هذا الوزير أن يقوم بأعباء الوزارة وكان عند حسن ظن الموفق، وقد كان له أثرٌ كبير في إرجاع الخليفة المعتمد إلى العاصمة سامراء، فقد عمل على إرسال كتابٍ إلى عامل الخليفة في الموصل إسحاق بن كنداج ليثني الخليفة المعتمد عن مسيرته إلى أحمد بن طولون صاحب مصر؛ وذلك لتضجره من أعمال أخيه الموفق الذي سلب منه جميع صلاحياته في الخلافة، وكان إقدام المعتمد على ذلك بمثابة انشقاق في الخلافة العباسية لو أن الخليفة المعتمد عمل على التحالف مع أحمد بن طولون ضد أخيه الموفق الذي كانت مهامه منصرفة في تسكين الخلافة ممَّا أصابها من الجروح، إلاَّ أن براعة الوزير صاعد بن مخلد في مكاتبة عامل

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣١٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٥٦/٩).

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٢٦-٢٢٧.

الموصل نيابة عن الموفق الذي استطاع بدوره القبض على الخليفة المعتمد وأتباعه بأسلوب الترغيب ومن ثم إرسالهم إلى العاصمة، فكان في استقبالهم الوزير صاعد بن مخلد الذي نجح في إحباط مخطط أحمد بن طولون والقبض على المعتمد، وصار تحت الحراسة المشددة سنة ٢٦٩هـ/٨٨٣م، وسُرّ بذلك الموفق وثمّن جهود وزيره صاعد بن مخلد، ولقّبه ذا الوزارتين تقديرًا لخدماته وإخلاصه للدولة[(١)].

ثم أسند الموفق بالله إلى وزيره صاعد بن مخلد عملًا عسكريًّا بجانب عمله الإداري، لما تمتّع به من مقدرة حربية، فقد سار على رأس جيش إلى فارس لمحاربة عمرو بن الليث بن الصفار واستطاع أن يهزمه؛ ممَّا أدَّى إلى هروب عمرو بن الليث من فارس واستولى عليها جيش الموفق، إلاَّ أن هذه النجاحات التي حققها الوزير صاعد بن مخلد في الخلافة العباسية صاحبها إعجاب وغرور في نفسه، واشتد سلطانه وذلك حينما قدم من فارس حيث استقبله القوّاد استقبال الأبطال وترجّلوا له وقبّلوا يده وهو لا يكلمهم كبِرًا وعلوًّا، وقد نما للموفق ما هو عليه صاعد بن مخلد فغضب منه ونكبه سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م[(٢)].

أمَّا الوزير العباسي إسماعيل بن بلبل فقد قلد وزارة الخليفة المعتمد على الله ودبرّ الدولة في جميع أمورها أحسن تدبير، ممَّا يعود بالنفع للخلافة والخليفة فكان على رتبة كبار الملوك، وكان يتقاضى راتبًا عظيمًا، في اليوم مائة شاة، وسبعون جديًا، وقنطار حلواء.[(٣)]

جمع بين السيف والقلم "فنظر في أمر العساكر عندما كان الموفق غائبًا في حروبه، كما أن إسماعيل بن بلبل عمل على تصريف شؤون وزارته، فقد أشرف على بيوت الأموال من نفقات وجوائز وأعطيات وخص العرب بهبات جزيلة، وعندما توفي الموفق سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م، نكبه الخليفة المعتمد على الله في السنة نفسها؛ لعدم رغبته به[(٤)].

أمَّا الوزير علي بن عيسى فقد كان من أكفاء الوزراء تسلم مسؤولية منصب الوزارة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، والجدير بالذكر أن هذا الوزير عمل بجدٍّ في محاولة إصلاح الوضع وتسيير دفَّة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٦٦٠).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/ ١٠).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩/٩٥). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٤٣٧).

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٢٩).

الحكم بالشكل السليم في جميع وزاراته الثلاثة، واستطاع علي بن عيسى أن يقبض على زمام الأمور، وأصبحت كلمته نافذة على جميع الولاة[1]. كذلك كان لعلي بن عيسى وزير المقتدر أثر كبير في سياسة الدولة، فقام بإصلاحات كثيرة ساعدت على تقدم البلاد في ذلك الوقت، يؤكد ذلك قول هلال بن الصابئ:[2] "كان رجلاً عاقلاً متدينًا ظلفًا متعففًا، عارفًا بالأعمال، حافظًا للأموال".

واستطاع بفضل ما اكتسبه من خبرة في أعمال الدواوين أن يسيطر على أمور الدولة المتشعبة سيطرة تامة، وكان يباشر أعمال الوزارة بجد واهتمام، فكانت تعرض عليه الكتب بالنفقات والإطلاقات والحسابات، ويوقع العقوبات على كتاب العطاء الذين يثبت تلاعبهم في أعمالهم[3]، كما أنه كان يستمر أحيانًا في مزاولة عمله ليلاً؛ حتى لا تتعطل مصالح الدولة، وبلغ من اهتمامه بأمور الرعية أن أمر العمال في جميع النواحي بإقامة العدل بينهم، وإزالة الرسوم الجائرة عليهم[4]، وقام في أثناء توليه الوزارة بضبط الدواوين، وإصلاح شؤون البلاد الداخلية، وفي ذلك يقول مسكويه[5]: "رسم علي بن عيسى للعمال الرسوم الجميلة، وأنصف الرعية، وأزال السنن الجائرة، ودبَّر أمر الوزارة والدواوين، وسائر أمور المملكة بكفاية تامة".

وعمل هذا الوزير على محاربة الفساد المتفشِّي في الإدارة، وحاول تطهير الدواوين من عمال السوء، كما حاول وضع حد الرشوة التي كانت متفشية في دواوين الدولة، وأنذر باتخاذ إجراءات شديدة ضد كل شخص يعمل على تحقيق أطماعه الشخصية عن طريق الرشوة، وأعلن ذلك في منشور أصدره إلى العمال جاء فيه: "وتمكن في نفسك أنه لا رخص عندي ولا هوادة في حق من حقوق أمير المؤمنين أغفى عنه، ولا درهم من ماله أسامح فيه، ولا تقصير في شيء من أمور العمل، أصبر لقريب أو بعيد عليه"، وحثَّ هذا الوزير العمال على النظر في

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٥١/٨).

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٥٩.

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ٣٥).

(٤) حاول الوزير علي بن عيسى إصلاح الأمور، ورفع الظلم عن الأهالي، مع مشاورة الخليفة في ذلك؛ حتى لا يتهم بالاستبداد برأيه،(القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ٤٣/١)

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٨/٥).

شكاوى المتظلِّمين من دافعي الضرائب ضد الجباة وغيرهم من الموظفين؛ حتى يطمئن الناس إلى إقرار العدل في الدولة، وجعل جزاء من يحتجب أموال الدولة الحبس والعقاب الشديد.[(١)]

واصل علي بن عيسى إصلاحاته في الدواوين، وحرص على الاجتماع برؤساء الدواوين؛ لاستشارتهم في أمور الدولة، وقد قدر لخمسة من هؤلاء الرؤساء تولِّي منصب الوزارة، منهم: أبو القاسم عبيد الله الكلوذاني الذي أسند إليه ديوان السواد، وسليمان بن مخلد الذي تولَّى ديوان بيت المال، فضلاً عن تنظيمات علي بن عيسى لشؤون الدواوين، كما أنه وضع حدًّا للفوضى السائدة في الدواوين فخفَّض مرتبات رؤسائها، كما أسقط أولاد الكُتَّاب وأصحابهم من قائمة العطاء، فكثر ضجيج الحاشية على الوزير علي بن عيسى، كما زادت عداوة الناس له حتى نكب سنة ٣١١هـ/٩٢٣م.

أمَّا في وزارته الثالثة سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م فقد واصل إصلاح شؤون الدواوين، حتى استقامت الأمور وتوازنت النواحي الاقتصادية، وكان لعلي بن عيسى تأثيرٌ كبير في السياسة الخارجية، تجلَّى في قضائه على خطر القرامطة، فقد وقف منهم موقفًا يدل على دبلوماسية وحرص شديدين، فشغلهم بالمكاتبات ودعاهم إلى الدخول في الطاعة.[(٢)]

ولما رأى علي بن عيسى اختلال النواحي في أيام الوزراء السابقين ونقصان الأموال وزيادة النفقات، وما لحق من زيادة الرجالة بعد انصرافهم من الأنبار من حرب القرمطي، وأن زيادتهم بلغت مائتي وأربعين ألف دينار في السنة مضافة إلى النفقات المفرطة؛ هاله ذلك واستعظمه، ووجد رجال الخليفة المقتدر بالله قد ضعفوا في مقاومة القرمطي، وتبيَّن له انحراف بعض القوّاد عن قيادة الجيش، وعلى الرغم ممَّا قام به هذا الوزير من إصلاحات وما تركه من أثر جليل في سياسة الدولة، إلا أن مصيره كان مثل مصير من قبله من الوزراء، فما لبث أن نكب من منصبه سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م.[(٣)]

ومن الوزراء الأكفاء الوزير عميد الدولة بن جهير، وكان من وزراء الخلافة العباسية في العهد السلجوقي، ويصفه المؤرخون بأنه كان حسن التدبير، كافيًا في المهمات، كثير الصدقات،

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢٧ - ٢٨).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٣٤ -٣٥).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢٧ - ٢٨).

واسع المعروف خاصة على العلماء[1]، ويذكر ابن خلكان أن الوزير عميد الدولة معروف بحسن الوقار والعفة والهيبة، وكان الوزير نظام الملك معجبًا بعميد الدولة، فيصفه دائمًا بأوصاف عظيمة، وكان يشاهد هذه الأوصاف بأعماله بعين الكافي الشهم، وكان يستشيره في أهم أمور الدولة، ويقدِّمه على أكفأ الموظفين في الإدارة السلجوقية.[2]

وكان من أعظم الوزراء وأبعدهم أثرًا في سياسة الدولة وتدبيرها وهو من الوزراء الذين أكثر الشعراء من مدحهم، حيث مدحه عشرة آلاف شاعر، ويقال: إنه مُدِح بمائة ألف بيت شعر[3]، فضلاً عن ذلك فقد عرف بحسن سفارته وأداء مهامه بنجاح، بحيث كسب ثقة الخلفاء وسلاطين السلاجقة، وتعد هذه الصفة من عوامل وصول عميد الدولة بن جهير إلى منصب الوزارة، ففي عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م أرسله الخليفة القائم بأمر الله إلى الري، وكان الهدف من سفارته هذه هو تحقيق اتفاقية مراسيم خطبة ابنة السلطان لولي العهد المقتدي بأمر الله[4]، ولما أثبت عميد الدولة بن جهير حسن سفارته وأداء مهمته بنجاح زاد من استحسان ورضا الخليفة عليه، ممَّا دفع إلى استيزاره وتكريمه بالخلعة[5]. كما نال عميد الدولة رضا الوزير السلجوقي نظام الملك أبي علي الحسن الطوسي، ممَّا دفع بالسلطان إلى أن يأمر أتباعه بتقديم الهدايا الثمينة والخلع لعميد الدولة، ومن ثم توديعه بموكب فخم أثناء مروره في مدينة أصفهان[6]،حيث زوَّجه ابنته زبيدة في هذه السفرة، بحيث أصبح هذا الزواج محل خير لعميد الدولة، حيث أعيد للوزارة بعد أن خلعه الخليفة العباسي، ويذكر ابن الجوزي أن الخليفة القائم بأمر الله كان معجبًا بابن جهير، فقد خاطب المقتدي بقوله: "يا بني، قد استوزرت ابن المسلمة وابن دارست وغيرهما فما رأيت مثل ابن جهير".[7]

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١١٨/١٦).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٣١/٥).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٠٩/١).

(٤) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٤٥-٤٦.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم (٨٧/١٦). علي جواد الطاهر، خلفاء بني العباس ووزراؤهم في شعر العصر السلجوقي، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد المجلد الثامن، عام ١٩٦٠م، ص ١٢١.

(٦) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٤٥- ٤٦.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم (١٨٠/١٦)، الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٧.

ثم نال عميد الدولة منصب الوزارة للخليفة المقتدي بأمر الله بعد أن أخذ البيعة له سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م، وبقي عميد الدولة وزيرًا حتى عام ٤٧١هـ/١٠٨٣م، ثم نكب في سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م.

ثم وَلِّي عميد الدولة الوزارة للمرة الثانية بوساطة الوزير نظام الملك، ونكب الوزير عميد الدولة في جميع وزاراته، وكان ذلك بتدبير من الوزير السلجوقي نظام الملك حيث توترت العلاقة بينهما وطالب الخليفة بمنع الوزير عميد الدولة من الخدم والغلمان والقواد فرفض الخليفة هذا الطلب، وتوترت العلاقة بين الخليفة والوزير السلجوقي حتى قال الخليفة: هذا وزيرنا وليس وزيركم، وإنه يقضي لنا جميع مهماتنا معكم، فاشتد نظام الملك على الخليفة حتى هدده[1].

ولما تولى المستظهر بالله الخلافة في سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، أقر عميد الدولة في الوزارة، وفوَّضه في تدبير أمور دولته[2]، فظلَّ يلي وزارته حتى عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م، حتى نكب[3] وكان قد تغيَّر المستظهر عليه بسبب وشاية الحسن بن عبد الواحد بن الحصين ناظر الخزانة الذي سعى به عند الخليفة دون علم الوزير به، ويظن الوزير عميد الدولة أنه من أصدقائه المخلصين ويثق به، وأيضًا كان خواص الخليفة قد ملّوه وسأموه[4].

أمَّا الوزير ظهير الدين أبو شجاع مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم روذراور،[5] فقد ولي الوزارة للخليفة المقتدي لأمر الله للمرة الأولى في سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م خلفًا للوزير فخر الدولة بن جهير، ثم نكب في السنة التالية بعد أن أصلح بنو جهير حالهم مع الوزير نظام الملك، ولما عاد بنو جهير إلى الوزارة بعث السلطان ملكشاه إلى الخليفة يطلب إخراج أبي شجاع من بغداد، فسيَّر الخليفة أبا شجاع إلى أصبهان، ومعه رسول يحمل رسالة بخط الخليفة لنظام الملك ذكر فيها الخليفة منزلة أبي شجاع لديه وفضله ودينه، وطلب من نظام الملك عدم

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٧٦/١٩).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (٥٨/٩).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٣٢/٥).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧٤٦/١٠).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٩٠/٩).

الاستماع لأعداء أبي شجاع، ولما اطلع نظام الملك على رسالة الخليفة، أعاد أبا شجاع إلى بغداد[(١)].

ويبدو أن طلب إبعاد أبي شجاع من بغداد كان بتدبير من بني جهير، خوفًا من منافسته لهم بالوزارة، خاصة أنه كان يتمتع بتقدير واحترام الخليفة، وقد صدق حدس بني جهير فقد عُزل عميد الدولة في سنة ٤٧٦هـ /١٠٨٣م، وخلفه أبو شجاع في الوزارة، وكان الوزير أبو شجاع رجلاً دينًا خيرًا كثير البر والصدقات[(٢)]، نجح في ضبط أمور الدولة في أثناء وزارته وحفظ للخلافة هيبتها واحترامها، وكان شديدًا في تطبيق قوانين الشرع[(٣)]، ولم يترك فرصة للموظفين والعمال لاستغلال وظائفهم والاعتداء على أموال الناس[(٤)]، فعم الأمن، وزاد الرخاء، وانخفضت الأسعار، وكان يملك ثروة هائلة بلغت حوالي ستمائة ألف دينار أنفقها على الفقراء والضعفاء والمحتاجين ووقف الوقوف وبنى المساجد وأكثر الإنعام على الأرامل[(٥)]، وكان هذا الوزير محبوبًا محترمًا يؤيده أكثر العامة[(٦)].

ونخلص ممَّا سبق أن حالة الخلافة العباسية في عهد الوزير أبي شجاع نالت السعادة، والبركة على الرعية، وعم الأمن، وشمل الرخص، ونتيجة لذلك "اكتملت في الصحة، لم يشبها بؤس ولم يخالطها مخافة، وقامت للخلافة في نظره من الحشمة والاحترام ما أعادت سالف الأيام"، وظل أبو شجاع يلي وزارة الخليفة المقتدي بأمر الله حتى عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م ثم نكب، ويذكر المؤرخون أن سبب نكبة الوزير أبي شجاع، أنه كان يعارض طلبات رجال الديوان والجيش التي تتنافى مع الشرع[(٧)]، وكان بأمر السلطان ملكشاه السلجوقي، قال عنه

---

(١) ابن القاضي، أبو بكر بن أحمد بن مُحَّد بن عمر الأسدي الشهبي (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م)، طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، (١٣٧/٤).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (٦/٩).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٣٥/٥– ١٣٦).

(٤) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، (١٣٨/٤).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٩٠/٩، ٩١).

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٣٥/٥– ١٣٦).

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، (٥٦/٩).

الذهبي: "وكان كثير التلاوة والتهجُّد، ويكتب مصاحف، ويجلس للمظالم، فيكتظ الديوان بالسادة والكبراء ويُنادي الحُجّاب: أين أصحاب الحوائج؟ فيُنصف المظلوم، ويؤدِّي عن المحبوس، وله في عدله حكايات في إنصاف الضعيف من الأمير، وأعطته بنت السلطان ملكشاه حين تزوَّجت بالمقتدي لبس الحرير، فاستعفى، فأرسلت له عمامة بمائتين وسبعين دينارًا فلبسها، وكان كاملاً في فنون الأدب، وله يد بيضاء في البلاغة والبيان، وكتابته طبقة عالية"[1].

ومن الوزراء الأكْفاء جلال الدين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة الذي حظي بوزارة الخليفة المسترشد بالله عام ٥١٣هـ/١١١٩م ونكب في سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م، كان لهذا الوزير أثر كبير في صد الغارات التي كان يشنُّها والي الحلة دبيس بن صدقة[2] على بغداد، فلما تقرر الصلح بين هذا الوالي وبين الخليفة المسترشد بالله اشترط دبيس على الخليفة أن ينكب وزيره ابن صدقة مقابل عودته إلى طاعة الخلافة فاستجاب له الخليفة، ونكب هذا الوزير[3]. ويذكر ابن طباطبا أن نكبة جلال الدين بن صدقة، جاءت تحقيقًا لرغبة الوزير السلجوقي عثمان بن نظام الملك[4]، الذي كان يرغب في تولية أخيه أحمد الوزارة للخليفة المسترشد بالله، فولي أحمد بن نظام الملك وزارة الخليفة فعلاً بطلب من السلطان السلجوقي محمود ووزيره، ولم يكتف الوزير السلجوقي بذلك، بل طلب من الخليفة أن يخرج جلال الدين بن صدقة من بغداد حتى تخلو الوزارة لأخيه، فلم يجد الخليفة بدًا من إخراج وزيره المنكوب من حاضره الخلافة[5].

ولما عزل السلطان محمود وزيره عثمان بن نظام الملك في سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م، بادر الخليفة المسترشد إلى عزل أخيه أحمد بن نظام الملك، وكتب إلى جلال الدين بن صدقة

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٩/١٩).

(٢) دبيس بن صدقة، هو نور الدين أبو الأعز دبيس الثاني بن الملك سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي، من نجباء العرب. وكان شجاعًا أديبًا، إلا أنه شيعيًا كآبائه، وكان على خلاف دائم مع الخليفة المسترشد بالله الذي هزمه سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م واستولى على بلاده. فظل شريدًا من بلد إلى بلد حتى استقر عند السلطان مسعود، الذي قتله سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦١٢/١٩، ٦١٣).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٣٣/٩).

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٢١.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٣٤/٩).

يستدعيه للعودة إلى الوزارة قائلاً: "أجب يا جلال الدين داعي التوفيق مع من حضر من الأصحاب لتعود في هذه الساعة إلى مستقر عزك مكرمًا"[١].

وهذا يدل على أن الخليفة المسترشد بالله كان مكرهًا على عزل ابن صدقة من وزارته في السنة السابقة، وظل جلال الدين ابن صدقة يلي وزارة الخليفة المسترشد بالله حتى وفاته، وقد قام بدور مهم في مناهضة النفوذ السلجوقي في العراق، فقاد جيشًا لمحاربة السلطان طغرل في سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م الذي قصد بغداد وأرغمه على العودة، فلما تولى السلطان محمود السلطنة حذره السلطان سنجر من الوزير ابن صدقة، ونصحه بالقبض عليه إذا أراد أن يستقرَّ له الحكم[٢]، ولما عزم السلطان سنجر على المسير إلى بغداد، وقف الوزير ابن صدقة في وجهه، وكتب إليه يمنعه من القدوم إليها، ويهدده بالحرب إن فعل ذلك[٣].

ولما مُرض الوزير ابن صدقة سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م عاده الخليفة المسترشد بالله في بيته؛ لما له من منزلة رفيعة لديه، وتوفي في العام نفسه[٤]، وكان هذا الوزير له دراية وخبرة بأمور الحساب وأعمال السواد، لذا نجح في إدارة أمور البلاد، وكان حسن السيرة والسلوك، تقيًا عالـمًا فاضلاً[٥]، وعرف عن الوزير فصاحة اللسان وبلاغة الكلام، بحيث طغت على كتاباته صفة البلاغة ممَّا جعله موضع إعجاب خلفاء بني العباس[٦]، فقد كان محبوبًا لدى الخاصة والعامة ممَّا ساعده على أداء مهماته الإدارية بنجاح،[٧] ولما ولاه الخليفة المسترشد بالله الخلافة أخذ يمنح الألقاب لوزرائه، ويبدو أن الخليفة قصد من ذلك دفعهم لبذل جهد أكبر في تنفيذ سياسة الخلافة التي انطوت على التخلص من نفوذ سلاطين السلاجقة واستعادة هيبة الخلافة وسلطتها، فقد منحه لقب جلال الدين سيد الوزراء، صدر الشرق والغرب، صفي أمير المؤمنين، وقيل: صدر الوزراء، صفي أمير المؤمنين. هذا فضلاً عن لقبه السابق عميد الدولة[٨].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٤٦/٩).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٥٤/٩، ٢٥٥).

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢٢٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٤٦/٩).

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٢٣٣/٥).

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٠١.

(٧) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٣٤٣.

(٨) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١٠.

ومن الوزراء الأكْفاء الوزير عون الدين بن هبيرة الذي تعرَّض لنكبة كما تعرض غيره من الوزراء، فقد نال الوزارة سنة ٥٤٤هـ/١١٥٠م للخليفة المقتفي لأمر الله[١]، ونتيجة لمكانته المرموقة لدى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله لقَّبه عون الدين[٢].

كما وزر للخليفة العباسي المستنجد بالله[٣]، وقد اشتهر الوزير يحيى بن هبيرة باطلاعه الواسع على علوم الفقه والحديث عالمًا بأمور النحو، بليغًا في كتاباته، شجَّع العلم والمعرفة من خلال مساهمته ببناء المدرسة في باب البصرة عام ٥٥٧هـ/١١٦٢م، وعندما توفي الوزير ابن هبيرة دفن جثمانه في هذه المدرسة، ولشدة تمسكه بمبادئ الدين الإسلامي فقد رفض لبس الحرير، وكان عادلاً، يخصص جزءًا من وقته للنظر في المظالم ونصرة المظلوم، فضلاً عن ذلك فقد عرف عنه سداد الرأي وحسن التدبير[٤].

كما أن الخليفة أمر ابن هبيرة -وكان يتولى ديوان الزمام- أن يكتب للسلطان السلجوقي، فكتب ابن هبيرة رسالة طويلة للسلطان السلجوقي ذكر فيها ما عرف عن سلاطين السلاجقة من حسن الطاعة والتأدُّب مع الخلفاء، والحرص على الذبِّ عنهم ممن يحاول النيل منهم، وأشار إلى شكوى الخليفة من الشحنة، فكان لرسالته أبلغ الأثر في السلطان نفسه فكتب للخليفة يعتذر ويستنكر ما فعله الشُحنة، كما أوقف الشُحنة عند حده، فسُرَّ الخليفة من ابن هبيرة، وزاد تقديره له[٥]، كما أنه أشار على الخليفة المقتفي لأمر الله بألا يؤدي أي مبلغ من المال لمحمد شاه بن السلطان محمود، مقابل رفع حصاره عن بغداد؛ لأن هذا سيكون حافزًا للسلاجقة للمطالبة بالمزيد، وأشار بصرف المبلغ المطلوب، وقدره ثلاثون ألف دينار في إعداد جيش للخلافة من الترك والأكراد وأهل بغداد وأعمال العراق لصد قوات مُحَمَّد شاه، فقبل الخليفة رأي ابن هبيرة، وفوضه في إعداد هذا الجيش، فلم تمض أيام قليلة حتى اجتمع عسكر كثير فخرج به ابن هبيرة لقتال مُحَمَّد شاه وأصحابه، فهزمهم سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م،[٦] وظل وزيرًا

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، (٤٩/٢).

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٢٥.

(٣) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٠٥.

(٤) ابن العمراني، الأنباء في تاريخ خلفاء، ص١٥٧.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢٣١/٦- ٢٣٢).

(٦) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص ١٦٢. الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٠٢.

للمقتفي لأمر الله، حتى توفي هذا الخليفة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وخلفه المستنجد بالله، فأقر ابن هبيرة في الوزارة[(١)].

ويعد ابن هبيرة من الوزراء الذين جمعوا بين الثقافة العامة وحسن إدارته، فقد كان وزيرًا للخليفتين المقتفي لأمر الله والمستنجد بالله، حيث جمع معلومات وافية عن الدولة العباسية، وله دراية في معرفة مشاكلها، ممَّا أصبحت له القابلية على مشاكلها، بما فيها تخلص الدولة العباسية من سيطرة السلاجقة واستعادة سلطة الخلفاء، فقد كان للوزير يحيى بن هبيرة دور لامع في قيادة الجيوش العباسية التي أعدها فسرعان ما هددت كيان الدولة السلجوقية والقضاء عليها في العراق حتى نكب سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م.[(٢)]

أمَّا الوزير جلال الدين أبو المظفر عبيد الله بن يونس بن أحمد البغدادي، فقد كان من الوزراء الأكفاء للخليفة الناصر لدين الله، وفي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م دافع عن الخلافة العباسية؛ لمحاولة صد هجمات السلاجقة وذلك عندما جهَّز الخليفة الناصر لدين الله جيشًا كثيرًا، وجعل قائده وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس، واتجه لمساعدة قزل[(٣)]، ليمنع السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة عن بغداد، فسار الجيش في الثالث من شهر صفر ٥٨٤هـ/١١٨٨م حتى وصل إلى همذان، فلم يصل قزل إليهم، وأقبل طغرل إليهم في جيشه، فالتقوا في الثامن من ربيع الأول بداي مرج عند همذان واقتتلوا، فلم يثبت جيش الخليفة، بل تفرَّقوا وأدَّى ذلك إلى هزيمتهم، بينما ثبت الوزير لوحده، ومعه مصحف وسيف، فأتاه من قوّاد من جيش طغرل ونكبوه، وعاد جيش الوزير إلى بغداد متفرقين[(٤)].

وممَّا سبق اتضح لنا: أن المؤرخين وصفوا وزراء هذا المبحث بأوصاف طيبة نادرًا ما تجتمع بشخص، فوصفوهم بأنهم كانوا من ذوي العلم الفضل، وذوي آراء صائبة، يقرِّبون أهل العلم من الفقهاء والمحدِّثين والأدباء، ويبالغون في إكرامهم[(٥)]، وكانوا ينفقون عليهم وعلى الفقراء كل

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٢/ ٣٠١).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٢/ ٣٠١).

(٣) قزل أرسلان: تولى أذربيجان واران وهمذان وأصبهان والري بعد أخيه وخطب لنفسه بالسلطنة، وكان فيه كرم وعدل وخير وحلم، قتل غيلة على فراشه ولم يعرف قاتله سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٤/١٨٠).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٠/٦٢).

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٦/٣٣٣).

ما يدخل عليهم من مال، حتى قيل: إنه لم تجب عليهم زكاة، ومع ذلك تعرضوا لعدد من النكبات شأنهم شأن غيرهم من الوزراء السابقين واللاحقين [1].

(١) أبو يعلى، طبقات الحنابلة، (٢٥٦/١).

المبحث الثامن

ضعف الوزراء

ومن أسباب نكبات الوزراء قلة خبرة الوزير الإدارية وقصور كفايته، وعجزه عن إدارة أمور البلاد، فضاعت هيبة الوزير وتدنَّت قيمته شيئًا فشيئًا.(١)

كان المتوكل على الله اتخذ مُحَّد بن الفضل الجرجرائي وزيرًا له سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م، وكان كبير السن، وليس لدية معرفة في أمور الوزارة، وقليل العلم، فعندما سأله المتوكل على الله عن الكلاء فلم يعرفه فقال المتوكل على الله: "مللت عرض المشايخ فاطلبوا خلي حدثاً من أولاد الكُتَّاب"، فنكبه سنة ٢٣٦هـ/٨٥١م.(٢)

وفي سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م نكب الخليفة المتقي لله وزيره أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني حيث كان معدوم الشخصية (٣)، وفي سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م نكب الخليفة القائم بأمر الله وزيره أبا الفتح مُحَّد بن منصور بن دارست من وزارته؛ وذلك لما ثبت تقصير هذا الوزير في الحفاظ على الأموال وجمعها من عمال الولايات(٤)، حيث عيَّن ابن علان يضمن أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة آلاف، ومائة ألف دينار، فاستخرج منها ألفًا، وثلاثين ألف دينار، وأخفى الباقي، فظهر عجز ابن دارست ووهنه من استخراج أموال الخليفة والمحافظة عليها وهذا يثبت أنه غير كفء للوزارة.(٥)

ومن الصفات اللازم توافرها في الوزير إلمامه بقواعد ديوان الخلافة، ونتيجة هذا الشرط نكب خلفاء بني العباس بعض الوزراء؛ لجهلهم بقواعد ديوان الخلافة، فقد نُكب الخليفة المستظهر الوزير سديد الملك أبي المعالي بن عبد الرزاق بسبب جهله بقواعد ديوان الخلافة، في سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م.(٦)

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١٧/ ٦٠).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧/ ٧٨).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٩/ ٢٧٦).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، (١٧/ ٦٠).

(٥) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٩٦.

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٣١٥. ابن الجوزي، المنتظم، (١٧/ ٧٦).

أمَّا الوزير سعيد بن علي بن أحمد بن الحسين معين الدين أبو المعالي الأنصاري البغدادي بن حديدة وزير الخليفة الناصر لدين الله؛ فكان من أسباب نكبته عن الوزارة أنه كان عارفًا بقوانين التجارة وجاهلاً بقوانين الوزارة سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م [(١)].

وتبين لنا مما سبق: أن هؤلاء الوزراء لم يتصفوا بالصفات التي رأى الماوردي وجوب توافرها في الوزير، وهي: الصدق، والأمانة، وغزارة العلم، والفضل، والرأي السديد، والكفاية في تصريف الأعمال والأموال، وحسن التصرف في مخاطبة الأعداء والأصدقاء[(٢)]. كذلك حدد الثعالبي بعضاً من الصفات الواجب توافرها في الوزير، وهي: الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة، والآراء السديدة، وجودة التدبير، وصواب الآراء المفيدة، فتكون فيه العدالة والنزاهة والشجاعة والسياسة، فإذا كان زمان السلم والهدنة يصلح أن يكون الوزير حليمًا ساكنًا، وإذا كان زمان الفتن والحروب يصلح أن يكون شجاعًا صارمًا[(٣)].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦٨٢/١٢).

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٢.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، (١٦٩/٢).

المبحث التاسع

الخلاف الديني والمذهبي

كان الخلاف الديني والمذهبي أحد الأسباب الحقيقية وراء كثير من النكبات التي جرت لبعض الوزراء في العصر العباسي الثاني، فكان جعفر بن محمود أبو الفضل الإسكافي ولي الوزارة للمعتز سنة٢٥١هـ/٨٦٥م، وكان جعفر من كبار الشيعة يبث الفتنة بين القوّاد والجنود لإثارة الحروب بينهم حيث انقسموا بشأنه إلى فريقين: فريق راغب فيه وفريق خلاف ذلك، ونتج عن ذلك فتنة ثارت بسبب هذا الوزير فنكبه الخليفة سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م،[١] ثم إنه تولَّى الوزارة للمهتدي مرة ثانية في محاولة الاستفادة من منصبه والقضاء على الخلافة العباسية، وذلك لنقل أخبار العباسيين إلى العلويين في خراسان، ولكن بعض المقربين من الخليفة المهتدي تحدثوا معه بشأن ذلك الوزير وقالوا له: إنه رافضي وإن أصحابه يكاتبون العلوية بخراسان بأخبار الخلافة، و أشاروا عليه بنكبته قبل أن ينكب الخلافة الإسلامية سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م، وفي جعفر يقول بعض الكُتَّاب:

لسنا نؤمل جعفرا لسداد	**بل جعفر أصل لكل فساد**
مترفض بالنقص لا ببصيرة	**لا يهتدي جهلا لأمر رشاد**
يزري على لبس السواد فوجهه	**من أجل ذاك مربد بسواد**
قل للخليفة يا بن عم مُحَّد	**كن من خيانته على أرصاد**
لا تركنن إلى لعين مبغض	**يختص غيركم بصفو وداد**[٢]

وكان من أسباب نكبة الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب أنه اتُّهم بالزندقة، وذلك عندما ظهر حينئذ مدعٍ من الرافضة بأنه هو الإمام المنتظر[٣]، واتبعه الوزير

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات (١١/١١٨). ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٤٠.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١١/١١٨).

(٣) ابن أبي العزاقر أبو جعفر مُحَّد بن علي الزنديق، المعثر، أبو جعفر مُحَّد بن علي الشلمغاني، الرافضي. قال بالتناسخ، وبحلول الإلهية فيه، وبعد مدة من خروجه جمع له القضاة والفقهاء ونوظر وكتبوا بإراقة دمه. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤/٥٦٧).

حسين بن الوزير القاسم بن عبيد الله بن وهب -وزير المقتدر-[1] وظهرت عنده رقاع من الحسين بن القاسم الوزير يخاطبه فيها بالألوهية، وأنه ربه ورازقه ومحييه ومميته، وأنه يسأله العفو عن ذنوبه، والصفح عن تقصيره[2].

أمَّا الوزير أبو القاسم بن المسلمة وزير الخليفة القائم بأمر الله فقد تعرض للنكبة على يد القائد التركي الشيعي أبي الحارث البساسيري سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م الذي قويت شوكته، واشتهر أمره، وأصبح مرهوب الجانب، وبلغ من نفوذه أن أصبح يخطب له على المنابر في العراق والأهواز، كما أصبح الخليفة العباسي ألعوبة في يده بحيث كان لا يستطيع أن يبتَّ في أي أمر من أمور الدولة إلا بعد الحصول على موافقة البساسيري عليه.[3]

وكان هذا القائد التركي قد انحاز إلى العبيديين، واستغل هذا في تهديد خصومه، وتحقيق أطماعه السياسية، ومن ذلك أنه استغل مركزه لضرب مصالح الخليفة القائم بأمر الله، فلما استولى قريش بن بدران[4] أمير الموصل على مدينة الأنبار سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٥م التابعة للخلافة العباسية، وخطب فيها للسلطان السلجوقي طغرلبك[5]، ونهب ما كان بها من ممتلكات البساسيري؛ كان البساسيري يتوقع أن يغضب الخليفة لذلك الاعتداء ويستنكره، ولكن حدث العكس، فقد استجاب الخليفة للأمر الواقع واستقبل رسل أمير الموصل الذين وصلوا سرًا إلى بغداد، فأكرمهم فثارت ثائرة البساسيري؛ لأن المدينة تحت نفوذه، ونسب هذا العدوان إلى تدبير رئيس الرؤساء، فقام وأسقط البساسيري بعض ما يأخذه الخليفة القائم بأمر الله والوزير وحواشي الدار من دار الضرب،[6] ثم اتبع ذلك بالمسير إلى الأنبار واستولى عليها في العام نفسه

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥٦٧/١٤).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٩/١٢).

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (٩/ ٣٩٩).

(٤) أبو المعالي قريش بن بدران بن مقلد، رافضي المذهب، انضم إلى البساسيري ونهب دار الخلافة، وكان هلاكه بالطاعون سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧/ ٦٣٤).

(٥) هو ركن الدين أبو طالب طغرل بن مُحَمَّد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، أول ملوك الدولة السلجوقية، والمؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة في العراق وإيران، توفي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وكانت مدة ملكه ٢٦سنة. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦٣/٥- ٦٨).

(٦) ابن خلدون، العبر، (٤/ ٤٩٢).

بالقوة، وقتل وأسر عددًا كبيرًا من أصحاب أمير الموصل، ونهب البلاد ومنع سفينة لأقارب رئيس الرؤساء وطالب بالضريبة عليها.[(١)]

ولما أدرك الخليفة القائم بأمر الله أن الخلاف بينه وبين البساسيري بلغ مرحلة حرجة يتعذَّر معها الإصلاح، وأن الأمير البويهي كان أضعف من أن يتصدى للبساسيري في حالة مهاجمته لبغداد، لذلك عزم الخليفة على طلب معونة السلطان السلجوقي طغرلبك؛ لتخليص الخلافة من خطر البساسيري ومن سيطرة البويهيين على العراق[(٢)].

وكان الوزير أبو القاسم علي بن المسلمة: "يؤثر مجيء السلاجقة إلى بغداد؛ لأنهم كانوا على المذهب السني بخلاف البساسيري والبويهيين،[(٣)] وكان يهدف من وراء هذا إلى تحقيق غايتين؛ الأولى: القضاء نهائيًا على النفوذ البويهي الشيعي في عاصمة الخلافة؛ لأن ابن المسلمة كان سنيًا[(٤)]، والغاية الثانية: هي القضاء على خصمه البساسيري.[(٥)]

وكان لهذا الاستنجاد أثره في إضعاف نفوذ البساسيري، ولكنه رغم ذلك حاول استعادة سلطانه، فهاجم دار الخلافة ونهبها، ثم نقض جدرانها وأشعل فيها النار واستولى على كل ما فيها ونكب الوزير[(٦)].

وكان السلطان السلجوقي طغرلبك قد دخل بغداد في رمضان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٦م، ثم بادر الخليفة القائم بأمر الله بإرسال وفد من الفقهاء والقضاة والأعيان لاستقباله، وأمر الخليفة الخطباء بذكر اسم طغرلبك في أثناء خطبتهم بجوامع بغداد[(٧)].

ولما ولي المقتدي بأمر الله الخلافة سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م وبعد أربع سنوات نكب فخر الدولة بن جهير سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م عن الوزارة بسبب الفتنة التي قامت بين الحنابلة

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/ ٣١٧-٣١٨).

(٢) الأصفهاني، تاريخ دولة سلجوق، ص ٢٨.

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٨٨- ١٨٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/ ٣٠١).

(٥) البغدادي، تاريخ بغداد (٩/ ٤٠٠-٤٠٢). ابن دحية، النبراس، ص١٣٧.

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٨٧.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/٣٢٣).

والشافعية ببغداد وقتل فيها جماعة من طلاب المدرسة النظامية،[١] حيث اتهم أصحاب نظام الملك الوزير فخر الدولة بتدبير تلك الفتنة، فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن والقتل بجوار المدرسة، عظم عليه ذلك، فبعث رسالة إلى الخليفة المقتدي بأمر الله، تتضمن الشكوى من فخر الدولة وطلب نكبته.[٢]

أمَّا الوزير ظهير الدين أبو شجاع مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم الروذراوري فقد تولى وزارة الخليفة المقتدي بأمر الله حتى عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م، ثم نكب عنها بأمر السلطان ملكشاه للخليفة.[٣]

ويذكر بعض المؤرخين أن سبب نكبة الوزير أبي شجاع أنه كان شديدًا على أهل الذمة[٤]، حيث ألزمهم بلبس زي خاص بهم.[٥]

أمَّا الوزير منصور بن نصر بن منصور بن الحسين، أبو بكر بن العطار الحراني، فكان من أسباب نكبته أن الخليفة المستضيء ردَّ جميع أمور دواوينه إليه، وكان أكثر رجال الدولة يحضرون عنده، وكان يولي ويعزل، وكان شهمًا مقدامًا، له هيبة عظيمة، وشدة وطأة، حتى ارتفعت مكانته وأصبح نقمة على الشيعة، لكنهم تمكنوا من نكبته سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م[٦].

أمَّا الوزير الشيعي مؤيد الدين العلقمي الذي كان في قلبه غل على السنة وأهلها،[٧] فقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء،[٨] استمر في

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٢٨/٥).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان (١٣٥/٥)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٠/١٩).

(٣) أهل الذمة، عبارة عمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله. (مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت، ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، ط١، دار رمادي، الدمام، ١٤١٨ / ١٩٩٧م، ٨٧٤/٢).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، (٥٦/٩).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٥٦/٩).

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٥٦٦/١٢).

(٧) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٨/ ٢٦٢).

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٣/ ٢٣٩- ٢٤٩).

منصب الوزارة مدة أربع عشرة سنة، واستغل هذا المنصب بنشر مذهب الرافضة فعارضته السنة فتذمَّر[(١)]، وبالرغم من ذلك كان يطمع في إقامة خلافة علوية[(٢)]، وفي سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م حدثت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، فنهبت الكرخ ودور الرافضة حتى تأثر قرابات الوزير ابن العلقمي، وكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته التتار[(٣)] فشجعهم على الزحف إلى العراق ؛ وذلك أن ابن العلقمي كاتبهم وحرَّضهم على قصد بغداد لأجل ما جرى على إخوانه الرافضة من النهب والخزي، وظن أنه سوف يبقى خليفة علويًا، وكان يكاتبهم سرًا، ويسهِّل لهم الأمر، ولا يدع المكاتبات تصل إلى الخليفة ممن يرفع إليه الأعلام، فأشار الوزير ابن العلقمي على المستعصم بالله أني أخرج إليهم في تقرير الصلح، فخرج الخبيث، وتوثَّق لنفسه بالأمان ورجع، فقال للخليفة: إن الملك قد رغب في أن يزوج ابنته بابنك الأمير أبي بكر، وأن يكون الطاعة له كما كان أجدادك مع ملوك السلجوقية، ثم ترجل، فخرج إليه المستعصم بالله في أعيان الدولة، ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد بزعمه وكيده، فخرجوا، فضربت رقاب الجميع،[(٤)] ولهذا كان الوزير ابن العلقمي يميل إلى التتار ويسعى إلى دمار الإسلام وخراب بغداد[(٥)].

وكان ذلك بسبب سياسة هذا الرافضي المغرض الذي عبَّر عن سياسته، وآثر وزارته على المستعصم بالله، يقول ابن كثير: "إنه لم يعصم المستعصم في وزارته، ولم يكن وزير صدق ولا مرضي الطريقة. وقال في موضع آخر: إنه كان وزير سوء على نفسه، وعلى الخليفة وعلى المسلمين"[(٦)].

حتى حفر الوزير ابن العلقمي للأمة قليبًا فأوقع فيه قريبًا، فأهلك الحرث والنسل، فكاتب (هولاكو) وجسره وقوَّى عزمه على قصد العراق؛ ليتخذ عنده يدًا؛ وليتمكن من أغراضه كما عرفناها سابقًا.[(٧)]

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٣/ ٣٦٢).

(٢) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، (٢/ ١٨٩).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٧/٣٤٨).

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، (٤/ ١٠٦).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/ ١٥).

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٧/٣٦٢).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٧٥، ١٧٧).

ولقد اتخذ ابن العلقمي سياسة خبيثة في إضعاف جيش الخلافة أسهمت في دخول التتر بغداد دون مقاومة تذكر؛ إذ اجتهد قبل مجيء التتر في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان وصرفهم عن إقطاعياتهم، ونجح في ذلك؛ إذ كانت العساكر في آخر أيام المستنصر بالله[(١)] قريبًا من مائة ألف مقاتل، فلم يزل ابن العلقمي مجتهدًا في تقليلهم حتى إنه لم يبق من أفراد الجيش سوى عشرة آلاف في أواخر أيام المستعصم بالله، وبلغت حالة الجيش وعساكر الخليفة بالذات مبلغًا من الذل والهوان، حتى اضطر كثير منهم للسؤال في الأسواق وأبواب المساجد، وحق للشعراء أن ينشدوا فيهم، ويرثوهم بالقصائد، وينعوا على الإسلام وأهله.

ثم أصدر -أيضًا- هولاكو قرارًا جديدًا بتعيين مؤيد الدين العلقمي الشيعي رئيسًا على مجلس الحكم المعين من قبل التتار، على أن توضع عليه وصاية تترية، فلم يكن الوزير العلقمي إلا صورة للحاكم فقط، وكانت القيادة الفعلية للتتار، بل إن الأمر تزايد بعد ذلك، وجنى على نفسه حتى وصلت به إلى نكبته سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م[(٢)].

ونخلص ممَّا سبق أن الفرقة الباطنية أضعفت الأمة الإسلامية وأنهكت قواها، حيث تحالفوا مع النصارى تارة ومع التتار تارة أخرى ضد الإسلام والمسلمين، وفعلوا ما تقشعر منه الجلود وتشيب منه الرؤوس من قتل وسفك ونهب.

ولقد أوجز العلامة البغدادي عداوة الفرق الباطنية للإسلام والمسلمين فقال: "اعلموا -أسعدكم الله- أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس؛ بل وأعظم من الرهوية وسائر أصناف الكفرة عليهم؛ بل وأعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال من وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يومًا،

---

(١) المستنصر بالله، أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله مُحَمَّد بن الناصر، ولد سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م، بويع للخلافة سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م، نشر العدل وقرَّب العلماء وقمع المتمردين، قام بأمر الجهاد أحسن قيام وجمع العساكر وحفظ الثغور وافتتح الحصون، توفي سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م وكانت مدة حكمه ١٧سنة، وعمره ٥٢ سنة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٥٣- ١٥٥).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (٣٦٢/١٧).

وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر"[١]، حيث انعكست آثارها على الأقاليم المختلفة، وبدأت هذه الأقاليم سواء في المشرق أو في المغرب تجنح نحو الاستقلال عن الخلافة لأسباب ينبغي الأخذ بها، ولا يجوز إغفالها بأي حال من الأحوال، ومن الوهم اكتفاؤنا باعتقاد أننا أصحاب الدين الحق مع عدم إعداد العدة، فللهزيمة أسباب ينبغي تجنُّبها، وأخطر هذه الأسباب وأشدها التفرق والتناحر والتشرذم، كما كان الحال عند اجتياح التتار لبغداد.[٢]

(١) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ٢٠٠٤هـ، ص١٩٩.

(٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٢٣٣.

المبحث العاشر

التنافس بين الوزراء

يعد منصب الوزارة من أرفع المناصب في الدولة العباسية، وتأتي منزلة الوزير بعد منزلة الخليفة، ولأهمية هذا المنصب أصبح ميدان منافسة ونزاع لدى رجال البلاط والخاصة؛ لكي ينالوا هذا المنصب. وخلال العصور العباسية المتأخرة بدأت حالات الضعف تظهر على خلفاء بني العباس، ممَّا دفع رجال البلاط إلى اتباع طريق الرشوة والدس واستمالة الناس، وبهذا ازدادت حالة المنافسة للوصول إلى كرسي الوزارة.

فتنوعت النكبات للوزراء، حيث بلغ التنافس على الوزارة أوج عظمته في خلافة المقتدر ٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م؛ لأن الخليفة كان صغير السن، وتولى تدبير أموره في أوائل عهده أمه ونساؤه وخدمه وقواده، فكانت دولته تدبِّر النساء أمورها، فاضطربت الأمور، وخلت بيوت الأموال[١].

واستخف الوزراء بالخليفة، وزالت هيبته من النفوس، واستأثر الوزراء بالأموال وحازوها بطرق مختلفة كالرشوة والهدايا التي ترد إليهم من العمال والولاة، ومن كبار موظفي الدولة، بالإضافة إلى ما يغتصبونه من ضياع الخليفة وعامة الشعب، ومصادرات للوزراء السابقين أو لأعدائه، وبهذه الأساليب ازدادت ثروة الوزراء وامتلكوا ضياعًا وإقطاعات وأملاكًا وعقارات وأموالاً وغلات[٢]، ممَّا دفع غيرهم إلى منافستهم للحصول على الوزارة، وبذل الرشوة والهدايا للقوّاد، ولنساء الخليفة، وأحيانًا إلى الخليفة نفسه عن طريق الضمان، فيتعهد للخليفة بدفع مبلغ معين لقاء حصوله على المنصب، كما فعل ابن مقلة عندما أرسل إلى الخليفة الراضي يتعهد له بدفع خمسمائة ألف دينار مقابل استيزاره[٣].

يعتبر أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن موسى بن الفرات أول وزراء المقتدر وأول منافس للوزارة منذ وزارته الأولى سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م[٤].

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيه، ص٢١١.

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٣٤ ٢.

(٣) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٤.

(٤) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٨.

وقد فوض إليه المقتدر بالله إدارة مملكته فدبَّرها.[١] فكانت الموارد المالية تسوء بسبب إنفاقه من بيت مال الخاصة وبيت مال المسلمين،[٢] حيث استمر ابن الفرات ينفق الأموال ويبذر تبذيرًا مفرطًا إلى أن أتلفها،[٣] أمَّا بالنسبة لإيراداته فقد زادت وذلك بالإقطاعات التي وهبها له المقتدر بالله -أيضًا- بالضياع حيث بلغت خمسون ألف دينار، وأجرى له خمسة آلاف دينار في كل شهر، وللمحسن والحسين والفضل أولاده ألفًا وخمسمائة دينار أثلاثًا بينهم[٤].

ثم بدأ ابن الفرات سياسته بجمع الأموال عن طريق المصادرات[٥] واستولى على ضياع واسط، وأنفق على الدار التي كان ينزلها ثلاثمائة ألف دينار[٦].

وفي سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م بدأ المقتدربالله يفقد ثقته بوزيره لسوء تدبيره، كما أنه سلب أموال الناس وحقوقهم حتى هاج الناس لتلك المعاملة وسبوه، يعلِّق الطبري على سياسة ابن الفرات مع الناس حيث قال: "ولم ير وزير أودع وجوه الناس من الأموال ما أودع ابن الفرات من قبل ولايته الوزارة، وكانت غلته تبلغ ألف ألف دينار ولم تعجب سياسته الرأي العام؛ لذلك وقف الناس معارضين لسياسته واستمروا على انتقاصه حتى هجوه، ويقول الطبري في موضع آخر: "وما سمعنا بوزير جلس في الوزارة وهو يملك من العين والورق والضياع والأثاث ما يحيط بعشره آلاف ألف غير ابن الفرات".[٧]

---

(١) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، (٤/٢١٥).

(٢) بيت المال الخاصة، هذا البيت كان تحت السيطرة المباشرة للخليفة. وقد اختص بيت المال هذا باستلام واردات ضياع الخليفة وأملاكه وما كان يأمر بإيداعه فيه من واردات أخرى. (الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١١٧). ضيف الله الزهراني، موارد بيت المال في الدولة العباسية، ط ١، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ، ص٢٨٧.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٦٥).

(٤) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٨.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٥٩).

(٦) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص١٩٩.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/٣٩).

ويعلق على ذلك أحد الباحثين فيقول: غير أن الوزير ابن الفرات اتهم بالسعي لجمع الأموال لنفسه على حساب مصلحة الخلافة، وباستغلال مركزه؛ لمنح أقاربه وأصحابه أحسن الوظائف في العاصمة والأطراف، وأصبحت هذه عادة سار عليها جميع الوزراء،[(١)]

ثم ظهر منافس آخر لابن الفرات في هذا المنصب وهو الوزير مُحَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٣٠١هـ/٩١٤م، عندما نجح في الإطاحة بوزارة ابن الفرات، وبذل الرِشا إلى أن وصل إلى منصب الوزارة، وقيل: إنه حظي بمودة دستنبويه أم المعتضد التي ضمن لها مائه ألف دينار، فزادت منزلته عندها،[(٢)] كذلك تعهّد للمقتدر بأن يدفع له مبلغًا كبيرًا يضاهي ما كان يدفعه ابن الفرات في وزارته مقابل حصوله على منصب الوزارة، لذلك نكبه الخليفة المقتدر بالله سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م.[(٣)]

ويعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله: فأدَّى هذا الأسلوب إلى زيادة حدة المنافسة على طلب الوزارة؛ ممَّا أدَّى إلى اضطرابات في شؤون الدولة والوزارة، وعدم كفاءة الوزراء.[(٤)]

فقد كان الوزير مُحَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان سيئ السيرة والتدبير، وفوَّض ابنه عبدالله في أمور الوزارة حتى تحكَّم بها، فكان من أسوأ مظاهر وزارته كثرة التولية والعزل، كما عمل على استبدال العمال، وعزل كل من ولَّاه ابن الفرات، وبدأ سياسة هذا الوزير بمصادرة أموال الناس ومطالبتهم حتى جمع أموالاً كثيرة[(٥)]، فساءت الوزارة وهوت هيبتها ولم ينجح في إدارة الدولة حيث انشغل عن قراءة الكتب الواردة إلى الدولة وكلّف غيره بقراءتها، وجعل الوزير الخاقاني على وظائف الوزارة أقرباءه وأتباعه، وباع المناصب لمن لا يستحقها حتى ساءت وفسدت المملكة بفرض الضرائب الجائرة على الرعية، كما أن الوزير أشرك أولاده وكُتَّابه على

---

(١) حسام الدين السامرائي، تطور نظام الوزارة منذ خلافة المعتصم بالله حتى دخول البويهيين، مجلة جامعة أم القرى، لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد٣٩، ١٤٢٧هـ، ص٢٩٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/٤٠).

(٣) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٩٦.

(٤) اليوزبكي، توفيق سلطان اليوزبكي، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ١٣٢- ٤٤٧هـ، ط٢، مؤسسة دار الكتب، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص١٥٨.

(٥) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/٤١).

التوقيعات دون مراجعة[1]، وكان لا يرفض لأحد طلبًا يريده، فأصبح بأيدي القوّاد والحاشية والرعية توقيعات كثيرة من الإقطاعات ومقاطعات وتقارير وإثباتات وإيجابات ومظالم، فاختلطت الأمور عمن تصدَّر لتوقيعات ففسدت الوزارة حتى اهتزت بسببها أركان الدولة.[2]

ونتيجة لهذه السياسة ظهر منافس آخر له في منصب الوزارة، حيث سعى أبو الحسن بن أبي البغل للوصول إلى الوزارة، وساعده في مسعاه قهرمانة القصر أم موسى، وضمن لها مئة ألف دينار، فولّاه الخليفة المقتدر الوزارة ونكب ابن خاقان سنة ٣٠٠/٩١٣م[3].

وعندما وصل الخبر إلى الوزير مُحَمَّد بن عبيد الله بن خاقان من جهة حاشيته وأتباعه، قدَّم الرشوة إلى جماعة من الخدم والحرم، وضمن لدستنبويه التي كانت عنيت بوزارته الأولى خمسين ألف دينار، فنقضت وزارة ابن أبي البغل سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م[4].

فعمل الوزير مُحَمَّد بن عبيد الله بن خاقان على تبذير الأموال وصرفها في غير مستحقها حتى إنه أخرج من بيت مال الخاصة إلى بيت العامة "ألف ألف وستمائة ألف دينار على سبيل الإقراض"[5]، ولهذه السياسة نكبهُ الخليفة المقتدر بالله سنة ٣٠١هـ/٩١٤م، ثم نافس في الوزارة ابن الفرات للمرة الثانية سنة ٣٠٤هـ /٩١٦م، وتعهَّد بأن يقدِّم للخليفة المقتدر بالله في كل يوم ألف دينار وإلى السيدة والأمراء خمسمائة دينار[6]، وبهذا رُدَّت له أكثر ضياعه التي كانت قبضت منه في وزارته الأولى، كما أنه زاد ثمن الشمع وزاد في ثمن القراطيس، وعاد ابن الفرات إلى سياسته السابقة من جديد وهي مصادرة أموال الناس[7]، فعاث في أمر الوزارة فساداً

(١) ومن أولاده عبد الله وعبد الواحد، ومن كُتّابه: بنان بن بنان، ويحي بن إبراهيم المالكي، وعلي بن عيسى الزنداني، ومُحَمَّد وأحمد أبناء سعيد الحاجب. (الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. ص٣٠٢).

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٨٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨١/٨).

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٤٢/١).

(٥) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٣٠٢.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٥/٥).

(٧) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٦٣/١).

وتلاعب بأنظمتها حتى أعلنت الدولة إفلاسها وارتبكت أحوالها من جديد؛ ممَّا أخَّر رواتب الفرسان متعذرًا بأن صرفها في محاربة ابن أبي الساج[١] الذي أخذ كثيراً من الجهد والمال وأدَّى إلى حصول أزمة مالية عجز معها عن دفع أرزاق الجند، حتى طلب من المقتدر بالله مائتي ألف دينار من بيت مال الخاصة؛ ليصرفها على الجند وتسكين شغبهم[٢]، فغضب المقتدر بالله منه؛ لأنه ضمن له هذا الوزير إرضاء الجند وتكفُّله بالنفقات وتدبير حال الوزارة، ففقد ثقته بوزيره، فنكبه سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م[٣].

وفي الوقت نفسه كان الوزير حامد بن العباس يطمح في منصب الوزارة فاتخذ من بعض القوّاد واسطة له وضمن لهم وللخليفة أموالاً طائلة، فاتفق الأمر على اختيار حامد وتوليته الوزارة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، ولعل منافسة حامد في طلب الوزارة مع جهله بأمورها كان للتخلص من أداء الأموال التي تعهد بها للوزير ابن الفرات السابق، حيث قال ابن الفرات: "إنما حمله على طلب الوزارة أني طالبته بأكثر من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه"[٤].

وخلال مدة إقامته بمنصب الوزارة تبيَّن للخليفة قلة خبرته، وأنه غير جدير بالوزارة، وليس له القدرة على تنظيم أمورها، فاغتم المقتدر بالله من ضعف حامد بن العباس.[٥]

ويعلق على ذلك أحد الباحثين حيث يقول: لم يكن لحامد بن العباس أن يتبوّأ منصبه حتى ظهرت معايبه وبدأ جهله بأمور الوزارة؛ ولعل ذلك متأتياً من كون هذا الوزير نشأ بعيدًا عن مجرى أمور دار الخلافة،[٦] لكنه استمرَّ في منصب الوزارة باتفاقه مع قوّاده مرة أخرى،

---

(١) هو يوسف بن أبي الساج، تقلد أعمال أرمينية وأذربيجان، وقد تأخر عن دفع مال السلطان، وحمل على العصيان وأرسل إليه المقتدر بالله مؤنسًا؛ لمحاربته، وهزمه مؤنس وقبض عليه وحبسه. (مسكويه، تجارب الأمم، ٥/ ٢٧).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (١٣/١٧٩).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/٦٥).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٣٩).

(٥) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٠).

(٦) حمدان الكبيسي، عصر المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠ هـ، (د. ط)، (د. د)، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص١٩١.

وضمن لهم أموالًا طائلة لكن غلت الأسعار؛ ممَّا نتج عنها أزمة ارتفعت فيها الأسعار ببغداد وشغب الناس حتى أمر المقتدر بالله بفتح مخازن الحنطة والشعير التي لحامد ولأم المقتدر بالله وبيعها فرخصت الأسعار وسكن الناس(١)، فاتهم حامد بن العباس في سبب غلاء الأسعار؛ لأنه منع بيع الغلال وخزَّنها ممَّا جعل الخليفة يأمر فسخ الضمان عن الوزير حامد بن العباس فانقلب عليه ما دبَّره(٢).

فثارت الغوغاء، وحاولوا قتله، إلا أنه تصدَّى لهم بجيشه فواجهوه حتى اشتد الأمر وقتلوا الناس، وأحرقوا الجسور، ورجموا خادما للوزير حامد بن العباس وهو في السفينة(٣).

فشاور الخليفة المقتدر بالله ابن الفرات وهو في حبسه عن أمور الوزارة، كما أن الخليفة المقتدر بالله كان بحاجة للمال حيث أقرضه ابن الفرات وهو في الحبس أكثر من اثني عشر ألف دينار، وبهذا نُكب الوزير حامد بن العباس سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، فسعى ابن الفرات بوزارة هذا الخليفة وضمن أموالاً جليلة(٤) أكثر من خمسة أضعاف ما ضمنه الوزير حامد بن العباس (٥)، وعاونه في ذلك القوّاد، فأطلق الخليفة ابن الفرات من الحبس، وخلع عليه وولَّاه الوزارة للمرة الثالثة سنة ٣١١هـ /٩٢٣م،(٦) فرحَّب الخليفة المقتدر بالله بوزارة ابن الفرات في تدبير دولته واتبع ابن الفرات سياسة الشدة؛ حتى لا تسقط به الوزارة مرة أخرى وجعل معه ابنه المحسن معاونًا له(٧).

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢١/١١).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٤٢-٤٣).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/٣٥٩).

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/٢٢٩).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ٤٩).

(٦) ابن الأثير، الكامل، (٨/٤٣).

(٧) الصابئ، تحفة الوزراء في تاريخ الأمراء، ص٤٤.

فعمل الوزير ابن الفرات على استخدم القتل والنفي والتعذيب والضرب[١]، فأطلق يد ابنه على الناس حتى غلب ابنه المحسن عليه في أكثر أموره، فبدأ يسرف في أخذ أموال الناس وحقوقهم[٢]، كما عمد ولده المحسن بأخذ كل من كان محبوسًا عنده من المصادرين فقتلهم؛ لأنه قد أخذ منهم أموالًا جليلة ولم يوصلها إلى المقتدر بالله فخاف على نفسه أن يعترفوا عليه[٣]، واتهم ابن الفرات بأنه يعرِّض الدولة للزوال عن طريق إبعاد المخلصين عن مركز الدولة،[٤] فأشار القوّاد على المقتدر بمكاتبة مؤنس وهو في الرقة وقدومه إلى بغداد، وأرسل المقتدر قوّاده، وفي الوقت نفسه ظهر منافس آخر لمنصب الوزارة وهو أبو القاسم عبد الله بن مُحَمَّد بن عبيد الله الخاقاني، حيث سعى له القائد مؤنس ونصر الحاجب وثمل القهرمانية بالوزارة سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م.[٥]

وتكفَّل الوزير الخاقاني بمصادرة ابن الفرات وأصحابه، فخاف الوزير الخاقاني على منصبه في بقاء ابن الفرات، فاجتمع بالقواد وعلى رأسهم مؤنس ونصر الحاجب، وقالوا للمقتدر: "إن لم تقتل ابن الفرات وابنه خلع الأولياء بأسرهم الطاعة[٦]، فنكب ابن الفرات وابنه سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م[٧].

لقد استطاع الخاقاني التخلص من ابن الفرات ولكنه فشل في تصريف شؤون الدولة، وأدَّت أعماله إلى ضياع الأمور وفساد التدبير، كما أنه عجز عن دفع رواتب الجند وأشرفت

---

(١) حاول في إزالة نصر الحاجب وقتله، فما قدر على ذلك، واحتال على قتل شفيع المقتدري؛ لكثرة أمواله، ونفى أبا القاسم سليمان بن الحسن وأبا على مُحَمَّد بن علي بن مقلة إلى شيراز، ونفى النعمان بن عبد الله الكاتب، وكان رجل صدق، ونفى إبراهيم بن عيسى وضرب خادم حامد، فأقر بأربعين ألف دينار دفنها في داره بالمدينة، فحملت وصودر مؤنس حاجب حامد على عشرين ألف دينار، وصودر مُحَمَّد بن عبد الله النصراني صاحبه، والحسن بن على الخصيب كاتبه على ثمانين ألف دينار. (القرطبي، صلة تاريخ الطبري ٩٩/١).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٧٩/١٤).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣١٠/٦).

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٩٨/١).

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٢٤٣/٩).

(٦) الصابئ، تحفة الوزراء في تاريخ الأمراء، ص٦٩.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، (١٨٩/٦).

بغداد على فتنة عظيمة،[1] ممَّا جعل الخليفة في حرج إزاء شغب الجند، فندم المقتدر بالله على استيزار الخاقاني الذي فرض عليه من قبل الزمرة المحيطة به وكان يقول: "أبوه خرب الدنيا وهو شر من أبيه"، اضطر الخليفة إلى تلطيف ما أفسده وزيره بأن دفع ثلاثمائة ألف دينار من ماله الخاص وتوزيعها على الجند وليس على الوزير كما هي العادة، ثم أمر بنكبة الخاقاني سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م[2].

ثم ولى المقتدر بالله أحمد بن عبيد الله بن أحمد الخصيب الذي استطاع الإطاحة بالوزير السابق الخاقاني، كما أنه ضمن للمقتدر بالله بأن يستخلص من أم المحسن بن الفرات سبعمائة ألف دينار فعظم شأنه عند المقتدر، وقد تمَّ له ما أراد سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م[3].

فكان أكثر اعتماد الوزير أحمد بن عبيد الله الخصيب على تنظيم مالية الدولة على أموال المصادرين وكان أول المصادرين الخاقاني،[4] ولم يستطع الوزير ابن الخصيب القيام بأعباء الوزارة إنما أراد منصب الوزارة تشبُّهًا بغيره، وأهمل قراءة الكتب والرد عليها، فاضطربت الدولة وساءت الأمور[5]، واشتدت الأزمة المالية، وتأخرت المصالح، ولعجزه أوكل الأمور إلى نوّابه، وأهمل الاطلاع عليها، فقدّموا مصالحهم على مصلحته[6]، دفعت هذه الأمور الجيش إلى التدخل لتدارك سوء الأحوال، فأشار مؤنس بنكبة الوزير سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م[7].

وبهذا أدَّت سياسة المنافسة على الوزارة، وتشجيع الخليفة للضامنين، والسماح للوزير باستخدام أساليب العنف والقسوة للحصول على الأموال؛ أدَّى ذلك إلى حرمان الدولة من وزراء أكْفاء، وإلى بث روح الكراهية والانتقام في نفوس الشخصيات الكبيرة في الدولة فضعف منصب الوزارة، وخاصة في عهد أبي القاسم عبد الله بن مُحَمَّد بن عبيد الله الخاقاني و أحمد بن عبيد الله بن أحمد الخصيب، حيث أهمل الأول شؤون الدولة، وانصرف الثاني إلى الخمر وأهمل

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٨٠).

(٢) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/٢٦٥).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٥٠٧).

(٤) مسكويه تجارب الأمم، (٥/٨١).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٥٠٧).

(٦) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/٢٤).

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، (٤/١٥٦).

أمور الدواوين، وعهد بمالية الدولة إلى كُتَّابه، فقلَّت الأموال في عهدهم وساد الظلم، واضطربت الإدارة، واضطرت الحاجة للمال إلى مصادرة الناس فلم يدع عند أحد مالاً إلا أُخِذ منه بأتعس ما يكون من الشدة والقسوة، فاستغل مُحَّد بن علي بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن مقلة ضعف أحوال الوزارة فجدَّ في السعي والمنافسة في طلب الوزارة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م[١]، وضمن على نفسه في بذل الأموال وتوفيرها للخليفة، وتقرَّب للمقتدر؛ لينال رضاه، ممَّا جعل الخليفة يعتقد فيه أنه صالح للوزارة.[٢]

فاعتمد ابن مقلة في تسيير أمور دولته على عمال الولايات في حمل الأموال إلى خزينة الدولة، فأرسل أبو عبد الله البريدي من الأهواز إلى الوزير ثلاثمائة ألف دينار،[٣] ولكنه واجه ثورة عسكرية يتزعمها القائد مؤنس الذي عمل على خلع الخليفة المقتدر بالله والبيعة للخليفة القاهر سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م.[٤]

فلم تكن للوزير ابن مقلة جهود تذكر في المؤامرة ضد الخليفة ولم تكن له سلطة في الحد من نفوذ مؤنس فكان أمره مستضعفًا ليس له حل ولا عقد وهرب من دار السلطان[٥] فتم أمر القاهر بالله في الخلافة فأبقى الوزير ابن مقلة في منصب الوزارة،[٦] وكتب الوزير ابن مقلة كتابًا يخبر فيه تقليد القاهر الخلافة للولاة في النواحي ولكن مراسيم التتويج لم تتم إلاَّ يومين، وأعيد المقتدر بالله إلى الخلافة وأحضر المقتدر بالله ابن مقلة وأعاده إلى وزارته وخلع عليه وكنَّاه وكتب إلى الأقاليم بتجديد البيعة للمقتدر بالله،[٧] وأمر الخليفة وزيره بإطلاق مال البيعة للجند وزيادة فاضطر الخليفة المقتدر بالله إلى إخراج ما في الخزائن من كسوة وأشياء ثمينة حتى تمت الأعطيات، وبهذا يتضح لنا أن الوزير الذي تنقَّل بين خليفتين خلال يومين لم يكن له أثر في الدولة غير أن مهمته يرسل الأخبار لعمال النواحي بمن تقلد الخلافة فقط، وأنه لم يكن له عمل غير التوقيع للجند ببيع الضياع وتحول ملكيتها[٨].

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٥٧/١). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٥٧/٨).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (١٠٥/٥).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١١٧/١).

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٢٧.

(٥) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٥٩/١١).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، (١٣/ ٢٨٠).

(٧) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٦١/١١).

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، (١١٤/٥).

ونتيجة لصرف الأموال على الجند في عودة المقتدر بالله للخلافة فقد سبَّب ذلك عجزًا في الخزينة، إضافة إلى سوء تدبير الوزير ابن مقلة في الشؤون المالية للوزارة، حيث شغب الجيش المطالبين برواتبهم المتأخرة فدفعت لهم فسكن الشغب[١].

كما أن الخليفة أخذ يشك في نوايا وزيره وولائه فكان يتهمه بالميل لمؤنس الذي كان خائفًا منه،[٢] وعندما سنحت الفرصة للمقتدر بالله في خروج مؤنس عن العاصمة نكب ابن مقلة سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م[٣].

وظهر منافس آخر للوزارة وهو أبو الجمال الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الذي كان يسعى للوصول إلى منصب الوزارة بعدة وسائل، فكان يجتهد في إرضاء القائد التركي مؤنس وأعوانه وضمن لهم أموالًا جليلة إذا تقلد الوزارة، فطابت نفس مؤنس عليه ورضي عنه[٤] حتى ضمن للخليفة المقتدر بالله جميع النفقات، ولا يطالبه بشيء من بيت المال، وضمن أنه يستخرج ألف ألف دينار ويكون في بيت المال، ثم سعى هذا الوزير في طلب الوزارة بوسائل غريبة؛ إذ استعان بالدجالين، وبأساليب الشعوذة حتى تولى منصب الوزارة سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[٥]، فاشترط الوزير الحسين بن القاسم على الخليفة في وزارته أن لا يشاركه علي بن عيسى في شيء من الأمور ولا يجلس للمظالم[٦]، وعندما تقلدها اهتم بجمع الأموال التي يحتاج إليها في نفقه العيد،[٧] وحاول الوزير أن يتخلص من القائد مؤنس[٨] كما أصدر أوامره بالقبض على أملاك مؤنس ومن معه، واستحدث ديوانًا جديدًا وسماه ديوان المخالفين.[٩]

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/١٢٨).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١١٦).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/١٢٨).

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٦٤).

(٥) القرطبي، صلة تاريخ الطبري (١/١٤١). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/٧٢).

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ٢٢٥).

(٧) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/٢٦٦).

(٨) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٦٥).

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، (١٣/ ١٢٧).

فزادت مكانة الوزير الحسين بن القاسم عند المقتدر وعزز مركزه حتى أطلق عليه هذا الخليفة لقب عميد الدولة تشريفًا وتكريمًا، واستطاع الوزير أن يقوّي علاقته مع الخليفة وأن يرد قوة الوزارة وهيبتها حتى أصبح يمارس العزل والتولية دون الرجوع إلى الخليفة،[١] غير أن قوة الحسين بن القاسم بدأت تتقهقر بسبب الأزمات المالية التي مرَّت بالدولة، ممَّا جعلت الوزير يبيع من الضياع السلطانية واستلف من مال بيت الخاص سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م قبل موعد جباية الضرائب بعدة شهور، ولم يبق له أي مجال لسد نفقات سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[٢]، فظهر عجزه وسوء تصرفه فثقل على قلب المقتدر فغضب عليه فنكبه سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[٣].

ثم نافس في طلب الوزارة أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، والهدف من ذلك ترتيب أوراق الوزارة وتنظيم شؤون الدولة ممَّا حدث لها من سلفه من تعسُّف بالأمور ونشر الفرقة بين الخليفة وقائده مؤنس، إلا أن الأيام لم تمهله؛ إذ إن الفتنة انتشرت في البلاد واضطربت الأمور من قلة الجند ونفاذ الأموال،[٤] والحرب على الأبواب بين الخليفة المقتدر بالله وقائد قواته مؤنس الذي سيطر على جيش الدولة، فاضطر الوزير ملازمة الخليفة والخروج معه إلى ساحة المعركة حتى اشتد الحرب وقتل المقتدر بالله سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م ونكب الوزير، وبذلك انقضت خلافة المقتدر بالله وتعرضت البلاد للخراب والدمار، ممَّا أدَّى إلى انفصال بعض الولايات عن سلطة الدولة؛ نتيجة لسياسية أصحاب المناصب التعسفية حتى أصبحت الدولة عاجزة عن حملهم لثقل وطأتهم، وأصبح منصب الوزارة وبالاً على من يتقلده، وتعدوا على حرمة الخليفة وأذاقوه أنواع العذاب[٥].

سعى الوزير مُحَّد علي بن مقلة في الوزارة عند القاهر سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢م[٦] حتى استطاع أن يفرض قوته على المصادرات فيمن استتر بعد مقتل المقتدر بالله من أولاده وأمه[٧]،

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (١٢٧/٥).

(٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٦٦/١١).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧٦٧/٦).

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٥٩.

(٥) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٢٧٣/١).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، (٣١٦/١٣).

(٧) الهمداني، تكملة الطبري، (٧٣/١١).

فحظي بمحبة القاهر بالله له وعلو منزلته حتى كنَّاه وزاده في التشريف والرتبة وأمر أن يكتب بذلك إلى الأمصار والأعمال،[١] إلا أن حماس مُحَّد علي بن مقلة بدأ يضعف لاختلاف الخليفة القاهر بالله عليه وتغيُّر معاملته معه بسبب مُحَّد بن ياقوت الذي علت منزلته عند القاهر بالله وأصبح يشاوره في الأمور حتى أهمل وزيره.[٢]

وساءت العلاقة بين هذا الخليفة وبين الوزير مُحَّد علي بن مقلة، فضيَّقوا على القاهر وازدادوا في إهانته وأخرجوا كل من عنده من السجناء، وقُطِعت أرزاق حاشيته،[٣] وبيعت أملاك القاهر ثم شرع الوزير في التخلص من القاهر، فبلغ ذلك الخليفة فبادر بالقبض على المتآمرين، وأمر بقتلهم، ثم نكب الوزير مُحَّد علي بن مقلة سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م.

ثم نافس في منصب الوزارة أبو جعفر مُحَّد بن القاسم بن عبيد الله الكلوذاني للمرة الثانية فتولى وزارة الخليفة القاهر بالله سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، وبعد أن تخلَّص القاهر من أشهر القوّاد وخاصة مؤنسًا، ثار رجال مؤنس وشغبوا وقصدوا دار الوزير أبي جعفر فأحرقوها، ومن ثمَّ تبيَّن للقاهر ضعفه وعجزه عن تدبير وزارته فلم يتوان القاهر بالله في نكبته في السنة نفسها.[٤]

سعى مُحَّد علي بن مقلة في أخذ الوزارة للإيقاع بينه وبين القاهر، وللتخلص منهم، وليعود إلى الوزارة، فاستطاع أن يغري سيما[٥] بالقاهر، فقبض عليه وسمل عينيه وبايع الراضي بالخلافة ٣٢٢هـ/٩٣٤م، ونجح مُحَّد بن علي بن مقلة في التحريض على خلع القاهر ثم توليه منصب الوزارة، وهذا يعكس مدى شعبيته عند الجند، وذهب القاهر ضحية خيانة الوزراء واستبداد القادة.[٦]

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (١٤٨/٥).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣٧٦/٦).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (١٤٩/٥).

(٤) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، (٧٧/١١).

(٥) سيما التركي غلام المعتصم بالله بن الرشيد،، وكان المعتصم لا يكاد يفارقه ولا يصبر عنه محبة له. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٩/١٦).

(٦) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، (٧٨/١١).

راسل ابن مقلة سيما، وتعهَّد له إن تولَّى الوزارة أن يدفع له خمسمائة ألف دينار[1]، على أن يتوسَّط له بالوزارة حيث أشار سيما على الخليفة الراضي استيزار ابن مقلة وتقديمه على علي ابن عيسى فاستوزره الراضي بالله، وجعل علي بن عيسى معاونًا في تصريف الأمور. لقد فرض مُحَّد بن مقلة على الراضي وهو كاره له؛ لذلك أسند تدبير الأمور لعلي بن عيسى؛ لعدم ثقته بابن مقلة[2]. كما أنه قلد مُحَّد بن ياقوت الحجابة وأسند إليه رئاسة الجيش، واستبد مُحَّد ابن ياقوت بالأمور وأصدر قرارًا ينص على عدم اعتماد أي معاملة ما لم يكن عليه توقيعه وأمرهم بحضور مجلسه[3]، وبهذا طغت سلطة ابن ياقوت على سلطة الوزير مُحَّد بن مقلة فقلق من تحكم مُحَّد بن ياقوت في الدولة، فسعى به إلى الخليفة حتى استوحش منه الراضي في تسلطه بالأمور فأمر بالقبض عليه[4].

استطاع ابن مقلة التخلص من ألد أعدائه، ومارس اختصاصاته وفرض سيطرته على إدارة أمور الدولة وتوجيهها،[5] وجعل ابنه أبا الحسن علي نائبًا له في جميع شؤون الدولة بصفته وزيرًا ثانيًا بعد اعتراف الخليفة له بالوزارة وخلعها عليه،[6] فكانت الكتب تصدر بعبارة من أبي علي وعلي بن أبي علي بن مقلة، ولم يل الوزارة أصغر سنًّا من علي؛ إذ كان عمره ثماني عشرة سنة.[7]

لقد استبد مُحَّد بن مقلة بجميع شؤون الدولة وعرَّض البلاد لضائقة مالية؛ لقلة ما يصل إلى خزينة الخلافة فقد قطع مُحَّد بن رائق أمير واسط والبصرة العائدات المالية عن الخليفة؛ لإضعاف مركز ابن مقلة في الوزارة، واستقل عبد الله البريدي بالأهواز وسيطر البويهيون على

(١) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢/٣٦٦).

(٣) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٣١.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١٨١).

(٥) ابن خلدون، العبر، (٣/٣٩٥).

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ١٨١-١٨٢).

(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، (٢/١٩٧).

فارس والحمدانيون على شمال العراق،[1] لذلك لم يصل إلى خزينة الدولة من الواردات المالية إلا القليل التي لا تغطي مصروفات الدولة، كذلك تعرَّضت الدولة إلى أزمة مالية بسبب صرف ابن مقلة أموالاً طائلة على الجيش لحربه ضد ناصر الدولة في الموصل، حتى استلف من التجار أربعمائة ألف دينار ليسد عجزه،[2] وشغب عليه المطالبون بأرزاقهم وحاصروا داره، وصادف أن الخليفة الراضي بالله أطلق المظفر بن ياقوت واستطاع أن يوغر قلب الجنود على الوزير مُحَّد بن مقلة في فساده وتعسفه بأمور الدولة، فنكب الوزير سنة ٣٢٤هـ /٩٣٦م[3] .

وفي السنة ذاتها نافسه في الوزارة أبو جعفر علي بن مُحَّد الكرخي، ولم ينجح في توفير الأموال بسبب قلتها، فاختلفت عليه الأحوال واضطربت عليه الأمور وكثرت عليه المطالبات وزادت الشدة، حتى طمع العاملون بما عنده من الأموال، وبهذا نقصت هيبته فنكبه الراضي بالله بعد أشهر قليلة من تعيينه، وبدأ الراضي يفقد ثقته بالوزراء؛ لما آلت إليه مملكته من الاضطرابات والتصدع[4] .

عاد الوزير مُحَّد بن مقلة فسعى في طلب الوزارة سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م، بينما الأمر جميعه إلى ابن رائق، وكان ابن رائق قد قبض أموال ابن مقلة وأملاكه وأموال ابنه فطلب منه ردها فلم يردها، فأخذ يسعى بابن رائق عند الخليفة الراضي بالقبض عليه، وكاتب بجكم يطمعه في منصب ابن رائق، وتحالف الراضي وابن رائق على ابن مقلة فنكباه، فلم تثني هذه النكبة ابن مقلة عن طلب الوزارة وعاد يكاتب الخليفة الراضي ويسعى لتولية الوزارة وتعَّهد للراضي باستخراج ثلاثة ملايين دينار إن قلده الوزارة فلم يجبه الراضي إلى طلبه، ونكبه في السنة نفسها.[5]

(١) مسكويه تجارب الأمم، (٥/ ١٦٨-١٦٩).

(٢) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٧٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢/٣٥٦).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/٥٢).

(٥) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي، ص١٠٥.

وتعددت أساليب المنافسة على طلب الوزارة حتى استحداث منصب أمير الأمراء؛ إذ انعدمت حدة التنافس على الوزارة؛ لأن أمير الأمراء سيطر على الإدارة، والولاية، وبيوت الأموال، إضافة إلى الوزارة، ويؤيد مسكويه ذلك بقوله: "واستبد ابن رائق أمير الأمراء بالأمور، ورد الحكم في جميع الأمور إلى نظره، ولم يبق للوزير سوى الاسم"[١].

وفي عهد الخليفة القائم بأمر الله ازدادت المنافسة بين الوزير رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن الحسن بن مسلمة، وقائد الجيش التركي أبي الحارث أرسلان البساسيري — الذي تأثَّر بالدعوة (الفاطمية) العبيدية— و تمرد على الخليفة القائم بأمر الله، واستطاع أن يخرج الخليفة من بغداد —ويحدث انقلابًا خطيرًا— ونكب الوزير رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن مسلمة سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٢].

ومن الواضح أن الوزير العباسي لم يواجه منافسةً من قبل رجال بلاط الخليفة فحسب، وإنما أخذ يواجه منافسةَ رجالِ بلاط السلطان السلجوقي ووزرائهم، ويتضح من ذلك أن ظاهرة المنافسة التي واجهت الوزير العباسي في العصر السلجوقي جاءت نتيجة المصاهرة لتؤثر على الوزير ومن ثَمَّ على نكبته،[٣] فقد ألزم الوزير السلجوقي نظام الملك الخليفة المقتدي بأمر الله بنكبة الوزير أبي شجاع وتولية زوج ابنته عميد الدولة مكانه، ولم يكن للخليفة بدٌّ من إجابة سؤاله، وولى عميد الدولة سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م.[٤]

ثم ازدادت المنافسة في عهد الخليفة العباسي المسترشد بالله بين أصحاب الولايات ووزراء الخليفة العباسي، لدرجة أنهم أخذوا يطلبون من الخليفة أن يعزل وزيره، فعندما أراد الخليفة العباسي المسترشد بالله أن يعيد العلاقة مع دبيس بن صدقة صاحب الحلة ويعقد معه الصلح اشترط دبيس على الخليفة أن يقبض على وزيره أبي علي بن صدقة، فاستجاب الخليفة لطلبه

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٥٢/٥).

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٨٨.

(٣) عباس إقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق: أحمد كمال الدين حلمي، (د. ط)، مطبوعات الجامعة، جامعة الكويت، (د. م) ١٩٨٤م، ص٤٣.

(٤) ابن العمراني، الإنباء تاريخ الخلفاء، ص٢٠٢.

فنكبه سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[١]، كما أن إخلاص الوزير في أداء مهامه الإدارية، وحرصه على تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية، كالضرب على أيدي رجال البلاط الذين حاولوا اختلاس أموال الرعية، والعمل على زيادة خزانة الدولة فكان من أسباب التآمر على الوزير ونكبته، ففي سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م طبق الوزير أحمد بن مُحَّد بن سعيد إبراهيم التميمي أبو جعفر بن البلدي قانون الشريعة الإسلامية بقطع أيدي الموظفين الذين سرقوا أموال الرعية، إلا أنه واجه منافسة حادة من قبل رجال البلاط كأستاذ الدار وقائد الجيش قيماز التركي لإبطال محاولته[٢].

واجه الوزير مُحَّد بن عبد الله بن المظفر أبي القاسم علي بن المسلمة في وزارته للخليفة المستضيء منافسة حادة من قائد الجيش قيماز سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م ونكبه عن الوزارة، وعندما أراد المستضيء بالله إعادة ابن المظفر إلى الوزارة غضب قايماز، وجمع الجيوش واضطربت العامة، وبدأت المفاوضات بين الوزير والخليفة وقيماز[٣]، وانتهت بخروج الوزير ابن رئيس الرؤساء وأولاده من بغداد، وسكنت بغداد، ثم دخل قايماز إلى الخليفة فاعتذر، وبقيت الرسل تتردد، واستقر الأمر لابن المظفر ثم أعيد إلى الوزارة وخرج للحج ونكب سنة ٥٧٢هـ/١١٧٧م[٤].

وخلاصة القول: إن التهافت على طلب الوزارة، تسبَّب في كثرة نكبات الوزراء فسادت بعضاً من مظاهر الفوضى والشغب بحق بعض الوزراء، فعندما يجلس وزير جديد يلقى نفس المعاملة التي عامل بها الوزير السابق، وقد يعود الوزير إلى منصبه أكثر من مرة، كابن الفرات وابن مقلة، فيعود معه أعوانه وهم مشبعون بروح الانتقام، وما يتبع ذلك من اضطراب الأمن وأمور الدولة، وانتشار الظلم والأحقاد، وتدبير المكائد والمؤامرات للإيقاع بخصومهم ومنافسيهم، بالتعاون مع قادة الجيش ونساء القصر، ولعل أهم الدوافع التي تدفع إلى المنافسة في الوزارة، هو حاجة الخليفة للمال، وفراغ بيوت الأموال، وعجز الوزراء عن توفيرها لسد نفقات البلاط

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١٧/٢٠٦).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩/٣٣٤).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/٥٢٥).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/٥٢٩).

والجند، ممَّا يدفع الخليفة إلى مصادرة أموال الوزير،[1] ولذلك حاول كثير من رجال البلاط الوصول إلى منصب الوزارة بأي ثمن كان، فظهرت المنافسة بين الوزراء ورجال البلاط، وبذل الأموال لنيل منصب الوزارة التي أصبح ضحيتها منصب الوزارة عملًا ورئاسة[2].

---

(١) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٥٦٢.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم (٥/٣٨٩). اليافعي، مرآة الجنان، (٢/٢٩٣).



الفصل الثالث

الفصل الثالث

صور نكبات الوزراء في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول: العزل عن الوزارة.

المبحث الثاني: المصادرة.

المبحث الثالث: السجن.

المبحث الرابع: التعذيب.

المبحث الخامس: النفي.

المبحث السادس: الهروب والاختفاء.

المبحث السابع: القتل.

المبحث الثامن:الاستعفاء.

المبحث الأول

العزل عن الوزارة

تبيَّن لنا ممَّا تقدَّم ضعف الوزراء في العصر العباسي الثاني، فضلاً عن تزايد نفوذ القوّاد الأتراك واستئثارهم بالسلطة، وضعف الخلفاء، وتدخل النساء في شؤون إدارة الدولة العباسية ؛ ونتيجة ذلك تعرض الوزراء لعدة نكبات منها العزل عن الوزارة، وكان قرار العزل عن منصب الوزارة يصدر من جهات مختلفة سواء من الخليفة أو من غيره، وكانت الكيفية التي يعزل بها الوزراء إمّا بالقبض عليه فجأة أو بإرسال شخص من الخليفة أو من أمير أو قائد الجيش ثم عزله وتسليمه للوزير الجديد؛ لإجراء التحقيق معه.(1)

فتعرَّض في بداية العصر العباسي الثاني الوزير مُحَّد بن الفضل الجرجرائي للعزل عن الوزارة سنة ٢٣٦هـ/٨٥١م، وكانت مدة وزارته أربع سنوات، وكان العزل عن الوزارة صادر من الخليفة المتوكل على الله إلى الوزير مباشرة حتى توفي سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م.(2)

كما واجه الوزير أبو العباس أحمد بن الخصيب العزل عن الوزارة سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م، وقد صدر قرار العزل من الخليفة المستعين بالله.(3)

كما جاء قرار عزل الوزير جعفر بن مُحَّد الإسكافي وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م، وقد صدر من الخليفة المعتز بالله، ولما عزل قيل فيه أبيات تبيّن رأي الناس فيه وفرحتهم بعزله؛ منها:

زِلْتَ فَزَالَ الجَوْرُ وَالْمُنْكَرُ فِي غَيْرِ حِفْظِ اللهِ يَا جَعْفَرُ

وهذا دليل على كره الناس، بسبب ظلمه وتعسُّفه للناس، فلم يكن مقبولًا من الخليفة ولا من الناس؛ وذلك لأنه على المذهب الشيعي، وكانت مدة وزارته للمعتز بالله سنة،(4) ومن هنا نرى أن هناك توافقًا بين رأي الخليفة المعتز بالله في الوزير ورغبته عنه وبين الناس حيث

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٣/١٩).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ١٨٥).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥٥٣/١٢).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٣٠٧/٦).

قال: "أمَّا جعفر فلا أرب لي فيه، ولا يعمل لي"[١]، ثم عُزِل هذا الوزير عن وزارة الخليفة المهتدي بالله سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م، وكان قرار العزل صدر من الخليفة وكانت مدة وزارته قصيرة جدًا، وفشلت كل محاولات هذا الوزير الرامية لإثارة الفتنة بين الخليفة المهتدي والرعية من جهة، وبينه وبين قواده من جهة أخرى، بغرض نشر مذهبه الشيعي بين الناس، وذلك ليقظة المهتدي،وقوة العلاقة بينه وبين أعوانه من العرب [٢]، وعاش بقية حياته دون أن يكون له أعمال تُذكَر حتى وصف بالخمول، توفي سنة٢٦٨/٨٨٢م.[٣]

كما تعرَّض الوزير عيسى بن فرخان شاه وزير الخليفة المعتز بالله إلى العزل عن الوزارة بقرار من الخليفة في شهر رجب سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م،[٤] وكانت مدة وزارته بضعة أشهر.[٥]

وفي سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م عُزِل الوزير مُحَمَّد بن عبيد الله بن خاقان، وزير الخليفة المعتمد على الله بعد أسبوع من توليته منصب الوزارة، كما أن هذه المدة القصيرة لا يمكن أن تظهر للخليفة مدى كفاية الوزير حتى يتعرَّض للعزل، وإنما يتبيَّن لنا مدى اختلال الأمور وعدم تقدير أهمية منصب الوزارة والوزير، وضعف الخليفة في المحافظة على الخلافة وتقدير الأمور،[٦] ثم عُزِل هذا الوزير مرة ثانية عن الوزارة في خلافة المقتدر بالله يوم عاشوراء سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م وكانت مدة وزارته سنة.[٧]

كذلك صدر بحق الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح وزير الخليفة المعتمد قراراً بعزله مرتين، وقد نُفِّذ قرار العزل من القائد أبي أحمد الموفق بالله بن المتوكل، فُعزِل في الوزارة الأولى سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م، وكانت مدة وزارته سنة، والمرة الثانية سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م، وكانت مدة وزارته بضعة أشهر.[٨]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٥٩/٩).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١١٨/١١)

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦/ ٣٠٧)

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٢٣٨).

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٣٦٩/٩).

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧/ ٢٥٦).

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧٤/١١)

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦/ ٢٥٤).

كما تعرَّض الوزير أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني الذي تقلَّد الوزارة في خلافة المعتمد على الله للعزل عن الوزارة مرتين، ففي وزارته الأولى صدر قرار العزل من الخليفة المعتمد على الله سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م، وكانت مدة وزارته قصيرة جداً، أمَّا الوزارة الثانية فقد عُزِل عن الوزارة في شهر رمضان سنة ٢٦٦هـ/٨٨٠م، فكانت مدة وزارته أحد عشر شهرًا.[١]

أمَّا الوزير صاعد بن مخلد وزير الخليفة المعتمد على الله فقد صدر قرار عزله من قائد الجيش الموفق، وكان الوزير يباشر بعض أعماله بواسط سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م،[٢]، وكانت مدة وزارته ثلاث سنوات.[٣]

وتعرَّض الوزير علي بن مُحَمَّد بن الفرات وزير الخليفة المقتدر بالله للعزل ثلاث مرات، ففي وزارته الأولى قُبِض عليه وعزل في ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م، ممَّا أثار فتنة ببغداد حيث نهب الناس، واستمرت في شدتها ثلاثة أيام، وكانت مدة وزارته الأولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يومًا. وفي وزارته الثانية فقد عزله الخليفة المقتدر بالله عن الوزارة يوم الخميس ٢٨ من جمادى الآخرة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، حيث أمره الخليفة المقتدر بالله بالحضور من واسط، فحضر وقبض عليه وعزله، وكانت مدة وزارته هذه سنة واحدة وخمسة أشهر وتسعة عشر يومًا[٤].

أمَّا في وزارته الثالثة فقد عُزِل بقرار من الخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م،[٥] فكانت مدة وزارة ابن الفرات عشرة أشهر وثمانية عشر يومًا[٦]، ويتبيَّن لنا من كيفية عزل الوزير ابن الفرات عن الوزارة أنه يُقبَض عليه قبل أن يصدر قرار عزله؛ لقوة شخصيته ومن أجل مصادرة أمواله فجأة[٧].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٥٩/٩). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٤٣٧).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/١٠).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٤٨١/٤)

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦٥٦/٦).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (١٨٩/٦).

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (١٩٠/٥).

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦/ ٧٨٤).

وفي شهر ذي الحجة سنة ٢٩٩هـ/٩١٣م صدر قرار الخليفة المقتدر بالله بعزل الوزير مُحَمَّد بن عبيد الله الخاقاني عن منصب الوزارة، وكانت وزارته أقل من شهر. وفي الشهر نفسه عزل أحمد بن يحيى المعروف بابن أبي البغل عن وزارة المقتدر بالله سنة ٢٩٩هـ/٩١٣م، وقد صدر قرار العزل من الخليفة إلى الوزير مباشرة، وكانت مدة وزارته قصيرة جدًّا، فلم تتجاوز الأيام ولم ينته عمله في الخلافة بل رد واليًا على فارس[١].

وفي سنة ٣٠١هـ /٩١٤م أصدر الخليفة المقتدر بالله قرار عزل الوزير مُحَمَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان عن الوزارة،[٢] وكانت مدة وزارته للمقتدر سنتين.[٣]

أمَّا الوزير علي بن عيسى الجراح فقد عُزِل من منصب الوزارة ثلاث مرات، وكان صدر خطاب العزل من جهة حرم الخليفة المقتدر بالله، فقد صدر عزله من منصب وزارته الأولى في اليوم الثامن شهر ذي الحجة سنة ٣٠٤ هـ/ ٩١٦م عندما كان الوزير خارجًا من منزله إلى دار الخلافة، وكانت مدة وزارته أربع سنوات[٤].

أمَّا في وزارته الثانية فقد عزله الخليفة المقتدر بالله في شهر ربيع الآخر سنة ٣١١هـ/٩٢٣م وكانت مدة وزارته ست سنوات،[٥] وفي وزارته الثالثة عزله الخليفة المقتدر بالله عن الوزارة في منتصف ربيع الأول سنة ٣١٦هـ /٩٢٨م وكانت مدة وزارته ثلاث سنوات[٦]، ويبدو أن مدة وزارة علي بن عيسى كانت أطول مدة من وزراء الخليفة المقتدر بالله. وفي ربيع الآخر سنة ٣١١هـ/٩٢٣م صدر قرار العزل من الخليفة المقتدر بالله على الوزير حامد بن العباس عن الوزارة وكانت مدة وزارته ست سنوات.[٧]

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٦٩/١١).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦١٨/٦).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٨٧٣/٦).

(٤) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٣١٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣٧/٨).
Harold Bown، the life and times of Aly Ipn Isa … P، 151 - 152 .

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦ ٨٢/٦).

(٦) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٥٧/١١).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٣٥٩).

كما عزل الخليفة المقتدر بالله الوزير أبا القاسم عبد الله بن مُحَمَّد بن عبيد الله بن خاقان عن منصب الوزارة في شهر رمضان سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م وكانت مدة وزارته ثمانية عشر شهرًا،[١] وتشير بعض المصادر أن وزارته كانت سنة وستة أشهر.[٢] ثم مرض مدة حتى مات في شهر رجب سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م[٣].

وفي السنة نفسها عزل الخليفة المقتدر بالله أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيب وذلك في شهر ذي القعدة،[٤] وكانت مدة وزارته سنة وشهرين.[٥]

أمَّا الوزير أبو القاسم عبيد الله بن مُحَمَّد الكلوذانى فقد عزله الخليفة المقتدر بالله، الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣١٩هـ/٩٢٨م، وكانت وزارته شهرين وثلاثة أيام.[٦]

وعزل الخليفة المقتدر بالله وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح أبو القاسم يوم السبت الرابع والعشرين من رجب سنة ٣١٩هـ/٩٣١م. فكانت وزارته سنة واحدة وشهرين وتسعة أيام هذا في وزارته الأولى،[٧] ثم عزل هذا الوزير عن وزارة الخليفة المتقي لله سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، وكانت مدة وزارته أربعة أشهر وثلاثة عشر يومًا.[٨]

وقد عزل الخليفة المقتدر بالله الوزير أبا علي مُحَمَّد بن علي بن مقلة، يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م،[٩] وكانت مدة وزارته سنتين.[١٠]

وعُزِل الوزير ابن مقلة عن وزارته الثانية في يوم الإثنين السادس عشر من جمادى الأولى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، حيث قرَّر أمير الأمراء المظفر بن ياقوت مع جنوده أنه إذا جاء ابن مقلة

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/٤٧٤).

(٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٢٤٦).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/٤٧٤).

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٢٤٩).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٣٦/٦١).

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢٩٩). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٧٦٢).

(٧) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ١٣٨).

(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٥/٢٢٤).

(٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٥/١١٧).

(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧/٢٢٢).

إلى دار الخلافة دون علمه قبضوا عليه، وكان لديهم معرفة تامة أن الخليفة لا يخالفهم في ذلك، وربما سرَّه هذا الأمر، فلما دخل الوزير في دار الخلافة قبض الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت وأرسلوا إلى الراضي يخبرونه بالوضع فعزله،[١] ومن هنا نرى أن عزل الوزير والقبض عليه صادر من أمير الأمر المظفر بن ياقوت، وإنما كان موقف الخليفة هو استحسان فعلهم،[٢] وكانت مدة وزارته ثلاث سنوات.[٣]

أمَّا الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب فقد عزله الخليفة المقتدر بالله في ربيع الآخر سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، وأمر الخليفة المقتدر بالله بالقبض عليه، وكانت وزارته سبعة أشهر[٤]، وأمره الخليفة بلزوم بيته.[٥] أما في وزارته الثانية فقد عزله الخليفة المقتدر بالله في ربيع الآخر سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، فكانت مدة وزارته أقل من سنة[٦]، وسلِّم كالعادة للوزير الجديد، ولقي في أثناء عزله معاملة حسنة؛ تقديرًا له[٧]، وبهذا فهو يختلف عن بعض الوزراء؛ لأنهم واجهوا معاملة سيئة عند العزل، كما أنه لم يكن في وزراء بني العباس أعرف منه في الوزارة؛ لأنه من بيت أهل وزارة، حتى إنه لقِّب بعميد الدولة بن ولي الدولة.[٨]

كما عزل الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات عن الوزارة سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، وكانت مدة وزارة أبي الفتح للخليفة المقتدر بالله خمسة أشهر وعشرين يومًا[٩]، وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة٣٢١هـ/٩٣٣م عزل الخليفة القاهر بالله وزيره أبا جعفر مُحَمَّد بن القاسم بن عبيد الله بن وهب، حيث أرسل القاهر أحد قواده فقبض عليه وعزله، وكانت وزارة أبي جعفر ثلاثة أشهر واثني عشر يومًا[١٠]، وكان هذا الوزير تولَّى منصب الوزارة وعُزِل عنها وتوفي في السنة نفسها[١١].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١١٧/٥).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤٦/٧).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٤٠٦/٦).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ٣٠٩)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٩/١٢).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧٦٢/٦).

(٦) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١٤٧/١).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧٦٧/٦).

(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٣/١٩).

(٩) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٧٤/١١).

(١٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧٨٧/٦).

(١١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٣١/٤).

وفي سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م قبض الخليفة الراضي بالله على وزيره أبي عبد الله البريدي وعزله، فكانت وزارته سنة وأربعة أشهر وأربعة عشر يومًا[١].

أمَّا الوزير أبو جعفر مُحَّد بن القاسم الكرخي فقد عزله الخليفة الراضي لله في الوزارة الأولى سنة ٣٢٤هـ /٩٣٦م[٢]، وكانت مدة وزارته ثلاثة أشهر ونصف. ثم في وزارته الثانية عزله الخليفة المتقي لله سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، وأمره الخليفة بلزوم بيته، وكانت وزارته ثلاثة وثلاثين يومًا[٣]. أمَّا في الوزارة الثالثة فقد عزله أمير الأمراء ابن رائق سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م عن وزارة الخليفة المتقي لله وصرفه إلى منزله، فكانت مدة وزارته اثنين وثلاثين يومًا[٤]، ويتضح لنا قصر مدة وزارته، وأنها صدرت من ثلاث شخصيات وليست بزمن واحد.

كما عزل أمير الأمراء كورتكين الوزير مُحَّد بن أحمد أبا إسحاق الإسكافي في وزارته الأولى في شهر ذي القعدة سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م بعد أن اتخذه الخليفة المتقي لله وزيرًا ثلاث وأربعين يومًا، أمَّا في وزارته الثانية لنفس الخليفة فقد عزله أمير الأمراء أبي عبد الله البريدي، وكانت مدة وزارته الثانية أربعين يومًا. أمَّا في وزارته الثالثة للخليفة نفسه فقد قبض عليه أمير الأمراء ناصر الدولة وعزله في رجب سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م وكانت وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يومًا[٥]، ثم قضى آخر حياته في الشام، وكتب لسيف الدولة بن حمدان، ثم قدم بغداد وتوفي بها في شهر محرم سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م[٦].

أمَّا الوزير أحمد بن مُحَّد بن ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان فقد عزله الخليفة المتقي بالله عن منصب الوزارة سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م، فكانت مدة وزارته ثلاثة وثلاثين يومًا[٧]، وقيل: شهر وثلاثة أيام[٨].

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٣٢١/١١).

(٢) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٨٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩٨/٧).

(٤) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٢١٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٢١/٧).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٣١/٢).

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩٨/٨).

(٨) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٢٨).

أمَّا الوزير أبو العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني فقد عزله الخليفة المتقي لله عن منصب الوزارة سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، حيث مكث في الوزارة حوالي واحد وخمسين يومًا، [١]، وقد ذكر الصولي أن قرار عزله عن الوزارة كان بأسلوب جميل ولم يتعرض للأذى، ويبدو ذلك أن الوزير له مكانة عند الخليفة المتقي لله بعد أن عزله عن الوزارة أقرَّه على ما كان في يده قبل أن يلي الوزارة من تدبير ضياعه وضياع والدته[٢].

كما أن الخليفة المستكفي بالله قبض على وزيره أبي الفرج السامري في شهر ربيع الثاني من سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م، وعزله عن منصب الوزارة، فكانت مدة وزارته اثنتين وأربعين يومًا[٣]، ومع تمتُّعه بصفات الوقار والحلم والتديُّن والأمانة إلَّا أنه تعرَّض للعزل وهي إحدى النكبات التي تعرَّض لها الوزراء وتوفي سنة ٣٧٠هـ/٩٨١م بالشام وله ٦٢ سنة[٤].

أمَّا الوزير النعمان مُحَمَّد بن علي بن عبد العزيز بن إبراهيم فقد عزله الخليفة القادر بالله سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م عن منصب الوزرة، وكانت مدة وزارته ستة أشهر، ثم عُزِل هذا الوزير عن وزارة الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م، وكانت مدة وزارته قصيرة لا تكاد تذكر[٥]، وتوفي سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٣م[٦].

وقد عزل الخليفة القائم بأمر الله وزيره أبا الفتح بن دارست عن منصب الوزارة سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م[٧]، فعاش بقية حياته في الأهواز وتوفي بها سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م[٨]، وكانت مدة وزارته سنتين[٩].

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٢٧). ابن طباطبا، الفخري، ص٢٧٨.

(٢) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٢٣٥.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٦/١١٠).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات (١٦/٣٠٩). الذهبي، تاريخ الإسلام، (٢٦/٣٣٣).

(٥) الحموي، معجم الأدباء، (٤/١٨٠٦).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٤/٩١).

(٧) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٨١.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/١٧٩).

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٢/١٠٦).

وفي يوم الثلاثاء ثامن ذي القعدة سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م عُزِل الوزير أبو نصر مُحَّد بن مُحَّد بن جهير فخر الدولة عن وزارة الخليفة القائم بأمر الله، حيث خرج توقيع الخليفة إلى الوزير فخر الدولة متضمنًا عزله بمحضر من قاضي القضاة الدامغاني، وقيل له: "انظر إلى أي جهة تحب أن تقصدها لنوجّهك لنوصلك إليها. فبكى في الجواب بكاءً شديدًا، وقلق قلقًا عظيمًا، واعتذر عن كل عمل قام به لا يناسب الخليفة وليس صالحًا له، وقال: "إذا رئي إبعادي فإلى حلة ابن مزيد"، فوافق الخليفة ثم أذن له في بيع غلاته والتصرف في ماله، وباع أصحابه ما لهم من الرحل والمتاع، واجتمع عنده أهل دار الخليفة، وكان قرار عزله أمرًا عظيمًا؛ نظرًا لمكانته عندهم[1]، وكانوا يحضرون عنده فيبكي ويبكون، وخرج غلمانه وأصحابه في يوم الخميس عاشر ذي القعدة، وقدم في وقت متأخر من ليلة الجمعة، وجاء مع أولاده حتى وقف عند شباك الخليفة وظن أن الخليفة في الشباك، فقبّل الأرض عدة دفعات وبكى بكاءً شديدًا، وطلب من أمير المؤمنين أن يرحم شيبته وأولاده في هذا الموقف الذي ذُلَّ فيه، وأن يراعي حرمته. فلما يئس نزل إلى دجلة معضدًا بين شخصين ألمًا وحزنًا وهو يبكي، والعامة تبكي لبكائه، وتدعو له فيرد عليهم ويودّعهم ونزل عند حلة دبيس[2].

ولقد اختار دبيس دون غيره؛ لأنه سيقيم عنده معززًا مكرمًا[3]، وكانت مدة وزارته سبع سنوات[4]، ثم تعرَّض الوزير فخر الدولة للعزل مرة ثانية في خلافة الخليفة المقتدي بأمر الله بعد أربع سنوات من تاريخ تنصيبه للوزارة سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م[5].

وكانت طريقة عزله في الوزارة الثانية مروعة وغير مناسبة؛ لمكانة الوزير فخر الدولة، حيث طلب سعد الدولة[6] من الخليفة المقتدي بالله أن يسلم الوزير إليه وإلا دخل وأخذه، وإن كلّمه فيه إنسان قتله، فطلب من سعد الدولة أن يأتي في الغد فبات جماعة قرب بيت الوزير وضربت الطبول، وشدت فيها خيل الأتراك، واجتمع الناس، فأحضر الوزير جماعة يحملون السلاح فباتوا

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١٦/١٠٧).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (١٦/١٠٧).

(٣) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/ ١٧٩).

(٥) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٥١.

(٦) سعد الدولة كوهرائين، شحنة بغداد. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/ ٢٢٨).

على باب الديوان، فحضر سعد الدولة مبكرًا وقبض على الوزير وعزله وذلك في صفر سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م[١].

وبعد أن كان الوزير فخر الدولة بيده جميع إصدار القرارات أصبح في ظل النكبة ينتظر قرار الاستقرار في بيته لينعم في الأمن، حيث إنه لما علم الوزير فخر الدولة ما عليه السلطان السلجوقي جلال الدولة ملك شاه[٢] والوزير نظام الملك من اتخاذ قرار عزله، ومن ثم رفع يده على ما كان عنده من المال والجنود وترك جميع أعماله الوزارية، عندها طلب الوزير الإذن في ملازمة داره إلى أن يراسل نظام الملك وسعد الدولة في محاولة إصلاح حاله معهما، وأن يخبرهما بأنه مستمر على الولاء والإخلاص والطاعة لهما، فأخذ سعد الدولة من الوزير السلجوقي نظام الملك الأذن له بذلك[٣].

ولقد عزل الوزير مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن جهير عميد الدولة في عهد الخليفة المقتدي بالله مرتين، فعزل في المرة الأولى يوم الجمعة ٢٥ من شهر صفر سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، فخرج عميد الدولة وأسرته من بغداد وساروا إلى الري واستقربها مدة،[٤] وعزل دون علمه وهو في ديوانه فقد أرسل له الخليفة خطابًا عليه توقيعه وجاء في الخطاب: "لكل أجل كتاب، انصرف من الديوان إلى دارك، وخل ما أنت منوط به من نظرك"، وعندما قرأ الوزير هذه الأوامر خرج هو وأولاده وأهله من دار الخلافة دون أن يستأذن من الخليفة، ثم ساروا إلى خراسان، ولذلك عاتبه الخليفة وكتب له خطابًا" بأن بني جهير لا طريق إلى إعادتهم واستخدامهم، والتمس أن يبعدوا من العساكر ولا يؤويهم أحد"، وكانت مدة وزارته أربع سنوات[٥].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١٦/ ١٩٩).

(٢) ملكشاه، جلال الدولة بن ألب أرسلان السلجوقي السلطان الكبير، جلال الدولة، أبو الفتح ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان مُحَمَّد بن جغريبك السلجوقي التركي. تملك بعد أبيه، ودبر دولته النظام الوزير بوصية من ألب أرسلان إليه في سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م، وكان حسن السيرة، لهجًا بالصيد واللهو، مغرى بالعمائر، وحفر الأنهار، وتشييد القناطر، والأسوار، وعمّر ببغداد جامعًا كبيرًا، وأبطل المكوس والخفارات في جميع بلاده، توفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٧/١٩).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٩٩/١٦).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٣٦/١٠).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٢٧/١٦).

أمَّا في وزارته الثانية فقد صدر قرار عزله من الخليفة المقتدي بأمر الله في شهر رمضان سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، فقد أرسل له الخليفة خطابًا يأمره بالخروج من الديوان، فخرج عميد الدولة ماشيًا على أحسن حال، وكان معه إخوته زعيم الرؤساء أبي القاسم وأبي البركات بن جهير الملقب بالكافي، ويتضح لنا من كيفية عزله مدى شجاعته لتحمل الموقف وحسن تدبيره، وكانت مدة وزارته تسع سنوات[١].

كما عزل الوزير مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم الملقب ظهير الدين أبو شجاع الروذراورى عن الوزارة بأمر من الخليقة المقتدي بأمر لله، وعندما أصدر قرار العزل يوم الخميس تاسع عشر من شهر صفر سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[٢] كان الوزير في ديوان الخلافة فانصرف وهو ينشد:

تَوَلَّاهَا وَلَيْسَ لَهُ عَدُوٌّ وَفَارَقَهَا وَلَيْسَ لَهُ صَدِيقُ

ولما عُزِل أبو شجاع من الوزارة خرج إلى الجامع ماشيًا، ومعه جماعة من العلماء والزُّهاد[٣]، فالتف الناس حوله يصافحونه، ويدعون له، فقال أعداء الوزير للخليفة: إنَّ أبا شجاع أراد بهذا التشنيع عليه، فصدر أمر الخليفة بأن يلزم أبو شجاع داره، ولا يخرج منها، فبنى أبو شجاع في داره مسجدًا يصلي فيه، ثم جاءت أوامر الوزير نظام الملك بإخراج أبي شجاع من بغداد إلى بلده روذراور، فسار إليها، وأقام بها مدة، ثم توجَّه منها إلى الحج[٤] ونزل المدينة، وزهد في حياته حتى مات بها ودفن بالبقيع سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م عن ٥١ سنة، وكانت مدة وزارته سبع سنوات[٥].

أمَّا الوزير سديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الأصفهاني فقد عزله الخليفة المستظهر بالله في رجب سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م، وكانت مدة وزارته عشرة أشهر[٦].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١٧/٥٤).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٩/٣٠).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٩/٥٦).

(٤) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٧٣.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٩/ ٢٨).

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٣١٥.

كما عزل وزير الخليفة المستظهر بالله هبة الله بن مُحَّد بن علي بن المطلب أبو المعالي الكرماني سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، وكانت وزارته سنتين ونصف[١]، حتى قال مستنكرًا:

عُزِلْتُ وَمَا خُنْتُ فِيمَا وُلِّيتُ وَغَيْرِي يَخُونُ وَلا يُعْزَلُ

فهذا يدل على أن الولاية والعزل في منصب الوزارة ليس في محله[٢].

أمَّا الوزير جلال الدين بن صدقة فقد أصدر الخليفة المسترشد بالله عزله عن الوزارة في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة يوم الجمعة بعد الصلاة سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م، وكانت مدة وزارته أربع سنوات[٣].

وفي سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م عزل الخليفة المسترشد بالله وزيره شرف الدين بن طراد الزينبي وقبض عليه، وكانت مدة وزارته خمس سنوات[٤]، بينما يذكر ابن العمراني أن الخليفة المسترشد بالله قبض على وزيره شرف الدين بن القاسم بن طراد الزينبي في رجب سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م فقط، ومعنى ذلك يكون مدة وزارته ست سنوات[٥].

ثم عزل وزير الخليفة المقتفي بالله شرف الدين الزينبي عن الوزارة سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م، وبقي شرف الدين الزينبي بعد عزلة ملازمًا داره حتى توفي سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م، وكانت مدة وزارته أربع سنوات[٦].

وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م عزل وزير الخليفة المستضيء بأمر الله عضد الدين أبا الفرج فخرج من بغداد، ولجأ إلى أحد شيوخه وجلس عند رباطه وجاوره، فأقام بها مدة، ثم عاد إلى بيته وكانت مدة وزارته سنة[٧].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٣٥/ ١٥٩).

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٠/٤٣٢).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٩/ ٢٣٣).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، (١٠/٢٧).

(٥) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١٧.

(٦)ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٣١٥ ،ابن الجوزي، المنتظم (١٠/ ٧٨)..

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/ ٣٩٩).

كما عزل الخليفة الناصر لدين الله وزيره سعيد بن علي بن أحمد بن الحسين معين الدين أبا المعالي الأنصاري البغدادي ابن حديدة عن الوزارة سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م، وكانت وزارته أقل من شهر(١).

وفي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م قبض الخليفة الناصر لدين الله على الوزير نصير الدين بن مهدي الرازي وعزله عن الوزارة دون أهانته، وكانت مدة وزارته سنتين وتوفي في ثامن جمادى الأولى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م.(٢)

أمَّا وزير الخليفة المستنصر بالله مؤيد الدين مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الكريم القمي فلم تتناسب كيفية عزله عن الوزارة مع مكانة الوزير العباسي، فقد كانت عنيفة، حيث اجتمع كلٌّ من أستاذ دار الخلافة شمس الدين أبي الأزهر أحمد بن مُحَّد بن الناقد، ومشرف دار التشريفات مؤيد الدين أبي طالب مُحَّد بن أحمد بن العلقمي في السابع عشر من شهر شوال سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م، وكلفا جماعة يحملون السيوف، ودخلوا دار الوزارة، وقبضوا على الوزير وعزلوه عن منصب الوزارة، وكانت مدة وزارته ثلاثًا وعشرين سنة.(٣)

ونخلص ممَّا سبق أن أغلب الوزراء العباسيين تعرضوا للعزل عن الوزارة وكانت مدة وزارتهم مختلفة، وقد شملت جميع الوزراء على اختلافهم، كما أن طريقة العزل عن الوزارة كانت عشوائية فقد تكون من الخليفة أو من غير الخليفة، وقد تكون بعلم الوزير وقد تكون فجأة، وقد تكون برفق حسب الخليفة، وقد يكون عزله بطريقة محزنة لا تتناسب مع مكانة الوزير وهيبته وقيمته أمام الناس، كما أن بعض الوزراء لم يتعرض للعزل فقط؛ بل أرغم على الخروج عن البلد، وبعضهم يجبر على ملازمة داره حتى يأتي أجله(٤).

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٤٠/ ٤١).

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٥٣٣/١٣).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦٥٨/١٢). ابن كثير، البداية النهاية، (١٣٢/١٧).

(٤)ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٣١٥،ابن الجوزي، المنتظم، (١٠/ ٧٨).

المبحث الثاني

المصـادرة

كانت المصادرة منذ بداية العصور الإسلامية الأولى بيد الخليفة يطال بها من تجاوز أموال الدولة، ليتم استرجاعها عن طريق السجن والمطالبة، فضلًا عن التعذيب في بعض الأحيان، ولكن الذي حصل فيما بعد أن أصبحت المصادرة أداة بيد المتنفِّذين في السلطة، حيث يقوم الخليفة أو الوزير الجديد أو أمير الأمراء أو القوّاد بمصادرة الأموال من الوزير القديم، فضلًا عن مصادرة أتباعه وحاشيته(١).

بدأت مصادرة الوزراء في العصر العباسي الثاني عندما قبض الخليفة المتوكل على الوزير مُحَمَّد بن عبد الملك بن الزيات سنة ٢٣٣هـ/٨٨٤م، فصادر جميع ضياعه وأملاكه وذخائره ودوابه وجواريه وغلمان وخدمه(٢)، و تذكر أن الخليفة لم يجد عند ابن الزيات من ضياعه وأملاكه وذخائره إلا ما قيمته مائة ألف دينار فندم على ذلك، وقال لابن أبي دؤاد: "أطمعتني في الباطل، وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضًا".(٣)

ويتضح لنا من هذا أنه مهما كانت مكانة الوزير لدى الخليفة العباسي تنتهي بمجرد الاستغناء عنه، والاستحواذ على أموال الوزير والحصول عليها دون مراعاة لسنوات خدمته السابقة، ولا يشفع شيء من ذلك، وإنما مصيره العقاب ثم الندم على ما فات دون الفائدة.(٤)

ولما عُزِل أحمد بن الخصيب عن وزارة المستعين بالله في سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م، صادر هذا الخليفة جميع أمواله وأملاكه حتى لم يبق معه شيء(٥)، كما صادر قوّاد للأتراك جميع أمواله ودواب الوزير عيسى بن فرخانشاه في رجب سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م في خلافة المعتز بالله(٦).

---

(١) رائد مُحَمَّد أحمد، الاستخراج في العصر العباسي ١٣٢-٣٣٤هـ/٧٤٩- ٩٤٥م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد (١٠)، العدد (٤)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٣/١٧/ ٢٠١١م، ص٥٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/١٥٩).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٤/٢٧).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧/١٨٦).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٤٧).

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٢٣٨).

كما صادر القائد التركي صالح بن وصيف في شهر رمضان سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م جميع أموال الوزير أبي جعفر أحمد بن إسرائيل وضياعه رافضًا وساطة الخليفة المعتز بالله وتوسلاته، وبعد تعذيبه بدأوا باستخراج ما كان أخفى عنهم من أمواله حتى اعترف بتسعة عشر ألف دينار فأخذت منه، كما أن الخليفة المعتمد على الله صادر جميع أموال وأملاك الوزير الحسن بن مخلد سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م.(١)

أمَّا الوزير سليمان بن وهب وزير الخليفة المعتمد على الله فقد صادره الموفق ونهب جميع دوره ودور أبنائه، ثم أمر بمصادرة ضياعهما وأموالهما سنة٢٦٤هـ/٨٧٨م.

وعندما عزل الموفق وزير أخيه الخليفة المعتمد صاعد بن مخلد أمر بمصادرة أمواله وأموال أولاده وأموال أقاربه بسامراء(٢)، ونهبوا منازل أسرة الوزير ومنازل أصحاب الوزير، وذلك في رجب سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م' وكان الذي صادره أبو الصقر بن بلبل، ويبدو أن هذه المصادرة برضا الخليفة المعتمد على الله حتى لقَّبه بالشكور(٣).

وفي وزارة صاعد بن مخلد الثانية صادر الموفق سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م جميع أمواله وضياعه وأملاكه بلطف ولين، حيث أخذ منه نحو ألفي ألف دينار، وخمسة آلاف رأس، كما أخذ منه جميع غلمانه وخدمه وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف خادم وغلام، وترك له بعض من ضياعه وعشرين ألف دينار، وأخذ له مخيمًا وكان سعره مائة وعشرين ألفي ألف دينار، مزيّن بالخز بثمانية عشر ألف ثوب، وأربعين رطل ذهب، كما أنه أخذ منه جواهر تساوي خمسين ألف دينار، وآنية بمائتي ألف درهم، وثلاثة آلاف ثوب حرير، وستة بسط خز، أكبرها بطول خمسة وأربعين ذراعًا في عرض ستة وعشرين ذراعًا، وأكثر من مائة ألف قطعة صيني، وهذه الأموال والأملاك جميعًا لا توجد إلا عند الملوك ووجدت عند هذا الوزير، وسلبت جميعها ولم يبق له شيء دون التعرض له بالأذية(٤).

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/٥٤٠).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/١٠).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٩/٦٠).

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٩٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/٣٢٧).

ثم صادر الخليفة المقتدر بالله وزيره ابن الفرات في وزارته الأولى في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م فصودر كل ما وجد له بداره وأهله، وتعرضت داره لأسوء وأقبح نهب، وأخذ كل شيء له، كما حقق مع الوزير السابق ابن الفرات الوزير الجديد مُحَمَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وطالبه بالأموال والذخائر، فجمعوها مع الودائع التي كانت عنده فكانت أكثر من سبعه آلاف ألف[١]، وقيل: إنه وجد لديه من الأموال ألف ألف دينار عينًا وستمائة ألف دينار غير الأثاث والرحل والجمال[٢]، حتى تعجَّب المؤرخ القرطبي من هذه الأموال حتى قال: "وما سمعنا بوزير جلس في الوزارة وهو يملك من العين والورق والضياع والأثاث ما يحيط بعشره آلاف ألف غير ابن الفرات"[٣].

وفي وزارة ابن الفرات الثانية صودرت جميع أملاكه سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، وأخذوا منه ومن أقربائه ألف ألف دينار، كما أخذ منه مائتي ألف دينار، وستمائة ألف دينار من أقربائه[٤]، وقد كان الذي حقَّق معه وقام بمصادرته الوزير حامد بن العباس[٥].

وفي وزارته الثالثة صودرت جميع أمواله في الثامن من ربيع الأول سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م على يد شفيع المقتدري[٦]، وقد بلغت قدرها ألف دينار، كما أنه أقر ابن الفرات بعد التعذيب بمائه وخمسين ألف دينار، وأخذ منه هارون بن غريب خال الخليفة المقتدر بالله ألفي ألف دينار، وبيعت جميع ضياعه، كما اسُتخرج سبعمائة ألف دينار من زوجة ابنه المحسن بن علي بن مُحَمَّد بن الفرات. كما تم مصادرة الوزير مُحَمَّد بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني سنة ٣٠١هـ/٩١٤م على مائتي ألف وخمسين ألف دينار، وكان الذي تولى مصادرته الوزير علي بن عيسى[٧].

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ٤٠).

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٨.

(٣) صلة تاريخ الطبري، (١/ ٤٠).

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٧٠/١).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٥٩/١٤).

(٦) شفيع بن عبد الله الخادم المقتدري، كان من الأعيان، ولّاه المقتدر الرحبة والبصرة وجميع ما كان يتولاه الحسين بن حمدان في رجب سنة ثلاث وثلاثمائة، وتوفي سنة ٣٣٢هـ. (الصفدي، الوافي بالوفيات ٩٩/١٦).

(٧) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٤٧).

ورغم مكانة وأمانة وزير الخليفة المقتدر بالله علي بن عيسى فلم تشفع له هذه المكانة، فصودرت أمواله على يد ابن الوزير المحسن بن علي بن مُحَّد بن الفرات سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، والتي بلغت سبعة آلاف دينار وكان هذا ثمن داره[١]، وثلاثمائة ألف دينار[٢]، ولم يكن الخليفة المقتدر بالله راضياً عن هذا التصرف؛ لأنه لا يستغني عن وزارته[٣]، حتى قال عنه أحد الباحثين: فلم يستغن عنه الخلفاء، فكانوا دائمًا يبحثون عنه ويقلدونه ما استعصى من معضلات الإدارة، وخاصة الاقتصادية[٤].

أمَّا الوزير حامد بن العباس فقد صودرت أمواله في ربيع الآخر سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، رغم أن الخليفة المقتدر شرَّط على ابن الفرات أن لا يمس الوزير حامد بن العباس بمكروه وأن لا يحقق معه وهذا تكريم له؛ لأن حامدًا خدم في منصب الوزارة مدة طويله ولم يأخذ من الخليفة المقتدر بالله إلا راتب سنة واحدة، إلاَّ أن الوزير علي بن الفرات لم ينفّذ شروط الخليفة المقتدر بالله، ولم يجعل له أي اعتبار؛ وحقق معه لاستخراج أمواله، إلا أن الوزير حامد نفى وجود المال، وأنه قد با ع ضياعه ومستغلاته وفرشه وداره ولم يبق له شيء[٥].

وفي نهاية الأمر استطاع الوزير ابن الفرات بالتدريج أن يرغم الوزير حامد بن العباس أن يعترف بكل أمواله التي قيمتها مائتا ألف دينار، وأُخذت منه وذلك في عاشر شهر رمضان سنة ٣١١هـ/٩٢٣م [٦]، كما اعترف على أربعين ألف دينار دفنها في دار خادمه[٧].

ثم اتَّبع الوزير ابن الفرات سياسة اللين مع الوزير حامد بن العباس، ووعده إن أخبر بالأموال فلا يتعرض له بمكروه عندها أقرَّ بدفائنه في بلاليع واسط، وقدرها خمسمائة ألف دينار

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٤٠).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٦٨٥).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ٩٩).

(٤) ضيف الله يحي الزهراني، الوزير العباسي علي بن عيسى بن داود بن الجراح، إصلاحاته الاقتصادية والإدارية، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العامية وإحياء التراث الإسلامي، مركز بحوث الدِّراسات الإسلامية، ط١، مكة المكرمة، ١١١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٨.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١٦٠).

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١٦٠).

(٧) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٢٢٥).

وثلاثمائة ألف، وكان قد وضعها عند أحد أصحابه ثم أقر بقماش له عند بعض أصحابه بثلاثمائة ألف دينار فعرف المقتدر ذلك، وقال له ابن الفرات: "قد أقر بذلك عفوًا من غير مكروه، ولم يبق غير ضياعه"[١].

وفي رواية أخرى أنه أقرَّ له من الدفائن في البلاليع، حفرها وتولَّى هو بنفسه دفن المال فيها بخمسمائة ألف دينار، وأقر بأن له عند جماعة من الوجوه والشهود نحو ثلاثمائة ألف دينار، وأقر بأن له كسوة وطيبًا أودعها بواسط[٢]، وبعد أن شدد عليه ابن الفرات دل حامد على أموال في بئر لمستراح له قيمتها أربعمائة ألف دينار، وكان يجمعها بطريقته الخاصة حيث كانَ يتقدم إلى وكيله أن يجيء بالدنانير، فكلما حصل له كيس أخذ ثيابه وقام كأنه يبول، فدخل ذلك المستراح، فألقى الكيس في البئر وخرج من غير أن يصب فيها ماء ولا يبول، فكان يوهم الفراش أنه فعل ذلك، فإذا أخرج قفل المستراح ولم يدخله غيره، وإذا أراد الدخول فتحه له الخادم ولا يعلم السر في ذلك، فلما كمل المال سد المستراح ولم يفتح.[٣]

وفي شهر رمضان سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م تسلم الوزير أبو العباس أحمد بن عبيد الله الخصيب الوزير أبا القاسم الخاقاني وقام بالتحقيق معه، وشدد في مصادرته حتى استخرج منه مائتي ألف وخمسين ألف دينار[٤]، وكان ذلك تنفيذًا لتوجيهات الخليفة المقتدر بالله.[٥]

وفي التاسع عشر من ذي القعدة سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م صادر الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصيب، حيث قام بالتحقيق معه الوزير الجديد علي بن عيسى الوزير، وصادره على أربعين ألف دينار[٦].

كما صادر الخليفة القاهر بالله الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات، وأرغمه على دفع عشرين ألف دينار، رغم أنه ليس لديه أموال فتكفل بدفعها عنه القائد مؤنس سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م [٧].

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٢٢٥).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١٦٠).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٣/٢٣٣).

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٤٧).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/١٤٢ – ١٤٥). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٣/٢١٣).

(٦) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٢٥٠).

(٧) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٢٦٩).

وهذه ليست سياسة عامة للدولة، وإنما كانت تصرفًا فرديًّا من قبل البعض لأجل تحقيق مصالحهم الخاصة وإشباع حبهم للسلطة والتسلط والأموال من دون مراعاة لقواعد العدل والإنصاف والأخلاق والدين، وأن هذه التصرفات التي تحرك روح الطمع والحقد والظلم هي انحراف وصورة من صور الطغيان التي لا يقرُّها الدين، وهذا خلاف ما حثنا عليه ديننا بينما تصرف القائد مؤنس مشجع لروح الأخوّة؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[١].

وفي شهر رجب سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م صادر الخليفة الراضي بالله الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح على سبعين ألفًا دفع منها ثلاثين ألف دينار، كما صادر هذا الخليفة الوزير علي بن عيسى على مائة ألف دينار دفع منها تسعين ألف دينار [٢].

كما صادر الخليفة الراضي بالله الوزير مُحَّد بن علي بن مقلة في يوم الإثنين التاسع والعشرين من جمادى الأول سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، وأخذ منه ألف ألف دينار، وتُرِك في داره بدون عمل حتى قيل: إنه "جلس بطالاً في داره"، وكانت هذه المصادرة على يد عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح. أمَّا في وزارة ابن مقلة الثانية فقد صادر أمير الأمراء أبو بكر مُحَّد بن رائق أملاك ابن مقلة من الأموال والضياع وأملاك ولده أبي الحسين، وكان ابن مقلة يحضر كل يوم إلى أمير الأمراء بن رائق ويطلب منه ترك أملاكه مما أدى إلى إذلال ابن مقلة له، فخاب أمله ولم يحصل إلا على المواعيد التي لم يتحقق منها شيء وذلك سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م.[٣]

أمَّا الوزير مُحَّد بن أحمد بن إبراهيم القراريطي وزير المتقي لله فقد صادره أمير الأمراء كورتكين في شهر ذي القعدة سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م وأخذ منه مائتين وأربعين ألف دينار وكان ذلك في وزارته الأولى، وكانت مدة وزارته ثلاثة وأربعين يومًا[٤]، كما أنه صادر القائد التركي توزون أموال وزير الخليفة المستكفي بالله أبي الفرج السامري سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م، فأخذ منه

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية:(١٠).

(٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٣٠٠/١١).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١١٧/٥).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩٧/٧). الصفدي، الوافي بالوفيات، (٣١/٢).

ثلاثمائة ألف درهم، وكانت مدة وزارته اثنين وأربعين يومًا[1]، وصادر الخليفة المستظهر بالله أموال الوزير عميد الدولة مُحَّد بن جهير سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[2].

وفي سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م وقيل ٥٢٧هـ/١١٣٣م أمر الخليفة المسترشد بالله بمصادرة الوزير شرف الدين بن طراد الزينبي على ثلاثين ألف دينار ونهب داره[3]، وفي سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م صادر الوزير الجديد نصير الدين بن مهدي جميع أموال وزير الخليفة الناصر لدين الله العباسي سعيد بن علي بن أحمد الأنصاري ابن حديدة.[4]

ونخلص ممَّا سبق إلى أنه لم يتم مصادرة الوزراء من الخلفاء الذين هم أصحاب الحل والعقد فقط؛ بل من جميع أصحاب السلطة في الدولة، سواء أكانوا قوّادًا أو أمراء أو وزراء، وأنشئ ديوان للمصادرة يسمى ديوان المرافق أودعت فيه الأموال المصادرة من الوزراء السابقين، ومن العمال المصروفين من الخدمة[5]، ثم أنشئ ديوان وسمي بديوان المصادرات بسبب زيادة الأموال المصادرة في عهد الخليفة المقتدر بالله.[6]

وكان ممن يتولى مصادرة الوزراء بطريقة اللين أو بالشدة، هم: الحسن المعلوف، وأبو قوصوة، وابن بندار، وابن بعد شر، وهؤلاء عُرِفوا في عهد الخليفة المقتدر بالله[7].

وممَّا سبق يمكننا كذلك القول أن الأموال المصادرة أصبحت موردًا من موارد دخل الدولة، يعتمد عليها الوزراء في نفقاتهم[8]، حيث كان الوزير الخصيب يعتمد اعتمادًا كليًّا على أموال المصادرين، كما أن المصادرة ابتعدت كثيرًا عما كان يُرَاد منها، حيث كانت جل غايتها في بداياتها الأولى تحصيل واسترجاع الأموال التي استولى عليها العمال والكُتَّاب الموكلون بأعمال

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٦/١١٠).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/٢١٠).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٠/٢٧).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٣/٩).

(٥) الصابئ، تحفة الأمراءفي تاريخ الوزراء، ص ٣٧.

. 153، the life and times of Aly Ipn Isa … P،Harold Bown

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢١).

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، (٧/ ٥١٦).

(٨) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/١٢٧).

الخلافة وإعادتها إلى بيت مال المسلمين، ولكن الذي حصل فيما بعد أن أصبحت المصادرة بالأموال المستحصلة واستخراجها تشكل مبررًا لتصفية الحسابات الشخصية بين المتنفّذين في الدولة والطامحين وراء السلطة والجاه، فضلاً عن جمع الأموال من الناس وبأي شكل من الأشكال لتلبية احتياجاتهم من المال، إمّا لدفع الرِشا للبقاء في مناصبهم، أو للعيش برفاهية وترف وبذخ، متجاهلين أوجاع عامة الناس ومعاناتهم التي تسبّبها تلك الإجراءات، بما يقدمون عليه من استخراج الأموال بغير وجه حق، ضاربين بعرض الحائط كل القيم والعدل التي جاء بها الدين الإسلامي، حتى يرغم بعض الوزراء على بيع بيته أو يرغم على دفع أموال ليست في حوزته.(١)

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٢٦٩).

المبحث الثالث

السجن

كان السجن صورة من صور النكبات التي تعرَّض لها الوزراء في العصر العباسي الثاني، فسُجِن وزير الخليفة المتوكل على الله مُحَمَّد بن عبد الملك بن الزيات في سامراء وقُيِّد بالحديد، وقد عارض الخليفة هذا التصرف المرعب في حقه، فكان هذا الوزير شديد الجزع في سجنه حتى امتنع عن الطعام، فلا يذوق شيئًا، كثير البكاء، قليل الكلام، ورغم ذلك كانوا يعاملونه معاملة قاسية في سجنه، فقد حرموه من النوم لمدة طويلة حتى إنه إذا تعب ونعس ضرب بعصا، فمكث أيامًا على هذا الوضع المرير في السجن دون أن ينام، ثم تُرِك يومًا وليلة نائمًا عندها، فاشتهى فاكهة وعنبًا، فوضعت له، فأكل منها ثم أُعِيد إلى سجنه وحرموه من النوم.

وأمَّا وزير الخليفة المعتز بالله أحمد بن إسرائيل الأنباري، فقد سجنه القائد التركي صالح بن وصيف في ٢٧ من رمضان سنة٢٥٢هـ/٨٦٦م في بغداد حتى توفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م، وقد لبث في السجن ثلاث سنوات.[1]

أمَّا الوزير سليمان بن وهب فقد خرج من بغداد إلى سامراء، وقيَّده وسجنه الخليفة المعتمد في سامراء سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م، وفي رواية أخرى تذكر أن الأمير الموفق ولي عهد الخليفة المعتمد على الله أمر بسجن الوزير سليمان بن وهب، وكان مكان سجنه في دار الموفق وذلك سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م[2]، ومات محبوسًا في صفر سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م[3].

وسُجِن الأمير الموفق الوزيرَ الحسن بن مخلد في وزارته الثالثة للخليفة المعتمد على الله وقد سجن في دار بجانب دار ابن طولون في مصر سنة ٢٦٩هـ/٨٨٣م، وقيل سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م.[4]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/٣٩٩).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/٥٤٤).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/١٢٩).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/٨).

أمَّا الوزير أبو العلاء صاعد بن مخلد فقد سجنه الموفق، سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م، وقد سجنه مكرمًا معززًا حيث كان يدخل إليه من يريد، ثم أصابه مرض في قلبه فمات متأثرًا به سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م.[(١)]

وسجن الخليفة المقتدر بالله الوزير عليَّ بن الفرات في وزارته الأولى وذلك في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م[(٢)]، وكان مكان سجنه في إحدى حجر دار الخليفة المقتدر بالله، وقد تميَّز سجنه بالتكريم له والإحسان؛ لأنه كان يعرض عليه مشاكل العمال وغير ذلك[(٣)].

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، أمر الخليفة المقتدر بالله بحضور الوزير علي أبي الحسن بن الفرات من واسط في وزارته الثانية، فحضر إلى بغداد فأودعه السجن[(٤)]، وفي وزارته الثالثة قبض عليه الخليفة المقتدر بالله وسلَّمه القائدُ مؤنس المظفر إلى شفيع اللؤلؤي وسجنه في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر[(٥)]، وقيل: في الثامن من ربيع الأول سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م.[(٦)]

وسجن الخليفة المقتدر بالله الوزير مُحَمَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وذلك بتوجيه من الوزير علي بن عيسى سنة ٣٠١هـ/٩١٤م.

وفي يوم الإثنين الثامن من ذي الحجة سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م سجن الخليفة المقتدر بالله وزيره علي بن عيسى، وكان مكان سجنه في دار الخلافة ولم يضيق على الوزير بسجنه وسمح لأهله بزيارته، وكانت مدة سجنه سنتين، وتم إطلاق سراحه من السجن سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م[(٧)]، كما سُجن الوزير علي بن عيسى مرة ثانية في ربيع الآخر سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، وقد سجنه ابن الوزير المحسن بن علي بن الفرات، وكان سجنه في إحدى حجر دار الخلافة.[(٨)]

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٩١.

(٢) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٤٠/١).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦١٤/٦).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦٥٧/٦).

(٥) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١٠٥/١).

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦٦٢/٦).

(٧) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٦٩/١).

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦٨٥/٦).

ويبدو أن دار الخلافة أصبحت مكانًا للسجن، وخاصة للوزراء الذين لهم مكانة خاصة عند الخليفة المقتدر بالله، حيث سجن بها الوزير ابن الفرات، ثم الوزير علي بن عيسى، وسجن الخليفة المقتدر بالله وزيره عبد الله بن مُحَّد الخاقاني في التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م، وكان سجنه في بيته، فكانت وزارته ثمانية عشر شهرًا، وفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م أصدر الخليفة المقتدر بالله قرارًا بسجن الوزير علي بن عيسى، في دار الخليفة للمرة الثالثة[١]. أمَّا الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب فقد سجنه الخليفة المقتدر بالله وكان مكان سجنه في الرقة سنة ٣١٩هـ/٩٣١م.[٢]

وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م صدر قرار من الخليفة المقتدر بالله بسجن الوزير مُحَّد بن علي بن مقلة في دار الخلافة[٣]، وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م سجن الخليفة القاهر بالله وزيره أبا جعفر مُحَّد بن القاسم بن وهب حيث أمر الخليفة بالقبض على هذا الوزير وهو مريض بالقولون، فمكث محبوسًا ثمانية عشر يومًا، ثم مات، فحُمِل إلى منزله ودُفِن، وكانت وزارته ثلاثة أشهر واثني عشر يومًا[٤]، وفي اليوم التاسع والعشرين وقيل: الرابع عشر من رمضان سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م سجن الخليفة الراضي بالله وزيره مُحَّد بن علي بن مقلة مرة ثانية في حجرة من حجر دار الخلافة، واستمر في السجن مدة طويلة.[٥]

كما سُجن الوزير أحمد بن مُحَّد بن ميمون بن هارون بن مخلد وزير الخليفة المتقي بالله سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م بالبصرة، فمكث في السجن بضعة أشهر حتى توفي يوم الأربعاء الثاني عشر من محرم سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م، وحمل في تابوت إلى بغداد ودفن بها، وكان عمره خمسين سنة[٦].

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١١٧/١).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٩/١٢).

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١٢٠/١).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧٨٧/٦).

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١١٧/٥).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٥٨٧/٧).

كما سجن الخليفة المتقي لله وزيره عليَّ بن مُحَّد بن مقلة بأمر من أمير الأمراء توزون وذلك سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م، وكان مكان سجنه في السندية قرب بغداد[١]. أمَّا الوزير هبة الله بن مُحَّد بن علي الكرماني فقد سجنه الخليفة المستظهر بالله سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، وكانت مدة سجنه أحد عشر شهرًا[٢]، وكانت مدة وزارته سنتين ونصف، ومات سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م[٣].

وأمَّا وزير الخليفة القائم بأمر الله أبي القاسم علي بن الحسين بن المسلمة فقد سجنه وقيَّده القائد أبو الحارث أرسلان البساسيري الشيعي ببغداد وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، وقد مكث في السجن مدة قصيرة[٤]. أمَّا الوزير عميد الدولة بن جهير فعندما أصدر الخليفة مرسومًا بالقبض عليه حاول الهرب مع زوجته إلى الحلة، وهيأ لنفسه صندوقًا من ضمن صناديق زوجته يدخل فيه؛ حتى لا يراه أحد، فلما قعد فيه أسرع بالخروج منه خوفًا من شماتة الناس فيه، وقال: "لا يتحدث الناس عني بمثل هذا" فقبض عليه الخليفة المستظهر بالله وسجنه في داره، وقد حاول عميد الدولة الخروج من السجن عن طريق الأصدقاء المخلصين أمثال أبي نصر الموصلايا وابن الحصين، وأخذ يشكو لهما حاله ويقول: "يا روحي ويا قرة عيني، وأنشدني في عرض حديثه:

إذا أراد الله خـــيرًا بامـــرئ ... وكـــان ذا رأي وعقـــل وبصـــر

أغـــراه بالجهـــل وأعمـــى قلبـــه ... وسـله مـــن رأيـــه سـل الشـــعر

حـــتى إذا أنفـــذ فيـــه حكمـــه ... رد إليـــــه عقلـــــه ليعتـــــبر

ثم قال: "نازلت الحصون وشهدت الوقائع والحروب فاستهنت خطبها، وقد قنطت من النجاة، وما أعرفها إلا منك، وأريد المقام في مكان آمن فيه بسفارتك، فقد غرقت بالمصيبة".

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٣٣٨).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (١٧/٧٦).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٣٥/ ١٥٩).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/ ١٥٦).

لكن لم يستطع الخروج؛ لأنه اكتشف أن هؤلاء أعداء له، ومكث في السجن حتى سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م.[١]

أمَّا الوزير سديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الأصبهاني فقد سجنه الخليفة المستظهر بالله في رجب سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م، وكان مدة سجنه أحد عشر شهرًا، ثم أطلق من السجن في جمادى الأولى من السنة نفسها[٢].

وسجن الخليفة المسترشد بالله وزيره جلال الدين أبا علي الحسن بن علي بن صدقة، بدار الخلافة سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[٣]، ثم أخرج من السجن وتوفي في رجب سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م، وكان عمره ٦٣سنة[٤]، وسجن الخليفة الناصر لدين الله وزيره منصور بن نصر بن العطار الحراني، ومكث في السجن مدة قصيرة حتى توفي في ذي القعدة سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، ومثَّل به الشيعة أبشع تمثيل لم يجرِ على أي وزير؛ لشدة عداوتهم له، والغريب أنه لم تُكرَّم جثة هذا الوزير لا من الخلافة ولا غيره، حيث إنه لما مات حمل إلى بيت أخته، فأخرج بعد الصبح، فمثل الشيعة بجثته بعد موته، فقد ضربوا التابوت بالأحجار، ثم رمي التابوت في النار، وكسروا الكفن، وأخذ القطن من التابوت، وأخرجوا جثته عريانة وشدوا في رجله حبل، وسحب إلى بالوعة الحمام، ورموه فيها إلى أن جاء جماعة من الأتراك فأخذوه منهم، ولفوه فوضعوه في قبر.[٥]

كما سُجن وزير الخليفة الناصر لدين الله جلال الدين، أبو المظفر عبيد الله البغدادي في همذان على يد أحد قوّاد السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، وكان مكان سجنه في توريز،[٦] ولم يخرج إلا في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م.[٧]

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٠/٧٤٦).

(٢)ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٣١٥. ابن الجوزي، المنتظم، (١٧/ ٧٦).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٢/ ٩٢).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٩/ ٥٥٣).

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٤٠/ ١٨٩).

(٦) توريز: بلدة في فارس. (الحموي، معجم البلدان ٢/ ٥٨).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٠/٦٢).

كذلك أمر الوزير نصير الدين بن مهدي بسجن الوزير السابق للخليفة الناصر لدين الله العباسي وهو سعيد بن علي بن أحمد الأنصاري ابن حديدة بعد أشهر من وزارته سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م، وكان مكان سجنه في دار الوزير.[١]

وفي السابع عشر من شهر شوال سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م سجن الخليفة المستنصر بالله وزيره مؤيد الدين مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الكريم القمي[٢]، وابنه وكان مكان سجنهما بدار الخلافة، فمات الابن أولًا ثم مات الأب بعده في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م[٣].

وبهذا يمكننا القول بأن دُور السجن لم تكن معروفة مثل وقتنا الحاضر؛ بل إنها تختلف، فقد يكون مكان سجن الوزير في دار الخليفة، كما سجن فيها الوزير ابن الفرات والوزير علي بن عيسى وغيرهم كثير، أو في دار الأمير حيث سجن فيها الوزير سليمان بن وهب الموفق، أو السجن في بيت الوالي مثل ابن طولون، وقد يكون سجن الوزراء في بيوت النساء حيث سجن الوزير علي بن عيسى عند القهرمانة زيدان، أو أن يسجن الوزير ولا يذكر مكان سجنه، وقد يسجن الوزير في داره، أو أن يسجن الوزير في دار الوزير السابق، كما اختلفت مدة السجن، من وزير إلى وزير آخر وقد يسجن الوزير بقرار من الخليفة أو بقرار يصدر من الوزير الجديد أو بقرار يصدر من القوّاد، وبذلك اختلفت جهات صدور القرارات في الخلافة، وهذا دلالة على تعدد مراكز صنع القرار داخل الخلافة العباسية [٤].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٩/١٣).

(٢) ابن كثير، البداية النهاية، (١٣٢/١٧).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/ ١٢٩).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٩/١٣).

المبحث الرابع

التعذيب

تعددت صور نكبات الوزراء في العصر العباسي الثاني وتنوّعت أشكالها، ومن أبرز مظاهر هذه الصور التعذيب، فقد كانت نهاية الوزير مُحَّد بن عبد الملك بن الزيات محزنة ولا تتناسب مع مكانته والخدمات التي قدَّمها للدولة أو الفترة الطويلة التي قضاها في الوزارة، ففي السابع من صفر سنة ٢٣٣هـ /٨٤٤م أمر الخليفة المتوكل على الله بوضع الوزير ابن الزيات بتنور(١) من خشب فيه مسامير حديد، وقفل عليه باب التنور. ثم يُخرج الوزير من التنور فيمد يديه ويتضرع بالدعاء إلى الله فيدق الذي يعذّبه على كتفيه، ثم يُدخل ابن الزيات في التنور فيجلس على المسامير الحارة، وإذا أراد أن يستريح يجلس على الخشبة التي تقيه من المسامير، فإذا مكث ساعة جاء الموكل به، فإذا سمع الوزير صوت الباب يفتح قام قائمًا كما كان، ثم زادوا عليه العذاب. ومن شدة العذاب فلا يقدر الوزير على القعود على المسامير التي في التنور، ثم بعد ذلك تُسَل الخشبة التي تكون بين رجليه والتي تقيه من العذاب، ويوضع جسمه على الحديد مباشرة، فما مكث بعد ذلك إلا أيامًا حتى مات(٢)، وكان الذي يشرف على تعذيبه الدنداني.(٣)

وهناك رواية أخرى لتعذيبه حيث قيل:" إن ابن الزيات كان يبطح على الأرض، فيضرب على بطنه خمسين سوطًا، ثم يُقلَب فيضرب على ظهره مثلها، ثم نتفت لحيته ووضع قيد في عنقه، فمات وهو يضرب، والمعذبون له لا يعلمون". وفي رواية -أيضًا- عذب ابن الزيات في تنور فيه مسامير حديد أوقدت فيه النار، ثم يضرب بالسوط(٤)، فطلب ابن الزيات من الخليفة المتوكل على الله أن يرحمه فقال: يا أمير المؤمنين، ارحمني. فقال: "الرحمة خور في الطبيعة". ويبدو أن المتوكل بهذه العبارة يسخر منه، فكان ابن الزيات يعذِّب الناس بالتنور فيطلب منه الرحمة فيقول: الرحمة خور، عندها يئس ابن الزيات ووضحت له الصورة بأنه كما تدين تدان، فطلب قلمًا وقرطاسًا فأخذ ذلك وكتب:

---

(١) التنور: نوع من الكوانين، الذي يخبز فيه. (الزَّبيدي، تاج العروس،٢٩٤/١٠).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٩٥/٩).

(٣) قريش الدنداني، كانت مهمته التعذيب والقتل أيام الخلافة العباسية. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٨٧/٨).

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (٢٠٩/٣). الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/١٠).

هـي السـبيل فمـن يـوم إلى يـوم **كأنـه مـا تريـك العـين في النـوم**

لا تجـز عـن رويـدا إنهـا دول **دنيـا تنقـل مـن قـوم إلى قـوم**

ثم أرسلها إلى المتوكل فلم يطلع عليها إلا في الغد، فلما قرأها أمر بإخراجه، فجاؤوا إليه فوجدوه ميتًا سنة ٢٣٣هـ/٨٤٨م، وكانت إقامته في التنور أربعين يومًا، ووجدوه قد كتب بالفحم على جانب التنور:

مـــن لــــه عهـــد بنـــوم **يرشـــــد الصــــب إليـــــه**

رحــــــم الله رحيمًـــــا **دل عيــــــني عليــــــه**

ســـهرت عيـــني ونامـــت **عـــين مـــن هنـــت لديـــه**

وقال في التنور:

سـل ديار الحـي مـن غيرهـا **ومحاهـــا وعفـــا منظرهـــا**

وهــل الــدنيا إذا مــا أقبلــت **صــيرت معروفهـــا منكرهـــا**

إنمـــا الــدنيا كظـــل زائـــل **نحمـــد الله كـــذا قدرهـــا**[1]

ودفن ولم يعمق قبره، فنبشته الكلاب وأكلته.[2]

وكان لقادة الجند الأتراك دور مؤثر في النهاية المأسوية لهذا الوزير القدير، فقد أشار الطبري إلى اشتراك بعض قادة الأتراك وجندهم في التنفيذ السريع لقرار التعذيب الجسدي للوزير ابن الزيات ونهايته، وهذا غيض من فيض لفنون التعذيب والقتل التي تعرض لها وزراء هذه المرحلة في العصر العباسي.[3]

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٨٦/٧).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٠٢/٥).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/١٠).

كما عذَّب الأتراك الوزير أحمد بن الخصيب فقد رُبِطوه في سلسلة وأركبوه حمارًا في يوم شديد الحر حتى وصل إلى منفاه[1]، وذلك في سنة ٢٤٨هـ/٨٦٣م أيام خلافة المستعين بالله.[2]

كما أقدم قوّاد الأتراك على تعذيب وزير الخليفة المعتز بالله عيسى بن فرخان شاه في شهر رجب سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م.[3]

كما عُذب الوزير أحمد بن إسرائيل الأنباري، في بداية خلافة المعتز بالله في السابع والعشرين من رمضان سنة٢٥٢هـ/٨٦٦م بشكل مرعب، تقشعر منه الأبدان وتشمئز منه النفوس؛ لبشاعة وقسوة التعذيب التي تمت بشكل عشوائي، على يد القائد التركي صالح بن وصيف حيث قيَّده ثم تناوله بالضرب مع تقريب جسمه لقطع الفحم وهي في شدة الحرارة، واستمر عليه العذاب حتى لا يرتاح، وكان وصيف بن صالح يعذبه ويذله ويصفه بالخيانة، وبأنه شق عصا الطاعة على الخليفة، وأنه حريص على دوام الفتن للمسلمين، ثم يضربه بالسياط ثم يضعه في الشمس[4]، واعتمد صالح بن وصيف في ضرب الوزير أحمد بن إسرائيل على مجموعة من الجلادين، ومنهم حماد بن مُحَّد بن حماد بن دنقش، وكان صالح بن وصيف يأمر الجلاد بضرب أحمد بن إسرائيل بقوة ويقول له: "أوجع"، وكان كل جلاد يضربه سوطين، وينتحي ويأتي جلاد آخر حتى ضربوه خمسمائة سوط، وزادوا في ضربه حتى تمزق جسمه، ولم يفتهم جزء من جسم الوزير إلاَّ وعُذِّب، وكان مكان تعذيب أحمد بن إسرائيل الأنباري أمام الناس، وكان يستغيث بهم ورغم ذلك لم يقدِّموا له أي مساعدة، ثم حمل على بغل على بطنه، منكَّس الرأس، وظهره للناس حتى مات أحمد بن إسرائيل، فدفن بين الحائطين في خلافة المهتدي، وكان هذا الخليفة غير راض عن هذا الإجرام، وكان هذا العمل خارجًا عن إرادته، ولم يملك من الأمر شيئًا سوى التعليق على فعل صالح بن وصيف، فذكر أن المهتدي لما بلغه ما فعله بالوزير قال: أمَّا عقوبة إلا السوط أو القتل! أما يقوم مقام هذا شيء؟! أما يكفي؟! إنا لله وإنا إليه راجعون، يقول ذلك ويسترجع مرارًا وذلك سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م [5]. ويدل هذا الفعل على ضعف الخليفة، وأن أمور الخلافة ليست بيده، وأن كل قائد ينتقم لنفسه دون مراعاة حدود الله.

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦/٢٣١).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٤٧).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٢٣٨).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/٣٩٩).

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٣٩٩).

وفي سنة ٢٦٩هـ/٨٨٣م أمر والي مصر أحمد بن طولون بتعذيب الوزير العباسي الحسن بن مخلد عند نائبه بأنطاكية سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م، ومكث عنده حتى مات تحت العذاب مكبلاً بالحديد، وكانت مدة وزارته الثالثة خمسة أعوام.(١)

كما تعرض الوزير أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني وزير الخليفة المعتضد سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م لأبشع وأقسى وأشنع أنواع التعذيب البشري على الإطلاق، حيث" قُيِّد وألبس عباءة غمست في دبس ومرقة كوارع، وأجلس في مكان حار فمات"(٢). وقد ذكرت رواية أخرى لقتله فقيل: "إن المعتضد أمر بابن بلبل، فاتخذ له تغارًا (٣) كبيرًا، وملئ إسفيذاجًا(٤) وبله، ثم جعل رأسه فيه إلى عنقه، ومسك عليه حتى خمد، فلم تزل روحه يخرج بالضراط من أسفله حتى مات" سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م.(٥) وفي رواية أخرى قيل: "إنه كبَّله بالحديد وألبسه جبة صوف مغموسة بدبس وماء الكوارع وتركه في الشمس إلى أن مات"،(٦) وكانت وزارته الثالثة خمس سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يومًا.(٧)

ونلاحظ من اتفاق تلك الراويات على شدة العذاب الذي تعرض له الوزير، وهذا دليل على مدى التهاون بالنفس البشرية التي حفظها الله وكرَّمها وعظَّمها على سائر المخلوقات، وأن قتل النفس حرام؛ لقول الرسول ﷺ عندما خطب بالناس في حجة الوداع: "أَلاَ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ".(٨)

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٨/١٣).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠٢/١٣).

(٣) المطمئن من الأرض أو كالكهف بالجبل (الرازي، زين الدين أبو عبد الله مُحَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م). مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَّد، ط٥، الدار النموذجية، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م).

(٤) الإسفيذاج: كربونات الرصاص، وهو مادة بيضاء تستخدم في أعمال الطلاء (المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١٧/١).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠٢/١٣).

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٩٠.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٤٣٧). الصفدي، الوافي بالوفيات، (٥٩/٩).

(٨) البخاري، صحيح البخاري، (١٧٦/٥).

وفي يوم الخميس بعد العصر السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، أمر حامد بن العباس بتعذيب الوزير علي بن الفرات وابنه المحسن ومن ظفر به من أهله وحاشيته في عهد الخليفة المقتدر بالله، واستخدم أسلوب الضرب الذي يعتبر كأحد أساليب التعذيب الوحشية غير الإنسانية، وأسرف في ضربهم وصفعهم وشتمهم، حتى تلفت أجسامهم. وبهذا يعتبر حامد بن العباس أنه قد سنَّ سنة جديدة في التعرض إلى أولاد الوزراء وذويهم بالتعذيب.[١]

ثم انعكس الحال وأخذ ابن الوزير المحسن بن علي بن الفرات بثأره من الوزير حامد بن العباس يوم الخميس التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ٣١١هـ/٩٣٢م، فأذاقه أنواع العذاب، التي لا يقبلها دين ولا عقل، فكان يصفعه ويضربه حتى صفعه خمسين صفعة، كما أنه ألبسه جلد قرد له ذنب، وأخذ يرقصه[٢]، وأرسل إلى واسط وسُلِّم إلى البزوفري.[٣]

أمَّا الوزير علي بن عيسى فقد لاقى أنواع العذاب من ابن الوزير المحسن بن علي بن الفرات، فقيده وأهانه وشتمه، وهذا العمل الذي قام به المحسن ضد الوزير الكفء علي بن عيسى لا يقوم به إلاَّ من لا يعرف مكانته، بينما من يعرف هذا الوزير فإنه لا يرضى بهذا العمل ولا يستحسنه، ومما يشير إلى ذلك أنه قد حضر نازوك صاحب شرطة بغداد تعذيب المحسن بن الفرات للوزير علي بن عيسى، فقام نازوك وتركه، وعاتب المحسن على فعله بالوزير، واستنكر ذلك الفعل استنكارًا شديدًا لمكانة الوزير لديهم، حتى إنهم كانوا يقبِّلون يد الوزير سنوات كثيرة، فما طاب لنازوك أن يراه على هذه الحال، ودخل على الخليفة المقتدر فأخبره فأنكر فعله، فبعث ابن الفرات إلى ابنه يشتمه ويسبُّه، وبعث إلى علي بن عيسى بمال وحمله مكرمًا إلى داره، فطلب الوزير علي بن عيسى من الخليفة المقتدر بالله أن يأذن له بالخروج إلى مكة فأذن له، فخرج إليها تاركًا الوزارة وبغداد؛ لأنهم لا يستحقون أمثاله وكان له أثر على القوّاد والناس حتى إن القائد مؤنس أنكر هذا الفعل بالوزير علي بن عيسى وحامد بن العباس، وعاب على المقتدر بالله سكوته عن هذا التصرف.[٤]

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/٧٠).

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧/٢٠٥).

(٣) أبو العلاء مُحمَّد بن علي البزوفري، أحد الشخصيات التي يعتمد عليه ابن الفرات في كثير من الأعمال، وخاصة مصادرات الوزراء وتعذيبهم بشدة. (القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ٩٨/١).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧/ ٢٠٥).

والواقع أن الوزير مُحَّد بن علي بن مقلة كان ضحية دسائس ومؤامرات، فقد قبض عليه المظفر بن ياقوت في خلافة الراضي بالله وذلك في يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، وسلمه إلى الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح فضربه بالمقارع وعذَّبه وعاقبه معاقبة شديدة.[١]

وفي اليوم الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م عُذِّب الوزير مُحَّد بن علي بن مقلة وهو في سجن الخليفة الراضي بالله، حيث قطعت يده اليمنى بناء على طلب القائد مُحَّد بن رائق، وكان يتألم لقطع يده من شدة الوجع، ومن شدة الحزن على يده، وكان ينوح على يده ويبكي ويقول: خدمت بها الخلفاء، وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص! ثم ندم الراضي على ذلك وأمر الأطباء بملازمته وعلاجه حتى تخفّ عليه آلامه، وبعد مدة من الزمن واجه ابن مقلة مصيبة أخرى أشد من الأولى وهي قطع لسانه.[٢]

وكان المشرف على تعذيب الوزير ابن مقلة أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب، وقد اعتمد على الدستوائي في تنفيذ طريقة التعذيب، فكان يلقى عريانًا من الملابس على حصير، فيضرب بالمقارع، وكان يداس على صدره حتى أصيب بضيق التنفس، ومن شدة التعذيب لا يستطيع أن يقف على رجليه، حتى أصبح جسمه من رأسه إلى أطراف أصابعه كلون الباذنجان أسود، فعندما رآه الطبيب أشار عليهم بالفصد، فرفض ابن الخصيب وقال: "يحتاج إلى زيادة في التعذيب، فقال الطبيب: إن لم يفصد مات، وإن فصد ولحقه مكروه تلف"، ففصد،[٣] وبقي ابن مقلة عرضة للمحن والفتن إلى أن توفي يوم الأحد العاشر من شوال سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م، ودفن في مكانه، ثم نبش بعد زمان وسلم إلى أهله.[٤]

وبذلك خسر فن الخط بموته علمًا من أعلامه، ومبدعًا من مبدعي الخط العربي الذي يُنسَب إليه، فقد وضع مقاييس الخط ومعاييره التي يضبط فيها وإن زاد عنها أو قصر.[٥]

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٣٠٠/١١).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١١٧/٥).

(٣) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٣٠٠/١١).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١١٧/٥).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٧٤/١١).

ولقي الوزير أبو الطاهر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن بقية في عهد عز الدولة بختيار البويهي أشد أنواع العذاب وذلك في سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، فقد عُمِد إلى سمل عينيه[١].

وفي يوم الإثنين الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م عذَّب قائد الجيش التركي أبو الحارث البساسيري الشيعي الوزير العباسي أبا القاسم علي بن الحسين بن المسلمة[٢]، وذلك لما استولى البساسيري على بغداد، إذ وقعت عينه على الوزير السني ابن المسلمة، وبدأ يستهزئ به ويوبخه ويذُمه، حيث قال له:"مرحبًا بمدمِّر الدولة ومهلك الأمم ومخرِّب البلاد ومبيد العباد، تعال يا بن الكافرة". فرد عليه الوزير ابن المسلمة: "افعل ما شئت بي". ثم أخذ البساسيري يعاتبه بشدة على أفعاله به وبأسرته وبأمواله التي صادرها الوزير وتوعَّده بأنه يعفو عنه وهو صاحب السيف! وأمر به فسوّد وجهه وأركب حمارًا ومعه على الحمار نفاط يصفعه بقطعة جراب، وداروا به في الأسواق، والدبادب والبوقات تضرب بين يديه، ثم أمر فعلِّق كُلاب[٣] في حلقه، وصلب على شاطئ دجلة، وذلك بعد أن ألبسه جلد ثور وترك قرونه على رأسه، فبقي يتحرك ويضطرب إلى آخر النهار، ومات بعد صلاة العصر من يوم الإثنين.[٤]

أمَّا في رواية ابن الأثير[٥] "فأخرج القائد البساسيري الوزير رئيس الرؤساء من محبسه في معسكره آخر ذي الحجة، مقيدًا وعليه جبة صوف، وطرطور من لبد أحمر، وفي رقبته مخنقة جلد بعير"، وهو يقرأ: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن ٱلْكِتَٰبِ** ﴾[٦] ولما اجتازوا بالوزير من أهل الكرخ بصق في وجهه؛ لأنه كان يتعصب عليهم، وأعيد الوزير إلى معسكر البساسيري، وقد وضعت له خشبة، وأنزل عن الجمل، وألبس جلد ثور، وجعلت قرونه على رأسه، وجعل في فكيه كلابين من حديد، وصلب، فبقي يضطرب إلى آخر النهار، مات سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٤٨٠).

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٤.

(٣) كُلاب: حديدة معوجة الرأس، ذات شعب، يعلق بها اللحم. (الزبيدي، تاج العروس، ٤/ ١٦٩).

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٤.

(٥) الكامل في التاريخ، (٨/ ١٥٦).

(٦) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: (٢٦).

إن فتنة البساسيري تعطينا درسًا بليغًا في أهمية الاعتناء بالقادة العسكريين والوزراء السياسيين وأهل الفكر والرأي العام، وتربيتهم على هدي القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وفقه الخلافة الراشدة؛ حتى لا يقعوا ضحايا للدعوات المنحرفة، والمناهج الضالة والعقائد الفاسدة.

كذلك عُذِّب الوزير سعيد بن علي بن أحمد بن الحسين البغدادي ابن حديدة وزير الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م على يد الوزير الجديد نصير الدين ابن مهدي، ولم يتحمل الوزير ابن حديدة شدة التعذيب، فهرب من السجن حيث أعطى للحراس المسؤولين عنه مالًا، فحلق رأسه ولحيته وخرج في زي النساء، حتى وصل إلى مراغة، فبقي بها إلى أن عزل نصير الدين بن مهدي، فعاد إلى بغداد، واستقرَّ بها،[١] ومات الوزير ابن حديدة في سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م.[٢]

أمَّا الوزير الرافضي مُحَمَّد بن أحمد بن العلقمي فلم يكن بعيدًا ولا سالمًا عمَّا وقع للمسلمين على يد التتار وجندهم من الظلم والفساد وسفك الدماء وهتك الأعراض، ففي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وضِع عليه وصاية تترية، كذلك عومل بأنواع الهوان من أراذل التتار، حكي أنه كان في الديوان جالسًا فدخل أحد التتار ممن لا وجاهة له راكبًا فرسه، فساق إلى أن وقف بفرسه على بساط الوزير، وخاطبه بما أراد، وبال الفرس على البساط، وأصاب الرشاش ثياب الوزير، وهو صابر لهذا الهوان، ويظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده[٣]، فذاق الهوان، وبقي يركب كديشًا وحده، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب الخليفة العباسي؛ فمات غبنًا وغمًا، [٤].

وهكذا من باع دينه ووطنه ونفسه، فإنه يصبح بلا ثمن حتى عند الأعداء، فالعميل عند الأعداء ليس له أي قيمة، ويكون عبرة بعد ذلك لكل خائن ونقل الصفدي ندم ابن العلقمي حيث لا ينفعه الندم – وكان كثيرًا ما يقول:" وجرى القضاء بعكس ما أمّلته"[٥]، وهنا يرد أحد الباحثين[٦] على ابن العلقمي بقول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.[٧]

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٩/١٣).

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣٢٤.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/١٥١).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٣/٣٦٢).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/١٥١).

(٦) سلمان العودة، كيف دخل التتر بلاد المسلمين؟ الأدوار الخفية في سقوط الخلافة العباسية، ط١، دار طيبة- الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٦٤.

(٧) القرآن الكريم،سورة فاطر، الآية:(٣٤).

وبهذا لم يتحقق سعيه المنشود في نصرة الشيعة حيث يقول ابن الوردي: "أراد ابن العلقمي نصرة الشيعة فنصر عليهم، وحاول الدفع عنهم فدفع إليهم، وسعى ولكن في فسادهم، وعاضد ولكن على سبي حريمهم وأولادهم، وجاء بجيوش سلبت عنهم النعمة ونكبت الإمام والأمة، وسفكت دماء الشيعة والسنة وخلَّدت عليه العار واللعنة"(١).

ونستنتج ممَّا سبق أن وزراء العصر العباسي الثاني تعرضوا لعدة أساليب تنوعت مابين التعذيب، والبطش، والضرب، والجوع، والخوف، والأمراض، وقطع الأطراف، وقطع اللسان، وسمل العيون، واستخدامهم لطريقة جديدة لم نسمع بها حتى في وقتنا الحاضر وهي أخذ جلود الحيوانات وإلباسها الوزراء، ومن ثم استخدامهم الألفاظ القبيحة، مثل: السب، والشتم، واستخدام مواد الطهي في التعذيب، كالمرق بغمس رأس الوزير فيه حتى القتل، والموت بطريقة وحشية ودموية.(٢)

وهذا مخالف للدين الإسلامي، فديننا يحث على حقوق الإنسان، ونبذ الظلم والتعسف والطغيان، والحقد والكراهية، ليحل محلها الحب والمودة، والصداقة والإخاء، والسلام والعدالة، والعيش المشترك، واحترام حقوق الإنسان، بصرف النظر عن اللون، والجنس، ليعيش الإنسان بكرامة، وكبرياء، وسلام، وحياة مشتركة حرة كريمة تليق به كإنسان، حيث قال رسول الله ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ"(٣).

---

(١) تاريخ ابن الوردي، (١٩٠/٢).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠٢/١٣).

(٣) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)،مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق، شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون،ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م، (٤٧٤/٣٨).

المبحث الخامس

النفي[١]

يعد النفي من صور النكبات التي تعرَّض لها وزراء العصر العباسي الثاني، وقد نفي مجموعة من الوزراء عن عاصمة الخلافة العباسية، فقد نفى الخلية المنتصربالله وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان، من سامراء إلى برقة سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م.[٢]

وغضب قوّاد الأتراك على الوزير أحمد بن الخصيب في خلافة المستعين بالله، فنفي من سامراء إلى جزيرة إقريطش في البحر المتوسط سنة ٢٤٨هـ/٨٦٣م[٣]، وفي سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م نفى الخليفة المعتز بالله الوزير جعفر بن مُحَمَّد أبا الفضل الإسكافي إلى تكريت، وفي خلافة المهتدي نفي هذا الوزير إلى بغداد سنة ٢٥٥هـ، وعاش بقية حياته بها حتى توفي سنة ٢٦٨هـ /٨٨٢م.[٤]

ونفى الخليفة المعتمد على الله الوزير أبا الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني من سامراء إلى بغداد في شهر رمضان سنة ٢٦٦هـ/٨٨٠م.[٥]

كما نفى الوزير علي بن عيسى الجراح من بغداد إلى مكة، وكتب إلى أمير مكة ليرسله إلى صنعاء بأمر من المحسن ابن الوزير علي بن مُحَمَّد بن الفرات سنة ٣١١هـ/٩٢٣م وزير المقتدر بالله.[٦]

وكذلك نفى الخليفة المقتدر بالله وزيره مُحَمَّد بن علي بن مقلة من بغداد إلى بلاد فارس في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م، وأقام بها مدة حتى خلافة القاهر بالله سنة ٣٢١هـ/٩٢٤م[٧]، وعندما تولى الخلافة الراضي بالله قبض الوزير مُحَمَّد بن علي بن مقلة على

---

(١) النفي: الخروج عن البلد الذي وقعت الخيانة فيه. (الزَّبيدي، تاج العروس، ٤٧٦/٣).

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦/ ٣٧٦).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٧/١٢).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٣٠٧/٦).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٥٩/٩)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤٣٧/٦).

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٦٨٥).

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١١٧/٥).

الوزير أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب وأرسله إلى البصرة سنة ٣٢١هـ/٩٢٤م، ثم نفي ابن الخصيب إلى سرنديب[١]، وبعد مدة عاد من المنفى إلى بغداد سنة ٣٢٢هـ/٣٢٢م.[٢]

أمَّا الوزير أحمد بن مُحَمَّد بن ميمون فقد نفاه الخليفة المتقي بالله إلى البصرة سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، فمات بها سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م[٣].

ونخلص ممَّا سبق إلى أن النفي صورة من صور النكبات في العصر العباسي الثاني، ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية، يرمي إلى صبغ حياة الوزير المنفي بالانقطاع عن بلاده ووطنه؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيته السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية، وليس بجميل أن يُنفَى الوزير داخل الخلافة العباسية أو في المدن المجاورة لها، فكيف بالوزير الذي ينفي إلى مكان غريب.[٤]

(١) سرنديب: هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند. (الحموي، معجم البلدان، ٢١٦/٣).

(٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٨٨/١١).

(٣) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٢٨/١١).

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٨٨/١١).

المبحث السادس

الهروب والاختفاء

ومن صور النكبات التي تعرَّض لها وزراء العصر العباسي الثاني الهروب والاختفاء من أصحاب المناصب العليا، فتركوا بيوتهم وأهلهم وأموالهم لينعموا بالأمن، وذلك ما حدث مع أبي صالح عبد الله بن مُحَمَّد بن يزداد، وزير الخليفة المستعين الذي غضب عليه بعض القوّاد والموالي وخاصة القائد بغا، فهددوه بالقتل[(١)]، ممَّا اضطره إلى ترك العاصمة سامراء[(٢)]، وأرغموه على الهرب إلى بغداد سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م.[(٣)] وكانت وزارته أربعة أشهر وأيامًا.[(٤)]

ثم هرب وزير الخليفة المعتمد على الله الحسن بن مخلد في السابع والعشرين من ذي القعدة، من سامراء إلى بغداد سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م في وزارته الأولى. أمَّا في وزارته الثانية للخليفة نفسه فقد هرب في شهر ذي الحجة سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م من سامراء إلى الموصل.[(٥)]

وفي سنة ٣١١هـ/٩٢٣م هرب وزير الخليفة المقتدر بالله حامد بن العباس من واسط إلى بغداد، واختفى بها، وكان يلبس زي راهب؛ من أجل أن يخرج من مكانه الذي اختفى فيه، إلى أن قبض عليه وسجن.[(٦)]

وفي شعبان سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م هرب الوزير مُحَمَّد بن علي بن مقلة في الليل من الخليفة القاهر بالله [(٧)]، وكان يخفي نفسه فيظهر بأشكال مختلفة، فكان يلبس كل يوم ملابس متنوعة، فيظهر بزي رجل فقير، وأحيانًا بزي امرأة، وبقي على هذا الحال إلى أن خلع القاهر بالله من

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/١٥).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/١٦٥).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٧/ ٢٦٧).

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٥٤٠).

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/٦٨٤).

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٥/١١٧).

الخلافة، وتولي الراضي بالله في سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م، وأعاد الخليفة الجديد الوزير ابن مقلة إلى وزارته، وكانت مدة اختفائه سنة، فكانت وزارة ابن مقلة للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيام.(١)

وفي خلافة القاهر بالله هرب الوزير أحمد بن عبيد الله بن الخصيب سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، عندما أراد الجنود قتل الخليفة القاهر فخرج ابن الخصيب في زي امرأة واختفى خوفًا على نفسه من القتل، ولم يظهر حتى خلع القاهر من الخلافة وتقلدها الراضي بالله سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م.(٢)

أمَّا الوزير أبو جعفر مُحَّد بن القاسم الكرخي فقد اختفى ثلاثة أشهر ونصف بعد عزله في وزارته الأولى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م(٣)، خوفًا من الخليفة الراضي بالله(٤)، ثم فدى نفسه وأدَّى ثمانين ألف دينار وخرج من مكان اختفائه.(٥)

أمَّا وزير الخليفة المتقي لله مُحَّد بن أحمد القراريطي، فقد خاف فاختفى سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م نظرًا لدخول أبي عبد الله البريدي بغداد وسيطرته عليها، وكانت مدة وزارته الثانية أربعين يومًا، ونجا من قتْل البريدي، حيث قتل أصحاب البريدي من وجدوه في دار الخليفة من الحاشية، فكان مدة إقامة البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يومًا.(٦)

أمَّا وزير الخليفة الراضي بالله أبو الفتح الفضل بن جعفر الحسن بن الفرات، فقد هرب من بغداد إلى الرملة، فأدركه أجله وتوفي بها في جمادى الأولى سنة ٩٣٩/٣٢٧م، وله سبع وأربعون سنة(٧).

ويمكننا القول: إن البلاط العباسي شهد في العصر الثاني ظهور مشكلة هروب واختفاء بعض الوزراء من بطش أصحاب المناصب العليا، وقد لجأوا إلى بعض مدن الخلافة العباسية، وكان الهدف حماية أنفسهم من بعض النهايات البشعة التي آلت إليها حياة بعض وزراء هذا

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٨٠).
(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ٣٦٤).
(٣) الصولي، أخبار الراضي والمتقي لله، ص٨٤.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٥٢/٧).
(٥) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٨٤.
(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٠٦/٧).
(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٨٠/١٤).

العصر حتى إن بعضهم ارتدى ملابس النساء لكي ينجو بنفسه من القتل، كما أن بعضهم أدركه أجله وهو مختفٍ دون أن يراه أهله[1].

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٤٨٠).

المبحث السابع

القتـل

انتهت حياة بعض وزراء العصر العباسي الثاني بالقتل؛ فكان ممن قُتِل منهم في مرحلة مبكرة من العصر العباسي الثاني الوزير الفتح بن خاقان، وزير الخليفة المتوكل على يد ثلة من القادة الأتراك، بتدبير كل من وصيف، مع بغا الشرابي، وباغر التركي، وبغلون التركي، وهارون بن صوارتكين، وغيرهم من الأتراك، وكان وقت تنفيذ قتله في منتصف الليل في أثناء جلوسه مع حاشيته كعادته، وذلك ليلة الخميس السادس والعشرين من شهر شوال سنة ٢٤٧هـ/٨٦٢م.

حيث دخل بُغا الشرابي إلى مكان جلوسهم، فأمر الندماء بالانصراف عن مجلس المتوكل، فقال له الوزير الفتح بن خاقان: ليس هذا وقت انصرافهم، وأمير المؤمنين لم ينصرف، فقال له بغا: إن أمير المؤمنين أمرني إذا جاوز السبعة ألَّا أترك في المجلس أحدًا، فكره الفتح قيامهم، فتعلل بغا بأن نساء أمير المؤمنين تنتظره، فأمرهم بالخروج فخرجوا جميعًا، فلم يبق إلا الفتح وأربعة من خدمه الخاصة، فوضع الطباخ المائدة بين يدي المتوكل، والوزير فأكلوا، وقد كان بغا الشرابي أغلق الأبواب كلها غير واحد، ومنه دخل القوّاد الذين عينوا لقتلهم، وكانت معهم سيوف مسللة فقتلوا المتوكل فقال الفتح: ويلكم، أمير المؤمنين! فرمى الفتح بنفسه على المتوكل، فبعجه هارون بن صوارتكين بسيفه، فصاح: الموت! وتناوله هارون وموسى بن بغُا بسيفيهما، فقتلاه وقطعاه، وأصابت الفتح ضربة في رأسه[(١)]، فماتا جميعًا، فلفا في البساط الذي قتلا فيه، ثم دفنا جميعًا".[(٢)]

بينما تذكر رواية أخرى بأن باغر الحارس الشخصي للخليفة المتوكل على الله ضرب الخليفة على عاتقه بالسيف فرمى الفتح نفسه على المتوكل فقطعوهما إربًا[(٣)]، وقيل: فبعجوه بسيوفهم فقتلوه.[(٤)]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٩/ ٢٢٦، ٢٢٧). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ١٣٨).

(٢) المسعودي، مروج الذهب، (٤/ ١٢٠- ١٢١).

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١١٩-١٢٠.

(٤) كامل كيلاني، مصارع الخلفاء مشاهد رائعة نقلها عن التاريخ، ط١، دار العصور، القاهرة، ١٩٢٩م، ص١١٧.

ويصف أحد الباحثين فعلهم هذا فيقول: ويدل ذلك دلالة واضحة على فعلهم الهمجي الذي ينطبق على أسمائهم الوحشية تمامًا.(١)

أمَّا كيفية قتل الوزير التركي أوتامش، فقد أغرى القائد التركي بغا كلًّا من الموالي والأتراك والفراغنة وذلك يوم الخميس الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٢٤٨هـ/٨٦٣م، فعسكروا وزحفوا إليه، وهو في الجوسق مع الخليفة المستعين بالله فوصل إليه الخبر، فأراد الهرب، فلم يتمكن، واستجار بالخليفة المستعين بالله فلم يجره فعزموا على أمرهم، وذلك يوم السبت فدخلوا القصر، ورجموا أوتامش وهو في مكانه الذي اختفى فيه، فقتل وقتل كاتبه شجاع بن القاسم، ونهبت دار أوتامش، فأخذ منها أموالاً جليلة ومتاعًا وفرشًا وآلة، بينما في رواية أخرى تقول: تآمر أكبر قوّاد الأتراك وصيف وبغا مع الخليفة عليه فقتلوه، وذلك يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٩هـ/٨٦٤م(٢).

ثم إنه في بداية خلافة المقتدر بالله قُتِل الوزير العباس بن الحسن الجرجرائي، فقد دبَّر قتله بدر الأعجمي والحسين بن حمدان(٣) ووصيف بن صوارتكين، و محمد بن داود بن الجراح، وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي، وذلك يوم السبت التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م(٤)،وكانوا قد اتفقوا مع جماعة من القوّاد على قتل المقتدر بالله، والعباس بن الحسن، فنُفِّذ القتل في الوزير العباس بن الحسن ولم ينفذ في الخليفة المقتدر بالله.

وكانت كيفية قتله محزنة حيث عمل الوزير قبل قتله على تحصين داره، وعندما خرج من دار الخليفة المقتدر بالله ورجع إلى داره سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، اتفق أعداؤه على قتله فتبعه الحسين بن حمدان فضرب الوزير بسيفه، فصاح حارسه فاتك المعتضدي وقال: "ما هذا يا كلاب؟! فضربه القائد التركي وصيف بن صوارتكين وقتله، فهرب الوزير، ورمى بنفسه في

---

(١) إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة وتعليق: أحمد كمال الدين حلمي، ط١، مطبوعات جامعة الكويت،، الشويخ، ١٩٩٦م، (١/٢٠٢-٢٠٣).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٢٦٤).

(٣) الأمير الحسين بن حمدان، كان أحد المقربين للخليفة المقتدر بالله، وكان أحد أعداء الوزير العباس بن الحسن بن أيوب، تمكَّن من القضاء على ابن المعتز، تولَّى ديار بكر فنزع الحسين بن حمدان طاعة الخليفة المقتدر فسار لحرب ابن رائق، فهزمه ابن حمدان، ثم أسره مؤنس وأدخل بغداد على جمل وتخلصوا منه. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/٤٧).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/٤٢٦).

بستان، فأمسك أحد مماليك الوزير العباس بن الحسن يد ابن حمدان عن قتل الوزير إلاَّ أن ابن حمدان أشار إلى خاتم في يده، وقال: هذا خاتم أمير المؤمنين، أمرني بقتل العباس، فكف المملوك عنه، فضربه مرة أخرى ابن حمدان، فطير قحفة رأسه، ثم ثناه فسقط، ثم قطعوه فمات". (١)

وكانت وزارة العباس أربع سنين ونصفًا، وعاش أربعين سنة. وبهذا تمكن ابن حمدان أن يظفر بقتل الوزير العباس بن الحسن، والغريب أن الخليفة المقتدر بالله قبض على المجرمين فقتل بعضهم، وعفا عن الحسين بن حمدان الذي هو الرأس المدبر لمقتل هذا الوزير. (٢)

وهذا غير موافق لأحكام الشريعة الإسلامية؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

وقُتل الوزير حامد بن العباس بإشارة المحسن بن أبي الحسن بن الفرات مسموماً بعد تعذيبه سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، حيث تسلمه مُحَمَّد بن علي البزوفري، فعندما طلب حامد بن العباس بيضًا، وضع البزوفري السم في البيض المشوي، فأصابه إسهال، ثم زاد مرضه حتى أغمي عليه، فلما رأى حاله البزوفري أحضر القاضي والشهود ليشهدوا عليه أن ليس فيه شيء، فلما حضروا عند حامد قال لهم: إن أصحاب المحسن سقوني سمًا في بيض مشوي فأنا أموت منه، وعندما مات حامد في رمضان في السنة نفسها، ندم البزوفري على ما فعل به(٤). ولكن لا يفيد الندم بعد أن قتل نفسًا بريئة فهو مسؤول عنها عند الله يوم القيامة.

كما قُتِل وزير الخليفة المقتدر بالله علي بن الفرات وابنه المحسن يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م في السجن على يد نازوك أحد قوّاد

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/٥٥).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/٥٥).

(٣) القرآن الكريم سورة المائدة، آية: (٣٣).

(٤) ابن الأثير:، الكامل في التاريخ، (٦/٦٨٤).

الأتراك، فأمر بضرب عنق المحسن، وأتى برأسه إلى أبيه ابن الفرات، فجزع من ذلك وطلب من الخليفة عدم قتله مقابل أن يقدِّم له جميع أمواله، لكن الخليفة رفض وأمر به فضرب عنقه، ووضع الرأسين في دجلة(1)، وكان سن علي بن الفرات يوم قتل إحدى وسبعين سنة وشهورًا، وسن ابنه الحسن ثلاث وثلاثين سنة.(2)

وأمَّا كيفية قتل الوزير الحسين بن القاسم بن وهب، فقد كتب الوزير مُحَمَّد بن علي بن مقلة رسالة بقطع رأس الوزير ابن وهب، وإرساله من الرقة إلى بغداد، فقُطِع رأسه وحمل إلى بغداد سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م في خلافة الراضي بالله. وفي الوقت نفسه قطعت يد الوزير ابن مقلة، والغريب أنه لما قطعت يد ابن مقلة جعلت في سفط فيه رأس الوزير الحسين بن القاسم بن وهب الذي أمر ابن مقلة بقتله، ووضع في خزانة الخلافة، ثم إن ابن الوزير الحسن القاسم طلب رأس أبيه فأعطي إليه السفط(3) بما فيه، ودفن رأس أبيه، فيعلق الصفدي على ذلك بقوله: "فسبحان الله العظيم! يد كتبت بقطع رأس في الرقة وهي في بغداد قطعت، وجمع بينهما فيما بعد في سفط واحد".(4)

أمَّا مقتل الوزير أبو الطاهر مُحَمَّد بن بقية فكان في شهر ربيع الأول من عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م، في عهد الأمير البويهي عز الدولة بختيار، وذلك عندما أرسل هذا الأمير البويهي الوزير ابن بقية إلى عمه عضد الدولة ببغداد، وعند وصوله إليه ابتكر عضد الدولة طريقة عجيبة لقتله، فوضعه تحت أرجل الفيلة فداسته وقتلته، ثم صُلبت جثته على أحد جسور بغداد، وكان ذلك في خلافة المطيع لله.(5)

ولما وصل خبر قتل ابن بقية في صلاة الفجر للفقيه المفسر والشاعر الكبير أبي الحسن الأنباري وهو في المسجد، دعا طلابه وقال: هيا بنا لرد الجميل، وعندما وصلوا عنده والحراس

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ١٠٥).

(٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/ ٢٤٥).

(٣) السفط، وعَاء يوضع فِيهِ الطّيب وَنَحْوه من أدوات النِّسَاء، وأحيانًا تُوضَع فِيهِ أَشْيَاء كالفاكهة وغيرها. (المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وآخرون)، (د. ط)، دار الدعوة، (د. ت)، ١/٤٣٣).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٢/١٩).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٤٨٠).

مجتمعون حوله؛ لمنع الناس من إنزاله، والنيران تشتعل، وإذا بالرياح تلفح وجهه وهو منتصب كأنه علم، والناس مجتمعون حوله هذا يهلل، وهذا يكبر، وهذا يشير بيده، وهذا ينظم قصيدة، وهذا يترحم عليه، وكان الوزير ابن بقية خيّرًا باذلاً عطوفًا على الفقراء والمساكين، مهتمًا بأمر المسلمين، يوزع الصدقات على جميع المحتاجين من أهل بغداد، وقد وضع جائزة سنية لحفظ كتاب الله.(١)

وقتل الوزير العباسي عميد الدولة مُحَّد بن جهير وهو في السجن، حيث قيل: إن الخليفة المستظهر بالله أدخل عميد الدولة بن جهير حمامًا وأغلق عليه الباب إلى أن مات فيه، وأخرج للشهود ليشهدوا أنه ليس فيه أثر قتل، ليقال: إنه مات دون تعذيب، وكان ذلك في شوال سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م(٢)، وقيل في رواية أخرى: بل إنه مات بسبب الأمراض والأوجاع التي ألـمَّت به من شدة الخوف والغربة وفراق الأهل والأولاد.(٣)

وأُخرج عميد الدولة من سجنه ميتًا في شوال سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، وحمل إلى داره فغُسِّل فيها ودُفِن بها، وبالرغم من هذه الأقوال نرى أن الوزير قُتل على أية حال، وبهذا نوافق اكتشاف أقرباء الوزير عميد الدولة بأنه قُتِل، وذلك عندما أُدخل عليه مجموعة من الشهود؛ ليشهدوا بأنه مات ميتة طبيعية، ودخل في جملة الشهود أخوه فصاح: يا أخي، يا أبا منصور، قتلوك! ورددها عدة مرات؛ ليستنفر الناس من هول المصيبة عليه، لكن أرسل له خمسمائة خادم خلعوا مداساتهم وخفافهم وضربوه بها فوقع ميتًا، ولم نسمع بمن مات هذه الميتة من شدة الضرب ولم نسمع بمدى التهاون بأرواح الناس.(٤)

ويعلق الذهبي على موت الوزير عميد الدولة بقوله: وكان بكبره يضرب المثل به، ولكنه في النكبة ذل، وخارت نفسه، وأناب إلى الله، وآخر ما سمع منه الشهادة – سامحه الله– وكان عمره عندما قتل ٥٩ سنة(٥).

ومهما كان في الوزير عميد الدولة أو غيره من كبر فلا يكون مصيره التعذيب والقتل، كما نرى من تحليل شخصية الوزير عميد الدولة أنه كان على قدر كبير من الشجاعة والقوة

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (١٣٠/٤).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢١٠/١).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٧٦/١٩).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢١٠/١).

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧٤٦/١٠).

والثقة بالنفس، حتى إن أعداءه وصفوه بالكبر والغرور، لكن هذه الصفات التي تصدر منه ثقة بالنفس وشجاعة وقوة تحمل ولا نفسِّرها بالغرور والتكبُّر، ومما يشير إلى شجاعة عميد الدولة أنه ذات يوم سقطت من السقف حية عظيمة بين يدي الوزير وجلسائه، فتغيَّرت ألوان وجوه الجلساء جميعهم فخافوا، فابتعدوا عنها، إلاَّ أن الوزير جلس موضعه ولم يتحرك من مكانه حتى قتلها الفراشون.(١)

أمَّا الوزير عون الدين يحي بن هبيرة، فجاءت نهايته على يد بعض الجند، وذلك في ليلة الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م، وكان الوزير قد نام وهو في أتم صحة وأحسن حال، فصحا من نومه وهو يتقيَّأ، فجاءه الطبيب ليعالجه ففصده، ووضع السم في المبضع الذي فصده به فمات من يومه، وقد قام ابن الجوزي بتغسيله ورأى على وجهه علامة السم، ونقل ذلك للخليفة وحزن كثيرًا لوفاته، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير جدًا، وأغلقت الأسواق، وبكى الناس عليه ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة، فرحمه الله رحمة واسعة وأعاد أمثاله على أمتنا المسلمة.(٢)

من أعجب الأمور أن الطبيب الذي سَمَّ الوزير ابن هبيرة قد سُمَّ هو بعده بستة شهور، فقال في مرض موته: "سممته فسممت"، وهكذا الجزاء من جنس العمل.(٣)

وفي سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م قُتِل الوزير أحمد بن مُحَّد بن سعيد بن البلدي، وزير الخليفة المستنجد بالله على يد أستاذ الدار عضد الدين أبي الفرج مُحَّد بن هبة الله بن المظفر رئيس الرؤساء، وأمير الجيش قطب الدين قيماز وذلك عندما دخلا عليه في داره فقاموا بتقطيعه وألقوه في نهر دجلة، وأخذا جميع ما في داره، فرأيا فيها رسائل المستنجد بالله يأمره فيها بالقبض عليهما، ورسائل من الوزير قد راجعه في ذلك، وصرفه عنهم، عندها عرفا براءة الوزير ممَّا كانا يظنان فيه، فندما في تفريطهما في قتل الوزير(٤). وهذا فيه بيان لبراءة الوزير أحمد بن مُحَّد بن البلدي وظلم أستاذ الدار

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٧٤٦/١٠).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (١١٧/١٨-١١٨).

(٣) ابن الدبيثي، أبو عبد الله مُحَّد بن سعيد بن مُحَّد، المختصر المحتاج إليه الدبيثي اختصار الذهبي، تحقيق: مصطفى جواد، (د. ط)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٧١هـ، ص١٢٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/ ٣٥٨).

عضد الدين أبي الفرج مُحَّد بن عبد الله المظفر الذي لم يهمله الله بل قتل بعد الوزير حيث يقول الذهبي:" ثم اقتص الله له من ابن رئيس الرؤساء، وقتل". [١]

وفي سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م قتل عضد الدين أبو الفرج مُحَّد بن عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء في خلافة المستضيء بأمر الله، وهناك عدة روايات لكيفية قتل الوزير عضد الدين، فقد قيل: إنه قتل وهو خارج للحج، قتله ثلاثة من الباطنية[٢]، وفي رواية أخرى أنه خرج من بيته إلى الحج يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة فضربه الباطنية أربع ضربات فحمل إلى دار، ولم يتكلم إلا أنه يقول: الله! الله! وقال: ادفنوني عند أبي، ثم مات.[٣]

ثم يتحدث مؤرخ آخر ويشير إلى تفاصيل دقيقة لكيفية قتله، حيث إن الوزير عضد الدين تهيأ للحج، وخرج في رابع ذي القعدة في موكب عظيم سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، ثم تسلل إلى الموكب ثلاثة من الباطنية وعندما اقتربوا من الموكب زجرهم الغلمان، فصاح أحد الباطنية وقال: مظلوم، لإشاعة الفوضى في الموكب حتى تقدَّم إلى الوزير، فضربه بسكين في خاصرته، فصاح الوزير: قتلني، وسقط، وانكشف رأسه، فغطى رأسه بكمه، وكان ضربه باطني أربع ضربات ثم ضرب الباطني بسيف، فعاد وضرب الوزير، فقطّعوا الباطني بالسيوف، وكان معه اثنان، فأحرقوه، وحمل الوزير إلى داره، أمَّا حاجبه فقد جرح، وحكى عنه ابنه أنه اغتسل قبل خروجه، وكان يقول: "هذا غسل الإسلام، فإنني مقتول بلا شك"، ثم مات بعد الظهر، ومات حاجبه بالليل، وكان يقول: "الله! الله! كثيرًا، وقال: ادفنوني عند أبي". [٤]

ثم هناك رواية أكثر تفصيلًا ووضوحًا فيتحدث عن كيفية قتل الوزير عضد الدين أبي القاسم بن المسلمة وزير الخليفة، فقد حدث ذلك في رابع ذي القعدة سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، وكان قد عزم على الحج فعبر دجلة ليسير، وعبر معه أصحاب المناصب، وهو في موكب عظيم، وتقدم إلى أصحابه أن لا يمنعوا عنه أحدًا، فجاءه ثلاثة رجال من الباطنية كان منهم واحد كبير السن فتقدَّم إلى الوزير، كأنه يشتكي إليه وعندما قرّب من الوزير، ضربه بسكين في خاصرته،

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥٨٧/٢٠).

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٣٢٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٢٤٦/١٨).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥/ ٣٠٦).

فصاح الوزير: قتلتني! ووقع من الدابة، وسقطت عمامته، فغطى رأسه بكمه، وضُرِب الباطني بسيف، وعاد إلى الوزير فضربه.(١)

وجاء حاجب الوزير ليحميه، فضربه الباطني بسكين، وقيل: بل ضربه الرجل الباطني الثاني، ثم قتل الباطني صاحبه، أمَّا الرجل الثالث فصاح وبيده سكين فقتل ولم يعمل شيئًا، وأحرقوا ثلاثتهم، وحمل الوزير إلى دار له هناك، وحمل حاجب الباب مجروحًا إلى بيته، فمات هو والوزير، وحمل الوزير فدفن عند أبيه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور، وكان قد اغتسل قبل خروجه، وقال: "هذا غسل الإسلام، وأنا مقتول بلا شك"، وختمت أعماله بالشهادة وهو على قصد الحج، وذلك سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م(٢).

وتشير المصادر إلى أن صاحب المخزن آنذاك ابن العطار هو الذي دس الباطنية على الوزير عضد الدين ابن المسلمة حتى قتلوه(٣)، وقد صرح سبط ابن الجوزي باتهام ابن العطار في التواطؤ مع الباطنية لقتل الوزير عضد الدين المذكور فقال: "حكى لي والدي -رحمه الله- قال: كنت جالسًا عند ابن العطار في ذلك اليوم فجعل يقول: يا حسام الدين، إلى أين بلغ الساعة؟ وهو قلق يقوم ويقعد، فلما جاء الخبر بقتله قام قائمًا وقال: الله أكبر! يا ثارات طبر! يا ثارات عز الدين! يعني ابني الوزير ابن هبيرة فإنهما قتلا في أيام ابن رئيس الرؤساء، قال أبي: ومضيت مع صاحب المخزن إلى عزاء ابن رئيس الرؤساء فعزاهم، وجعل يقول: قتل الله من قتل أباكم شر قتلة ومثَّل به أقبح مثلة. فكان كما قال: قتل ابن العطار شر قتلة ومُثِّل به أقبح مثلة(٤).

ومن خلال تلك الروايات يتضح أن ابن العطار صاحب المخزن هو الذي دس عليه الباطنية ليقتلوه، حيث يقول الذهبي: "وعمل عزاء الوزير، فقل من حضر كنحو عزاء عامي؛ إرضاء لصاحب المخزن".(٥)

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩/٤٣٢).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩/٤٣٢).

(٣) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: جنان جليل محمد، ط١، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، (د. ت)، (٨/٢٢٠).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (١٢/ ٤٧٢).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥/ ٣٠٦).

ونستطيع أن نقول: إن هناك عبر التاريخ الإسلامي رجالاً كان يُتوسم فيهم إنقاذ الأمة لقيامهم بأدوار بالغة الأثر في تاريخ الخلافة العباسية، وكان ينتظر من قيادتهم دفع مجريات الأحداث، ويحاولون إنقاذ ما تبقى من الخلافة العباسية، ولكن العدو المتربِّص بهذه الدولة دائمًا يكون لها بالمرصاد، يمنع تقدُّمها وعلوها، ويقطف أي ثمار طيبة قبل بدء صلاحها أو ذيوع صيتها؛ حتى تظل هذه الدولة في تخبط واختلاف؛ لافتقاد العظماء القادرين على قيادة سفينتها، وقد يكونون من بني جلدتنا الذين تحملوا مناصب عليا في الخلافة العباسية، اختلفوا بسبب أمور دنيوية، ونسوا أحكام الشريعة في كل صغيرة وكبيرة، فتمادوا في قتل الوزراء بأي طريقة؛ للتخلص منهم، أو لأخذ الثأر منهم، حتى ولو بالاستعانة بأعداء الإسلام، خاصة الباطنية الذين يتربّصون بالإسلام وأهله، والذين هم على أتم الاستعداد لذلك.[١]

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥/ ٣٠٦).

المبحث الثامن

الاستعفاء[1]

أهمل بعض الوزراء الأشراف على وزارتهم حتى ساءت أمور الوزارة، ونتيجة لذلك أصيبت علاقات بعض الخلفاء والقواد مع الوزراء بالفتور والتوتر، واضطر الخلفاء إلى إعفاء بعض الوزراء من مناصبهم.[2] ومن هؤلاء الوزير أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَّد بن المدبر، الذي طلب بنفسه من الخليفة المعتمد على الله أن يعفيه من منصبه سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م فاستعفي.[3]

وطلب أحمد بن عبيد الله الخصيب الاستعفاء من الوزارة، ولعن من أشار عليه بالوزارة، والذي أقنعه بها، وعاتب الذي أشار عليه بالوزارة، وعاتب نفسه على أنه وافق عليها، حتى إنه كره نفسه، ولكن القدر غالب، وأمر الله نافذ، وكان ذلك يوم الخميس التاسع عشر من ذي القعدة سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، وقد تمت موافقة الخليفة المقتدر بالله على الاستعفاء بواسطة الوزير علي بن عيسى.[4]

وكان الوزير علي بن عيسى إبان وزارته الثالثة للخليفة المقتدر بالله قد طلب في الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م إعفاءه عن منصب الوزارة، واحتج بالشيخوخة، فعظم على الخليفة ذلك، فطلب منه الخليفة الصبر والتريُّث، حيث كانت له مكانة عند المقتدر بالله بمنزلة والده المعتضد، فألحَّ عليه الوزير في الاستعفاء فأعفاه.[5]

واستعفي وزير الخليفة المقتدر بالله عبيد الله بن مُحَّد الكلواذي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، وكانت مدة وزارته شهرين فلم يستطع الاستمرار بها أكثر من ذلك، وقال: "ما أصلح أن أكون وزيرًا" فعزله عنها الخليفة المقتدر بالله. والغريب أن هذا الوزير الوحيد الذي لم يتعرض له أحد في البلاط العباسي، حيث ذهب إلى داره، واستقر فيها، فأمر الخليفة بحفظها وصيانتها[6].

---

(١) استعفي، الطلب منه أن يسقط عنه ما كلفه به، (أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، (١٥٢٣/٢).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢٥/١٣).

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٩٠.

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١١/ ١١٢).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٧٧٢).

(٦) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ١٤٠).

وفي شهر رجب سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م استعفي الوزير عبد الرحمن بن عيسى من وزارة الخليفة الراضي بالله.[١]

أمَّا الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد في وزارته الثانية فقد استعفي عن منصب وزارة الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، وكانت مدة وزارته عشرة أشهر وثلاثة أيام، ثم استعفي هذا الوزير من وزارته الثانية لهذا الخليفة، في ١١ من شوال سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، فكانت مدة وزارته ثلاثة أشهر وعشرين يومًا.[٢]

ويمكننا القول: إن الاستعفاء يأتي بأمر من الخليفة، وقد يكون بطلب من الوزير نفسه؛ لعدم مقدرته على تحمُّل أعباء الوزارة، أو لعدم تحمله الأخطار المحدقة التي يراها تحل بأمور الوزارة المالية التي كانت من أهم مهام الوزير في تلك الفترة، كما كان عليه اكتشاف أي تلاعب يحدث بتلك الأموال وإنزال العقوبة بمرتكبيه، وعندما سار بعض الوزراء على هذه السياسة لم يتحمله المجتمع، فما كان على الوزير إلا طلب الإعفاء عن منصب الوزارة[٣].

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٣٠٠).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٥/٢٢٤).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٢٨).



الفصل الرابع

الفصل الرابع

آثار نكبات الوزراء على الأوضاع العامة في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول: آثارها على الخلفاء العباسيين.

المبحث الثاني: آثارها على منصب الوزارة.

المبحث الثالث: آثارها على التنظيمات الإدارية.

المبحث الرابع: آثارها على الحياة الاقتصادية.

المبحث الخامس: آثارها على الحياة الاجتماعية.

المبحث السادس: آثارها على الحياة العلمية.

المبحث السابع: آثارها على الأقاليم خارج العراق.

المبحث الأول

آثارها على الخلفاء العباسيين

تعرض مجموعة من وزراء الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني لأنواع شتى من النكبات، ولا شك أن ذلك لن ينعكس أثره على شخص الخليفة فحسب؛ بل امتد ذلك إلى منصب الخلافة، الذي تأثّر جراء تلك النكبات تأثُّرًا واضحًا[١]، إما بآثار سلبية ضد الخليفة أو إيجابية لمصلحة الخليفة، وقد يكون هذا نادرًا.

وقد اتسمت تلك الآثار بالطابع السلبي، فقد حُرم الخلفاء العباسيون من الوزراء الذي يعينونهم في تدبير شؤون الخلافة وتسيير أمورها، وحل مشكلاتها، يسأله الخليفة ويستشيره، ويعمل برأيه، ففقد الخليفة المتوكل على الله الوزير ابن الزيات وندم على التفريط بقتله ٢٣٣هـ/٨٤٨م، فلم يجد عوضًا عنه، فقد كان الوزير لديه معرفة كاملة بالنواحي السياسية والعسكرية، كما أنه من أئمة الأدب المتبحرين فضلاً عن قوة شخصيته[٢]. كما حُرم الخليفة المستعين بالله من الوزير أبي صالح عبد الله بن مُحَّد بن يزداد الذي يُعد ساعده الأيمن، وقد أسند الخليفة المستعين بالله إليه منصب الوزارة مرتين سنة ٢٤٩هـ/٨٦٤م؛ ليقف في وجه الأتراك، لكنه فشل في مواجهة كبار قادة الأتراك[٣]، كذلك حُرم الخليفة المعتز بالله من وزيره أحمد بن إسرائيل بن الحسن الأنباري، الذي يُعد من أذكى الناس، ومن قوة ذكائه لا يسمع شيئًا إلا حفظه، خاصة في أمور السياسة والإدارة، وكان المعتز يميل إليه؛ لأنه أعاد وضع إدارته سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[٤]. وقد حُرم الخلفاء من الوزراء الأكْفاء الذين يعتمد عليهم في جميع أمور الخلافة العباسية، فقد ضُيقّ على الخليفة المعتمد على الله حتى خسر وزراءه الذين كان يتمنى بقاءهم في مناصبهم، حتى علّق الذهبي على ذلك بقوله: "إنه محجور عليه ومقهور"[٥]. فقد حرم من وزيره أبي العلاء صاعد بن مخلد سنة ٢٦٦هـ/٨٨٠م، الذي سمّاه بذي الوزارتين[٦].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦/١٥٢).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/١٠٧).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٧/١٦٧).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/١٦٤)؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٧/٥٩).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٦٠٢).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢/٢٧٥).

كـذلك عـانى الخليفـة المقتـدر بالله كثيراً؛ نتيجـة حرمانـه مـن بعـض الـوزراء الـذين كـان بحاجتهم؛ لتحسين حال دولته وإصلاحها، أمثال الوزير علي بن عيسى، فكان الخليفة المقتدر بالله لا يرضى بعزله أو معاقبته أو سجنه أو استعفائه عن منصب الوزارة، حتى إنه لم يستعجل هذا الخليفة في إعفاء هذا الوزير من منصبه حينما طلب منه ذلك، وقاوم هذا الأمر بشدة؛ من أجل أن يبقيه في منصبه، والدليل على ذلك أن الوزير علي بن عيسى شغل منصب الوزارة ثلاث مرات، حتى قال القائد مؤنس للمقتدر بالله: "لم يبق من يصلح لتدبير المملكة غيره"، وفي المقابل قال عنه مسكويه: "ساس أبو الحسن على بن عيسى الدنيا أحسن سياسة، ورسم للعمال"[١].

ومن آثار نكبات الوزراء إضعاف قوة الخليفة المقتدر بالله، مما جعله يختلف كثيرًا مع قواد الجيش، حتى اعتدوا عليه واستأثروا بأمواله الخاصة، وأزالوا كثيرًا من رسوم الخلافة[٢]، فواجه الخليفة نفسه عدة مؤامرات في عهده، فتعرض للعزل مرتين من منصب الخلافة سنة ٢٩٦و ٣١٧هـ/٩٠٩و ٩٢٩م، وتعرضت دار الخلافة للنهب[٣]، وقُتل في المرة الثالثة سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م[٤].

ومن آثار نكبات الوزراء على الخليفة العباسي انعدام ثقته بالمرشحين لمنصب الوزارة، فعلى سبيل المثال: نجد الخليفة القاهر بالله قد انعدمت ثقته بوزرائه، فأخذ يتخبط في التعيين والعزل، حيث بدأ يقلد أشخاصًا للوزارة، وأشخاصًا آخرين للدواوين، ثم يصدر هذا الخليفة أمرًا بالقبض على وزرائه ويزج بهم في السجون وسط ظروف غامضة[٥].

كما أدّت آثار نكبات الوزراء على الخلفاء إلى تخلخل خلافة الراضي بالله وتحولها إلى مسرح للفوضى والشغب، فرأى الراضي بالله استحداث منصب إمرة الأمراء؛ ليكمل به مسيرته في الخلافة، إلا أنه أخطأ في هذا، وأصبح هذا المنصب غير قادرٍ على توفير أموال تكفي

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٨١/٥).

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٢٨.

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١٢٣/١).

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٥٧/١١).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (١٥٥/٥).

الخلافـة، ولم يكـن قـادرًا علـى دفـع مرتبـات الجـيش حـتى مـات الخليفـة الراضـي بالله سـنة ٣٢٩هـ/٩٣٨م[١].

وأصبح أمير الأمراء ترد إليه جميع أمور الدولة، ويتصرف بالأموال كيف يشاء، حتى إنه ينفق على الخليفة العباسي نفسه، وهذا فيه حرمان للخليفة من حقه الشرعي بالتصرف في أمور دولته[٢]؛ بل وكان مجبرًا على تنفيذ أوامر إمرة الأمراء[٣].

أمَّا في العهد البويهي فقد جُرد الخلفاء العباسيون من حقهم في تعيين وزراء لهم، فلم يكن هنـاك وزيـر يـذكر، ولم يعـد للخليفـة وزارة، ولا وزيـر، وباتـت الـوزارة الفعليـة في أيـدي الأمـراء البويهيين، ولم يعد للخليفة سوى كاتب يهتم بأموره الخاصة([٤]، حيث انتقلت سلطة الخلفاء العباسيين إلى أمراء آل بويه، ولم يبق في أيدي الخلفاء إلا الأمر الديني[٥]، وعندما خلع معزُّ الدولة البويهي الخليفةَ المستكفي وأقام الخليفة المطيعَ لله مكانه سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م، لم يجعل له أمرًا ولا نهيًا ولا رأيًا في أمور خلافته[٦]، وبذلك لم يتمكن الخليفة من التصرف في أمور الخلافة، ولم يضع وزيراً له؛ بل غلب الأمير البويهي معز الدولة على أمر الخليفة، وقضى على منصب الخلافة، وعلى منصب الوزارة في الخلافة العباسية[٧].

بـل وصـلت الخلافـة في عهـده إلى أسـوأ حـال؛ ذلـك أنـه أسـاء معاملـة الخليفـة واسـتأثر بالنفوذ دونه، بل وزاد أمر الخلافة إدبارًا حينما لم يبق للخلفاء من التصرف بأمور الخلافة شيئًا يـذكر، "وصـارت الـوزارة لمعز الدولـة يستوزر لنفسـه مـن يريـد"[٨]، ويكفـي أن نعـرف أن الـوزارة أصبحت بيد البويهيين[٩].

---

(١) الصولي، الراضي بالله والمتقي لله، ص١٨٣.

(٢) القرطبي، صلة تاريخ الطبري (٣٣٠/١)؛ مسكويه: تجارب الأمم (٣٢/٥).

(٣) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٤١.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٢٠٨/٧).

(٥) البيروني، أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد (المتوفى: ٤٤٠ هـ): الآثار الباقية عن القرون الخالية، (د. ط)، دار صادر، بيروت (د. ت)، ص١٣٢.

(٦) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، (١٣٣/١).

(٧) المسعودي، مروج الذهب، (٣٧٢/٤).

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٢٠٧/٧-٢٠٨).

(٩) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٩٤/٥).

إن هذا النص لخير دليل فهو يصوِّر الحالة المتردية للخلافة العباسية في ظل حكم أمراء البويهيين خاصة في عهد الأمير معز الدولة، حيث زالت هيبة الخلافة، وذل الخلفاء وزال سلطانهم، ولم يبق شيء تحت تصرفهم بعد أن كان الخليفة هو صاحب السلطة الأولى.

ويعلق على ذلك أحد الباحثين فيقول سيديُو: وكان المطيع والطائع والقائم بأمر الله عاطلين من كل سلطان، محرومين دخلهم، مقتصرين على كاتب بسيط بجانبهم، ممثلين لمثل دور الملوك الذين وُضعوا تحت وصاية نظار البلاط، فقد كان المسلمون يعدون بني العباس أولياء الأمور الشرعيين. أجل، خسر بنو العباس سلطتهم الزمنية، ولكنهم ظلوا أصحاب السلطة الروحية التي ما انفك أهل السنة يحترمونها[١].

أمَّا في خلافة القائم بأمر الله، فقد أصابه ما أصاب الوزير عندما قبض البساسيري على الوزير ابن المسلمة سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، فقبض على الخليفة نفسه وسجنه ونهبت دار الخلافة، حيث حاصر جيش البساسيري دار الخلافة فنهب ما لا يقدَّر قدره من الأموال والآلات[٢]، حتى نهبت نساء دار الخلافة[٣]! وفي ذلك يعلق أحد الباحثين فيقول: وهذه إشارة واضحة إلى مدى الضعف والهوان الذي انحدر إليه وضع الخلفاء، وانحدرت إليه الدولة بشكل عام[٤].

ومن آثار نكبات الوزراء على الخليفة العباسي في العهد السلجوقي القلق والمضايقة، الذي ينتابه في أثناء انشغاله في الصراع الحاد المتكرر بين الوزير السلجوقي وبين الوزير العباسي[٥]، الذي نتج عنه حرمان الخليفة العباسي القائم بالله من وزيره فخر الدولة بن جهير

(١) سيديُو، تاريخ العرب العام، إمبراطورية العرب، حضارتهم، مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، (د. ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص٢٤٠.

(٢) البغدادي، تاريخ بغداد، (٩/٤٠٢).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/٣٤٣).

(٤) مدحت محمد عبد النعيم، تاريخ الدولة العباسية- العصر العباسي الثاني- عصر نفوذ الأتراك والعصر البويهي، ط١، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٥٢.

(٥) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٥٥.

سنة ٤٦٠ هـ/١٠٦٨م[١]. كما تأخرت أعمال الخلفاء وعدم قضاء مهامهم مع سلاطين السلاجقة، وبهذا توقفت سفاراتهم التي اعتمدوا فيها على الوزراء، حتى أصاب الخلفاء الذل والهوان بدونهم، وتزعزع أمنهم في مناصبهم، وذلك عندما طلب الوزير السلجوقي نظام الملك من الخليفة المقتدي بأمر الله أن ينكب وزيره عميد الدولة بن جهير، فقد استخدم مع الخليفة أسلوب التهديد، حتى إن الخليفة العباسي يؤكد للوزير السلجوقي أن هذا الوزير وزير له وليس وزيرًا لهم، وأنه يقضي للخليفة جميع أموره المهمة معهم[٢].

كما أن الخليفة المقتدي لأمر الله حُرم من وزيره أبي شجاع، التي استعادت الخلافة العباسية في إبان وزارته شيئًا من ازدهارها، فعم الأمن، ورخصت الأسعار[٣]. كما أن الخليفة المقتدي لأمر الله كان يعاني من فقدان وزيره أبي شجاع، وأخذ يراسل نظام الملك يُذكره بمنزلة أبي شجاع لديه وفضله ودينه، وطلب من نظام الملك عدم نفيه إلى بغداد لكن لم يستجب لطلبه[٤]. كما عانى الخليفة المسترشد بالله من فقدان وزيره جلال الدين الحسن بن صدقة، الذي وقف معه كثيرًا أثناء محاولاته الرامية للتخلص من قوة نفوذ السلاجقة، وحماية الخليفة عندما نكب عن الوزارة، فلم يطب له الحال حتى أعاده إلى منصب الوزارة مرة أخرى، وظل جلال الدين بن صدقة يلي وزارة الخليفة المسترشد بالله حتى توفي هذا الوزير سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م[٥].

وكان من آثار نكبات الوزراء الإيجابية تحرر الخليفة المستعين بالله من استئثار سيطرة الوزير التركي أوتامش بأمور الخلافة، وذلك عندما قُتِل هذا الوزير سنة ٢٤٩هـ/٨٦٤م، بعد أن سيطر على أموال بيت المال، واستولى عليها دون الخليفة العباسي المستعين بالله[٦].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم (١٦/١٠٦).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٩/١٧٦).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٩/٥٦).

(٤) ابن قاضي، طبقات الشافعية، (٤/١٣٧).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٩/٢٥٤- ٢٥٥).

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/ ٢٦٣-٢٦٤)؛ مسكويه: تجارب الأمم، (٤/١٥١).

وكان من آثار نكبة الوزير الشيعي جعفر بن محمود الإسكافي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م في عهد الخليفة المهتدي بالله، إنقاذه منصب الوزارة في عهد هذا الخليفة، وهو بحد ذاته إنقاذ للخلافة من قبضة النفوذ الشيعي[١]. كما أن الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله تحرر من استئثار وقبضة الوزير أبي القاسم علي بن مُحَمَّد الزينبي على أمور الخلافة العباسية سنة ٥٣٤هـ/١١٤٠م[٢].

ونخلص ممَّا سبق إلى أن بعض نكبات الوزراء في العصر العباسي الثاني أضعفت الخلفاء العباسيين، الأمر الذي جعل الخليفة يفقد صفته الاعتبارية كرأس لذلك التنظيم الذي سيطر على الحياة السياسية في العصر العباسي الأول، وفَقْد ما كان يحظى به من القداسة والهيبة في نفوس الناس، وتعرض الخلفاء بسبب ذلك لصور كثيرة من الامتهان وقت نفوذ الأتراك، ثم حذا حذوهم بنو بويه في التنكيل بالخليفة العباسي والاستهانة به، فصاروا يعاملونه أمام الناس جميعًا معاملة سيئة، لا تُرَاعى فيها حرمة ولا يُعرَف له فيها قدر، يقول أحد الباحثين: ويبدو أن هذه المعاملة القاسية حدثت بعد دخول بني بويه لبغداد مباشرة؛ بهدف فرض التسلط البويهي بالقوة، وبث الهلع في نفوس الناس[٣].

وكنتيجة حتمية لهذه النكبات وصلت الخلافة العباسية إلى مرحلة من التدهور والضعف، وضياع هيبة الخليفة، الذي أصبح خلالها لعبة في يد العسكريين وسلاطين السلاجقة؛ بل وتغلّب هؤلاء على شؤون الخلافة[٤]، كذلك أصبح الخليفة العباسي مجردًا من النفوذ في كثيرٍ من مجريات الأمور حتى في داخل عاصمته، ولم يكن يُرجع إليه في أي أمر من أمورها، ويصور ابن دحية[٥] هذا الوضع بقوله: "لا يتعدى حكمه بابه، ولا يتجاوز جنابه"، واستأثر نواب

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (١١/١١٨).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (١٠/٨٥).

(٣) إبراهيم سليمان الكروي، البويهيون والخلافة العباسية، ط١، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٠٨.

(٤) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي: مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، اختصار وتعليق وفهرسة موضوعية: مُحَمَّد بن حسن بن عقيل موسى، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤١٨هـ/١٩٩٧، ص٥٣.

(٥) النبراس، ص١٤٤.

السلطان السلجوقي بالسلطة الفعلية، وأصبح الخليفة العباسي في العصر السلجوقي يعيش من الأرزاق والإقطاعيات التي يقررها له سلاطين السلاجقة[١].

---

(١) الراوندي، مُحَمَّد بن علي بن سليمان: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية: إبراهيم أمين الشواربي وعبد النعيم مُحَمَّد حسنين، فؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه ونشر مقدماته: إبراهيم أمين الشواربي، (د. ط. م)، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ص١٧٦.

المبحث الثاني

آثارها على منصب الوزارة

لقد تدهورت مكانة منصب الوزارة كثيرًا، وتضاءلت أهميتها منذ أن تعرَّض الوزراء لنكبات متعددة[1]، وأصبح منصب الوزارة خاضعًا للمناصب الإدارية وحاشية الخليفة؛ لتأثيرهم المباشر وسيطرتهم عليه، ممَّا أدَّى إلى تجاهل تقاليد الوزارة؛ إذ تولاها أحد زعماء الأتراك في خلافة المستعين بالله سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م، وضعف أمر الوزارة والوزراء في تلك الأيام ضعفًا كثيرًا[2]، حيث تركَّز عمل الوزارة في العصر العباسي الثاني في الإشراف على الأموال، ومحاولة الحصول عليها بكل الوسائل؛ لسد حاجات الخليفة، والقواد، والحاشية، ونساء الخلفاء، وحاجة الأتراك، وصار الوزير يجد صعوبة كبيرة في تأدية مهام عمله، وبَعُد منصب الوزارة كل البعد عن مهمته الأصلية، فأصبح الوزير مشغولاً بالانتقام والتخلص من الوزراء السابقين، ومنعهم من قضاء حوائجهم، وصرفهم عن وظائفهم، وهذا أدَّى إلى الإخلال بمنصب الوزارة، وعدم طول فترة منصب الوزير في وزارته، وتغيرهم المستمر، الذي أدَّى إلى عدم نجاح العمل الوزاري[3].

وحرم منصب الوزارة من الوزراء الأكفاء، أمثال الوزير مُحَمَّد بن عبد الملك بن الزيات، والوزير علي بن عيسى، الذين أصلحوا كثيراً من أمور الخلافة العباسية، حيث ساس الوزير علي بن عيسى أمور الخلافة أحسن سياسة، فعمّر الثغور والبيمارستانات، ووزع الرواتب بنظام على جميع الموظفين حسب مراتبهم، واهتم بالمرضى، وبنى المساجد الجامعة، وأنصف الرعية، وأزال الظلم والأعمال الجائرة، ودبَّر أمر الوزارة والدواوين وسائر أمور الخلافة، ونظر في المظالم وألغى الضرائب، ونهى عن شرب الخمور، فعمت بركته على الخليفة والخلافة، وبذلك استقام أمر الخليفة وعادت هيبته، وصلح حال الرعية[4].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٢٦٠/٩).

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٧٨.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (١٠٩/٥).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (١١٠/٥).

كما حُرم منصب الوزارة من الوزراء الذين كان لهم مجالس عامة للناس، يدخل عليهم جميع الناس أمثال الوزير إسماعيل بن بلبل، حيث كان له مجلس عام يدخل إليه المتظلمون والناس على طبقاتهم، فينظر في جميع أمورهم، فلا ينصرف أحد منهم إلا وهو راضٍ، فينفي المظلوم ويصلح حال الرعية جميعهم دون أن يفرق بينهم[(١)].

وحُرم منصب الوزارة من الوزراء الذين اشتهروا بالحلم والرزانة، وجودة الرأي وحسن التدبير؛ كالوزير أبي شجاع مُحَّد بن الحسين الروذراوري، والوزير علي بن مُحَّد بن مُحَّد بن جهير[(٢)]، والوزير أبو علي الحسن بن علي بن صدقة، ومن الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الشيباني، الذي وزر للخليفتين المقتفي لأمر الله والمستنجد بالله، والذي عُرِف بالعدل؛ لذا نال مكانة مرموقة، ويقال عنه إنه كان شامة بين الوزراء لعدله[(٣)].

ويتضح لنا مما سبق أن منصب الوزارة فَقَدَ عدداً من الوزراء الذين يتميزون بالصدق والأمانة، وغزارة العلم والفضل، والرأي السديد، والكفاية في تصريف الأعمال والأموال، وحسن التصرف في مخاطبة الأعداء والأصدقاء[(٤)]. كما فَقَدَ منصب الوزارة الوزراء الذين تجتمع فيهم الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة، والآراء السديدة، وجودة التدبير، وصواب الآراء المفيدة، والعدالة والنزاهة والشجاعة، والإلمام بأمور السياسة، التي يكون الوزير فيها وقت السلم وزيرًا يتسم بالحلم والسكينة، وفي وقت الحرب يكون الوزير شجاعًا صارمًا.[(٥)]

كما فقد منصب الوزارة الوزراء الذين لديهم دراية ومعرفة بقوانين الوزارة[(٦)]، وأيضًا أهملت أمور منصب الوزارة، فكان منها أن الوزير لا يقرأ الرسائل التي تأتي من الولايات وشكاوي الناس، ودفع الرشا من بعض الوزراء، سواء للخليفة أو لنساء دار الخلافة؛ للاستحواذ على منصب الوزارة، وبالتالي فسد أمر الوزارة.[(٧)]

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٦٠/٩).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، (١٤٢/١٧).

(٣) ابن دحية، النبراس ص١٥٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٣٢١/٦).

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٢.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، (١٦٩/٢).

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٦٨٢/١٢).

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، (٧٤/٥).

وكان من آثار نكبات الوزراء قصر مدة بقائهم في منصب الوزارة، فقد تولى مُحَّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزارة الخليفة المعتمد على الله ٢٦٣هـ/٨٧٧م أسبوعاً واحداً فقط[١]، حتى علق عليه التنوخي بقوله: "فقلت في نفسي: لا إله إلا الله، تبلغ الوزارة إلى هذا الحد في السقوط؟!"[٢].

ومن آثار نكبات الوزراء على منصب الوزارة إفشاء بعض الأسرار المتعلقة بالوزارة[٣]، كما عيّن في منصب الوزارة شخصاً أو أكثر في وقت واحد، وقد تكررت هذه الظاهرة في عهد الخليفة المقتدر بالله.[٤]

كما أن من آثار نكبات الوزراء استحداث الراضي بالله منصب أمير الأمراء، حيث قلده الإمارة ورئاسة الجيش معاً، ورد إليه تدبير الخراج والضياع، وتصريف الأعمال في جميع نواحي الخلافة، وفوّض إليه تدبير الخلافة، فأصبح يأمر وينهى وفق هواه، وينفق من بيت المال حسب ما يراه، ويخصص نفقة الخليفة وفق تقديره الشخصي،[٥] ولذلك تصدَّع أمر الوزارة، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمور النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال، وليس له من الوزارة إلا اسمها، ويحضر في أيام المواكب في دار الخليفة ومعه فقط سيفه، كما أنه يقف ساكتًا، وصار الأمر كله لأمير لأمراء ابن رائق وموظفيه[٦]، ومن شدة وهن منصب الوزارة أن يعين الوزير دون تسميتهم بوزراء.[٧]

كما أنه حُرم منصب الوزارة من الوجاهة والتعظيم؛ بسبب اختفاء الألقاب للوزراء العباسيين في عهد الأتراك[٨]، واختفت هذه الألقاب تمامًا في عهد البويهيين، لكنها تجلت وظهرت في عهد السلاجقة بالنسبة لوزراء الخلفاء العباسيين؛ كظهير الدين، وجلال الدين، وعون الدين، ويذكر السيوطي أن أول تلقيب أضيف إلى الدين كان في سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، عندما استوزر الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله أبا شجاع مُحَّد بن الحسين

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٢٥٦/٧).

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ص٢٣٣.

(٣) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٦٩؛ مسكويه: تجارب الأمم (١٣٦/٥).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٠٥/٥).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٤٤٤/٥).

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١١٣/٨).

(٧) الهمذاني، تكملة الطبري، (١٥٢/١).

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، (٣٠٤/٥).

الـروذراوري ولقَّبـه ظهـير الـدين[1]، ولقـب الـوزير مُحَّد بـن مُحَّد بـن جهـير بعميـد الدولـة شـرف الدين[2]، أما أبا علي الحسن بن علي بن صدقة فقد منحه الخليفة المسترشد بالله عدة ألقاب هي: جلال الدين سيد الوزراء، صدر الشرق والغرب، صفي أمير المؤمنين[3].

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣٢.

(٢) التنوخي، حسن المحاضرة، (١٩٨/٢).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١١٨/١٨).

المبحث الثالث

آثارها على التنظيمات الإدارية

أصبحت التنظيمات الإدارية التي كانت مهمة الخلفاء والوزراء ومرجعها إليهم في تنظيم شؤونها وأعمالها محط ضعف واستغلال حتى أهملت وتزعزعت أمورها، وأدَّى ذلك لانقطاع الصلات بينها.[١]

فكان لنكبات الوزراء آثار سلبية على التنظيمات الإدارية، حيث يعد الجيش الركيزة الأولى للخلافة؛ بل وأصبح هو السلطة الأولى، تخضع لها كل السلطات الأخرى، ابتداءً من الخليفة والوزارة وكل الدوائر الأخرى. كما أن مفاهيم الجيش وأهدافه ومبادئه تبدّلت، فباتت هيمنة إحدى العناصر، والصراع على السلطة بين أطرافه الهم الأساسي له، كما باتت المكاسبُ المادية وتوفير رغبات الجند والقادة هي شرطُ الطاعة للأمير أو للقائد، لذلك لم يكن غريبًا أن يشهد إمرة الأمراء -وهي التي تولى خلالها الجيش السلطة الفعلية في البلاد- أشدَّ حالات الاضطراب والفوضى. وأصبح قوامُ الملك بالمال، وأن الجند لا يسمعون ولا يطيعون إلا إن أعطوا المال، وإن عدموا المال كان ذلك مدعاة للخروج عن طاعة الدولة وسفك الدماء وانتهاك المحارم[٢]، فكثرت الفتن وزادت حدة الصراع بين فرق الجيش بعضها مع بعض، وعدم انسجامها، الأمر الذي أدَّى إلى فقدان ثمرة تكاتف الجيوش في الخلافة العباسية، وعدم اطمئنان تلك الفرق بعضها لبعض، وهذا أدَّى إلى إضعاف الجيوش رغم كثرتها[٣].

فتصاعد النزاع الداخلي بين القادة الأتراك، وساءت معاملتهم لجنودهم، كما ازدادت شكوى العامة من مضايقاتهم، فتفكك الجيش حتى صار أفراده يدينون بالولاء إلى قادتهم أكثر من ولائهم للوزراء العباسيين، وأصبح الجيش منقادًا للقواد ضد الوزير وضد الخلافة، حتى إن الجيش يخرج خارج العاصمة العباسية لمحاربة الخلافة.[٤]

---

(١) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٣٤- ٣٩- ٦٠- ٦١.

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٠٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٣٦٩/٩).

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٢٦٠/١).

كما كانت المناصب الإدارية في الجيش محل تنافس بين القواد، حتى كانت سببًا في نشوب كثير من الفتن والاضطرابات وتزعزع الأمن.(١)

كما فقد الجيش القواد البارزين؛ بسبب إبعادهم عن عاصمة الخلافة، أمثال بغا وأمثال القائد مؤنس رغم حاجة الدولة لهم، حيث كانوا من أشهر القواد في الذب عن الخلافة، والحرص على محاربة الخارجين عنها، ممَّا تسبب في ضعف الخلافة من الناحية العسكرية والسياسية لمجابهة الأعداء.(٢)

ومن آثار نكبات الوزراء قوة نفوذ كبار القواد وتدخلهم في شؤون الدولة، وكان مُحَمَّد بن رائق والي واسط والبصرة واحدًا من أبرز هؤلاء القواد وأكثرهم نفوذًا وتأثيرًا، حتى ظهر منصب إمرة الأمراء ليقوم بمهمة إنقاذ الخلافة من التدهور الإداري الحاد الذي تعاني منه، في عام ٣٢٤هـ - ٩٣٦م.(٣)

وقد أصبح أمير الأمراء بمقتضى هذا المنصب الخطير الذي لم يظهر قبل ذلك على مسرح الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية القائد الأعلى للجيش، والمسؤول عن إدارة شؤون الدولة والخراج، وأصدر الخليفة الراضي أمرًا بأن يُخطَب لابن رائق على جميع المنابر في جميع النواحي الخاضعة للخلافة، وبذلك تحولت الخلافة والوزارة إلى منصب شرفي، وأصبح شاغل منصب أمير الأمراء هو الحاكم الفعلي للبلاد، ممَّا جعل كبار رجال الدولة أمثال مُحَمَّد بن رائق، وأبي عبد الله البريدي صاحب الأهواز، وبَجْكم التركي، وناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل، وتوزون التركي رئيس الشرطة وغيرهم يتصارعون للوصول إليه، حتى جاء البويهيون فسيطروا على زمام الأمور ووضعوا حدًّا لهذا الصراع.

ومنذ سنة ٣٢٩ - ٣٣١ هـ/٩٤٠- ٩٤٤م بدأت سلسلة من الصراع بين كبار رجال الدولة على منصب أمير الأمراء، ممَّا أضاف مزيدًا من الاضطراب والفوضى إلى الأوضاع الداخلية، وفقد الوزير سيطرته تماماً على زمام الأمور حتى سنة ٣٣١هـ/٩٤٤م.(٤)

---

(١) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/ ٢١).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/٤٧٤).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢/٣٣٦).

(٤) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص١١٠؛ مسكويه: تجارب الأمم (٥/٩٠).

وعندما تكوَّن للخلافة العباسية جيش سنة ٥١٥هـ/١١٢١م للذب عنها وحمايتها ضد أعدائها ومجابهتهم، وتحقق الانتصار المنشود، تصدى سلاطين الدولة السلجوقية للخليفة المسترشد بالله؛ حتى لا يستمر هذا النجاح وقضي عليه.[(١)]

وعندما أصبح للجيش دور بارز في إدارة دفة الحكم، وشكل قادة الجيش جزءًا أساسيًا من الطبقة الحاكمة؛ بل إن مهمة الجهاد والدفاع عن حدود الدولة تركت لجيوش حكام الولايات في أغلب الأحيان، في حين اهتمّ جيش الخلافة في بغداد بالحروب الداخلية وتعيين الخلفاء والوزراء وعزلهم.[(٢)]

ثم بدأ إنقاص عدد الجيش وذلك في عهد الخليفة المستعصم بالله، حيث اقتنع برأي وزيره الرافضي ابن العلقمي بإنقاص عدد الجند إلى عشرين ألف فقط، ولم تحرك بطانة الخليفة ولا أمراء الجند ساكنًا في هذا الحدث المهم والكبير رغم وجود خطر زحف المغول الذي داهم تخوم الدولة العباسية، إذ كان الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم، وأسقط أكثر من دساتير ديوان العرض فآلت أحوالهم إلى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع، ونظم الشعراء في ذلك الأشعار، ويقول ابن كثير: "وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمه من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر بالله قريبًا من مائة ألف مقاتل، فلم يزل الوزير يسعى إلى تقليصهم حتى لم يبق منه سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتر وأطمعهم في أخذ البلاد"[(٣)].

ومن آثار نكبات الوزراء وغياب سلطة الوزير أن أصحاب الدواوين في أكثر الأوقات دخلوا في منافسة دائمة أثقلت كاهل الخلافة العباسية، وظهرت الصراعات المتكررة للوصول إلى مراكز عليا أو للاستحواذ على مكاسب مادية، فكانت من جملة الدواوين التي كونت النظام الإداري للدولة الإسلامية ديوان العطاء، والذي كان مهمته تتمثَّل في صرف رواتب الجنود

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١٢.

(٢) أبو المحاسن، ابن شداد يوسف بن رافع الأسدي الموصلي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٥م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٢٠٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، (٢٣٥/١٣).

والقواد، وابتعد عن التنظيم فحدث فيه التلاعب، وصار عرضة للنهب والسرقة واختلاس أموال الجند. كما تم التقصير من صاحب ديوان الجند، وعدم صرفه لرواتب الجند، واحتجازه مبالغ كبيرة منها لنفسه[(١)].

كما تعرض ولاة ديوان النفقات الخاص بدار الخلافة لكثير من العزل والتولية، فكان مرافقًا للنكبات التي يتلقاها الوزراء، فعندما نكب المتوكل على الله وزيره مُحَمَّد بن عبدالملك بن الزيات نكب والي ديوان النفقات[(٢)]، كما تدهورت أوضاعه ووقع تحت سيطرة حاشية الخليفة، فتعرض للسلب والنهب والسرقة حتى بيعت الجواهر التي في الخزائن.[(٣)]

وأمَّا بيت المال فهو المؤسسة التي تُشرف على ما يَرِدُ من الأموال وما يخرج منها في أوجه النفقات المختلفة؛ لتكون تحت يد الخليفة أو الوزير أو الوالي، يضعها فيما أمر الله به أن تُوضع بما يُصلح شؤون الأمة في السلم والحرب، وتعرض بيت المال للنهب والسرقة، تسبَّب في انقطاع الأموال التي تجبى إليه من ولاة الأقاليم، حيث تهاون أصحاب الولايات بالخلافة والوزارة حتى قطعوا تلك الأموال التي تجبى كل سنة واحتفظوا بها لأنفسهم، ممَّا أدَّى لزيادة العجز المالي للدولة، ونضوب خزينة الدولة، وظهور كثير من الفتن والحروب.[(٤)]

ومن آثار نكبات الوزراء تشجيع بعض الولاة على التمرد والخروج عن طاعة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الوالي الذي كان يتولى أعمال الصلاة والحرب والمعاون والخراج والضياع العامة بأرمينية وأذربيجان، لدرجة أنه حجب أكثر الأموال التي كان يدفعها للخلافة، واجتمع له من ذلك ما قوي به وحمله على العصيان على الخلافة سنة ٣٠٣هـ/٩١٦م.

كما تدهورت مكانة الكتّاب، فكانوا يشاركون الجند في جميع ثوراتهم داخل الخلافة؛ لأنهم تعرضوا لعدة نكبات شأنهم شأن الوزراء وجرى التضييق عليهم، حيث صادر الخليفة المتوكل على الله أموال وضياع الكاتب عمر بن فرج الرخجي، ثم غضب عليه وصفع ستة آلاف صفعة في أيام، وألبس عباءة ثم رضي عنه، ثم سخط عليه ونفاه، توفي ببغداد سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م.

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٩/٥).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٦٣/٩).

(٣) الصولي، ما لم ينشر من أوراق الصولي، ص٧٩.

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٤١/١).

كما حبس أحمدُ بن طولون الكاتب أحمدَ بن المدبر وصادره سنة ٢٦٧هـ/٨٨١م[١].

كما اعتُقِل أحمد ومُحَمّد ابني سعيد الحاجبين، وبنان وسعيد بن عثمان النفاط في يد نذير الحرمي.[٢]

وألزم الوزير حامد بن العباس الكاتب أبا عبد الله زنجي داره[٣]، وقُتِل الكاتب أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن هلال ابن أبي عون الأنباري سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م.

أمَّا بالنسبة لعمال الولايات فقد تعرَّض لكثير من الزعزعة وعدم الاستقرار، حتى كثرت التولية والعزل لعمال الولايات، فقد كانوا يقلدون للولاية الواحدة كل شهر عاملاً جديداً.[٤]

ونتيجة لتوالي النكبات على وزراء العصر العباسي الثاني فقد انعكس ذلك بدوره على ديوان البريد، حيث أهملت الرسائل التي ترد إليه من داخل بغداد وخارجها، وصارت لا تُقرَأ ولا ينظر إليها، والتي تعد عوناً في الإشراف على أمور الدولة، والتي من خلالها يقف الخليفة على أعمال الولايات وسائر رجال دولته.[٥]

ومن آثار نكبات الوزراء التزوير على توقيعات الوزراء، والتي تكتب[٦] على أيدي القواد والحاشية والرعية، وتنسب إلى الوزير؛ لاستنزاف ثروات الدولة بنواحيها كافة، ولم يشمل التزوير الوزراء الضعفاء، بل شمل التزوير حتى توقيع الوزراء الأكْفاء، وذلك بعد تعرضهم للنكبات، حيث تم التزوير من خلال الحيل والرشوة حتى ظهرت توقيعات عندما ولي ابن الفرات الوزارة في المرة الثالثة، زوّرت على أنها بخط الوزير القدير المنكوب علي بن عيسى، تضمَّنت زيادات في رواتب الجنود.[٧]

ومن آثار نكبات الوزراء تعرض القضاة إلى مصادرة أموالهم وملازمة دارهم واعتقال أسرهم، فقد عزل القاضي يوسف بن يعقوب وألزم داره وصودرت أمواله واعتقل ابنه أبي عمر،

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥٦٩/١٤).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم (٧٩/٥).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (١٠٠/٥).

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٣٢/١).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (١١٢/٥).

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، (٣١/٥ – ٣٢).

(٧) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص١٣٦ – ١٣٧.

وذلك بعد نكبة الوزير العباس بن الحسن سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م[١]، وقد أشار التنوخي إلى اختلال أمر القضاء، فهو أول ما انحلَّ من نظام سياسة الملك، ويحمل مسؤولية ذلك للوزراء كابن الفرات، الذي أوصل إلى القضاء رجالاً لا علم لهم، وذلك عندما تعرض للعزل في وزارته الأولى سنة ٢٩٩هـ/ ٩١٢م؛ وذلك سعيًا وراء الضمانات، ثم إن ابن الفرات قد حث القاضي يوسف بن يعقوب على رشوة الخليفة المقتدر بالله؛ كي يطلق سراح ابنه المعتقل أبي عمر مُحَمَّد بن يوسف القاضي؛ بسبب حادثة ابن المعتز[٢]، كذلك كان من جراء نكبة الوزير ابن الفرات في وزارته الثانية قبض أمير البصرة على القاضي أبي أمية وأودعه السجن، ومات فيه سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م، ولا يُعرَف عن قاض مات في السجن سواه.[٣]

كما تعرض القضاة في العصر البويهي لعدة نكبات؛ بسبب تعدد نكبات الوزراء، وبالتالي زوال هذا المنصب وخلوا الساحة للأمراء البويهيين، وتحديدًا في عهد الأمير معز الدولة، حيث صودرت أملاك قاضي القضاة أبي السائب عُتبة بن عبيد الله سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م عند وفاته، حيث يقول مسكويه: "مات قاضي القضاة أبو السائب عُتبة بن عبيد الله وقبضت أملاكه".[٤]

وفي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م استعفى قاضي القضاة ببغداد أبو مُحَمَّد بن معروف؛ لأنه رفض إمضاء أمر غير شرعي، فقام الأمير عضد الدولة باعتقاله سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م وأرسله إلى أحد قلاع فارس، وكان سبب ذلك ما اتُّهم به من التقصير في حق عضد الدولة [٥]

وفي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م قبض الأمير البويهي فخر الدولة على قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد وصادره وصادر جماعته.[٦]

كما انقطعت خدمة قاضي القضاة أبي الحسن الماوردي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م بعد أن منع من جواز أن يزاد في ألقاب جلال الدولة البويهي (شاهنشاه الأعظم) ملك الملوك، حيث يقول ابن الجوزي: "إن الماوردي منع من جواز ذلك، وكان مختصًا بخدمة جلال الدولة، فلما

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٦٦).

(٢) الصابئ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٣٢- ٣٣.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، (١/٢٣٤ - ٢٣٦).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم (٥/٣٣٥)؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٧/٢٧١).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (١٤/٢٦٧).

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/٤٧٢).

امتنع عن الكتابة انقطع عن خدمته، واستدعاه جلال الدولة بكرة يوم العيد فمضى على وجل شديد يتوقع المكروه، فلما دخل على الملك قال له: أنا أتحقق أنك لو حابيت أحدًا لحابيتني؛ لما بيني وبينك مع كونك أكثر الفقهاء مالاً، وأوفاهم جاهًا وحالاً، وما حملك على مخالفتي إلا الدين، وقد قربك ذلك مني وزاد محلك في قلبي، وقدمتك على نظائرك عندي".[1]

كما أنه قبض القائد الشيعي البساسيري على القاضي أبي عبد الله الدامغاني وسجنه[2] عندما دخل بغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، بعد قتل الوزير ابن المسلمة رئيس الرؤساء وذلك في عهد الخليفة القائم بأمر الله[3]، حيث قيَّده البساسيري وأطلقه على مال قرره عليه قيمته ثلاثة آلاف دينار، فدفع منها سبعمائة للبساسيري ولم يطالبه بباقي المال.[4]

ومن آثار نكبات الوزراء تهاوي مسؤولية الشرطة، التي مهمتها المحافظة على الأمن في البلاد ومطاردة المجرمين وأهل الفساد، فلما فقد الوزير مكانته وهيبته؛ نتيجة ما تعرض له من نكبات فَقَدَ تلك السلطة، فانعكس ذلك على الأمن داخل العراق، فلم يستطع أمير الجيش إخماد النهب والفتن والسرقة وكثرة التخريب، فشملت دور العامة ودور التجار، كما أن المفسدين تعدَّوا على أمن العامة، حتى أخرج المجرمون الذين في السجون[5]. كما تجرَّأت العامة على إحراق المباني[6] سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٨م، كما ثار جماعة من العيارين وتعدُّوا على قتل من بداخل السجون ومن هم خارجها، ثم عادوا مرة أخرى وأخذوا الثياب والبغال دون مجابهة، يعلق المؤرخ ابن الجوزي على ذلك بقوله: "وانبسطوا انبساطاً زائدًا عن الحد".[7]

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١٥/٢٦٤– ٢٦٥).

(٢) مُحَّد بن علي بن مُحَّد بن حسنويه، قاضي القضاة، أبو عبد الله الدامغاني، شيخ زمانه، حصل العلم على الفقر والقنوع، وآل به الأمر إلى أن ولي قضاء القضاة للمقتدر بالله ولأبيه، وكان مثل القاضي أبي يوسف في أيامه حشمة وسؤددًا وعقلًا ووجاهة، توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. (الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤/١٠٢– ١٠٣).

(٣)البغدادي، تاريخ بغداد (٩/٤٠٢) ؛الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٥/١٣٩).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم (١٦/٣٨)؛ الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص٢٧١.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٧٢).

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٠/١٠).

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، (١٥/٢٧٥).

ونخلص ممَّا سبق إلى أن التنظيمات الإدارية واجهت تحولاً كبيرًا في مجالها الإداري، فبعدما كانت يدها بيد الخلافة، وهمُّها المحافظة على ميادينها، أصبحت عالة على الخلافة، فتردت حالة الجيش، وكثر السلب والنهب، وعدم الاستقرار، والخوف على الأموال والأنفس والأعراض، وتقليل رواتب الجنود، واستنزاف ثروات بيوت المال وديوان النفقات، والاعتداء على القضاة، وانتشار التزوير، والحد من مهمة الشرطة الذي يُعد أمرًا سياسياً حتى وهن وضعف، حيث يُروَى أن أحد الجنود الأتراك اقتحم منزل أحد الأشراف في غياب صاحبه؛ وذلك للاعتداء على النساء، فلم يستطع أحد التصدي له، وما كان من أحد الغيورين إلا أن شرع في الأذان، فسمعه الخليفة واستدعاه ليرى فيه رأيًا لقدومه على هذه المخالفة، فأخبر الخليفة بأمر الجندي، واعتذر بأنه لم يجد وسيلة للوصول إلى مجلس الخليفة؛ بسبب حجب الجنود الأتراك للناس عن الوصول إلى مجلسه، فبادر الخليفة ومن حضر عنده من كبار القادة بإنقاذ هذا البيت الشريف من الأذى، وهذه الصورة تبيِّن مدى ما وصل إليه المجتمع في هذا العصر من الانحطاط.(١)

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢/٣٢٠).

المبحث الرابع

آثارها على الحياة الاقتصادية

لقد أثَّرت نكبات الوزراء على الحياة الاقتصادية في الخلافة العباسية، ولم تستطع الخلافة القيام بأعمالها وعدم ممارسة التجار لأعمالهم[1]؛ وذلك للفوضى الاقتصادية التي أرهقت خزينة الدولة ونهب أموال الناس، حتى فشلت محاولة المحافظة على أموال الخلافة وصيانتها من خلال العابثين بها، وبدأ استغلال أموال الخلافة منذ زمن مبكر سنة ٢٤٨هـ/٨٦٤م.[2]

فقد استولى الولاة على أموال الأقاليم الواقعة تحت حكمهم، الأمر الذي قوَّى من نفوذهم ونهبوا أموال الخلافة بغير وجه حق[3]، فقد حجز ابن رائق إيرادات واسط والبصرة وقطع البريدي موارد الأهواز، وذلك سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م.[4]

أمَّا اللصوص فقد أغاروا على بيت المال ثلاث مرات، ونهبوا ما فيه، فكانت المرة الأولى سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م، حيث دخلوا على بيت المال في دار قصر الخليفة، وأخذوا اثنين وأربعين ألفًا من الدراهم، وشيئًا من الدنانير، وفي المرة الثانية كانت سنة ٢٥٢هـ أغار الأتراك على بيت المال فنهبوه وأخذوا خمسين دابة، والمرة الثالثة دخلوا أيام الخليفة المعتز بالله على بيت المال ولم يجدوا شيئاً وذلك سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[5]، حتى وصل الأمر بنهب كسوة الكعبة وهذا أكبر دليل على سوء الأحوال الاقتصادية[6]. كما ساعد على زيادة إرهاق خزينة الدولة الجند الذين يستغلون الاضطرابات السياسية بنهب الأموال والذخائر الثمينة من الجواهر والفضة والأواني الفضية والذهبية والتحف، والتي كانت بمثابة أموال احتياطية يُهرَع إليها عند الحاجة، ولعلَّ أكبر عملية نهب حدثت سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، فقد هاجم الجند دار الخلافة مستغلين حوادث الشغب فسرقوا كل ثمين فيها.[7]

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، (٢/٤٠٧).

(٢) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/٨٦).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٩/٢٦٣- ٢٦٤)؛ مسكويه: تجارب الأمم (٤/١٥١).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٣٣٨).

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٩/١٤٠).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، (١٢/٢٠٧).

(٧) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/١٢١-١٢٣).

وتـوالى النهـب لـدار الخلافـة بعـد ذلـك لعـدة مـرات، فقـد نهبهـا الجنـد سـنة ٣٣٠هـ/٩٤١م.[١]

كذلك انعكست نكبات الوزراء واستبداد أمير الأمراء بالسلطتين المدنية والعسكرية على الحالة الاقتصادية في الدولة العباسية، وخلق ذلك أزمة اقتصادية حادة، فتنافس بعض من تولوا منصب إمرة الأمراء في صك العملات؛ للحصول على أموال طائلة وتوفير النقود لبعض قواد الجيش، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما حدث سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م عندما ضرب أمير الأمراء بجكم دنانير رديئة، مصنوعة من المعدن لرخصه، فوّلد هذا اضطرابًا ماليًا، وبعدها جاء ناصر الدولة الحمداني سنة ٣٣٠ هـ/٩٤١م حاول القضاء على هذا التضخم، فصك نقودًا جديدة على وزن جيد، وهنا نلاحظ أن الصيارفة يميلون إلى هذا الشيء؛ لأنهم يحققون فيه أرباحًا بسبب فرق العملة.[٢]

ويشير المقريزي إلى أن الدراهم تدهورت في العصر البويهي بإضافة نسبة عالية من الخليط الرخيص، حيث أصبح سعر صرف الدينار سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م يساوي (١٥٠) درهمًا، وهي نسبة قليلة إذا ما قورنت بالفترات السابقة.[٣]

كما نتج عن دورات الغلاء التي عانت منها العراق في تلك الحقبة الزمنية، حدوث حالات تذمر وانتفاضات وفتن داخلية، فمنذ مطلع القرن الرابع الهجري وحتى دخول البويهيين بغداد وقعت أربع موجات غلاء، وذلك خلال سنوات ٣٠٧هـ/٩١٩م و٣٢٣هـ/٩٣٤م و٣٢٩-٣٣٠هـ/٩٤٠-٩٤١م وسنة ٣٣٢هـ /٩٤٣م.[٤]

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم (٢/٢٥)؛ ابن الأثير، الكامل(٨/٣٧٣).

(٢) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص١٣٦.

(٣) تقي الدين، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م): إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، مصر، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، ص٦٢.

(٤) محمد عويس، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ، (د. ط)، دار الثقافة للطباعة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، ص١١٩.

وفي سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م ارتفعت الأسعار في بغداد وثار العامة وهاجموا دار الوزير أبي علي بن مقلة، وحدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين الجند الذين حاولوا الدفاع عن الوزير، فأحرقت الجسور، وفتحت السجون، ونهبوا دار صاحب الشرطة ودور غيره من القواد، ثم وجّه الخليفة المقتدر بالله الجيش لقمع الفتنة، ونتج عن ذلك قتل عدد كبير من العامة، ورغم ذلك استمرت الفتنة والمناوشات بين العامة والجند؛ حتى أمر المقتدر بفتح الدكاكين والبيوت التي للوزير أبي علي بن مقلة وللسيدة أم الخليفة والأمراء والوجوه من أهل الدولة، وبيعت الحنطة بنقصان خمسة دنانير عن سعرها المعتاد، فرضيت العامة وسكتوا واستقرت الأسعار[١].

وكان للعيارين والشطار نصيب كبير في نهب أموال الناس، فقد تألّف منهم فرق منظمة، تخضع لزعيم يدعى مقدم العيارين، وكانت فرقهم تنتهز انشغال الناس في الفتن التي تثار عقب نكبة الوزراء، فيغيرون على منازل الأغنياء، وتنهب الأموال والخيول والأسلحة.[٢]

ونخلص ممَّا سبق إلى أن نكبات الوزراء أثّرت على الوضع الاقتصادي المتردِّي أصلًا في الخلافة العباسية خلال عصرها الثاني، والذي عمّ حياة الناس الغني والفقير، والقوي والضعيف، والفشل الذي شمل جميع النواحي الزراعية والمعمارية، واستغلال الناس بالضرائب، ونفاذ أموال بيت المال، ومشاكل الإسراف والتبذير والتفريط، وغلاء الأسعار، وتنويع العملات، وعمليات ارتفاع الأسعار والبيع والشراء، وزيادة ونقص رواتب الجند، وفوضى الضمانات، والنهب والسرقة الذي عمّ خزانة الدولة، ومن ثمَّ أدَّى إلى إفلاسها، وهي الأساس الذي تعتمد عليه جميع ميادين الدولة وبدونه ينتج التدهور والضعف[٣]، يقول ابن الجوزي: "وكان أمر الخلافة قد ضعف، وبيوت الأموال فارغة".[٤]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٣٣٨/٩).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (٢٠٢/٥- ٢٠٣).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٤٠/٩).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، (٣٠٦/١٢).

المبحث الخامس

آثارها على الحياة الاجتماعية

من آثار نكبات الوزراء في العصر العباسي الثاني انعدام الاستقرار، وازدياد الخوف والاضطراب الذي عم المجتمع؛ لذا تعطلت الحياة المدنية، ولم يستطع الناس ممارسة أعمالهم في أمن، وخافوا على أعراضهم وأموالهم، وتفككت الروابط بين الطبقات الاجتماعية[(١)].

فقد تأثَّرت أسر وأقارب الوزراء المنكوبين، حيث سجن أبناء الوزير سليمان بن وهب عبيد الله وإبراهيم وأقرباؤه في دار أبي أحمد الموفق، ونهبت جميع أموالهم ودورهم وذلك سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م.[(٢)]

كما تعرض أبناء الوزير صاعد بن مخلد للسجن ببغداد في رجب سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م[(٣)]، وتعرضت أسرة الوزير أبي الحسن بن الفرات للنهب وانتهكت حرمتها ونهبت دور كتّابه وأموالهم وذلك في وزارته الأولى سنة ٢٩٦هـ/٩١٠م[(٤)]، وسجن المحسن ابن الوزير علي بن مُحَّد بن الفرات في وزارة أبيه الثانية، وسجن أصحابه وأتباعه[(٥)] وكان مكان سجنهم في دار المقتدر.[(٦)] كما سُجِن أبناء الوزير علي بن مُحَّد بن الفرات وأصحابهم في وزارته الثالثة في يوم الثلاثاء ٢١ من شهر ربيع الآخر، سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م[(٧)].

كما تعرضت أسرة وأقارب الوزير علي بن عيسى الجراح بن داود الجراح للسجن والمصادرة في يوم الإثنين الثامن من ذي الحجة سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م، فقد قبض على إخوة هذا الوزير ونهب منازلهم ومنازل حاشيتهم وذويهم، وقد بلغت الأموال التي صودرت منهم مائة وعشرين ألف دينار[(٨)].

---

(١) الصابئ، تحفة الوزراء في تاريخ الوزراء، ص٣٠٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٥٤٤/٩).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤٢٧/٦).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٧٢/٥).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦٥٧/٦).

(٦) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٥٩/١).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦٦٢/٦).

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦٥٧/٦).

كما قبض على أصحاب الوزير حامد بن العباس، وصودرت أموالهم التي بلغت مائة ألف دينار، وصودرت أموال حاجبه التي بلغت عشرين ألف دينار، كما صودرت أموال كاتبه التي بلغت ثمانين ألف دينار، وذلك أثناء وزارة علي بن مُحَّد بن الفرات سنة ٣١١هـ/٩٢٣م.[١]

كما سجن الخليفة المقتدر بالله أبناء الوزير مُحَّد بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان عبدالله وعبدالواحد وذلك سنة ٣٠١هـ/٩١٤م[٢].

كما سجن الخليفة القاهر بالله أبناء وإخوة وحرم الوزير أبي جعفر مُحَّد بن القاسم بن وهب في يوم الثلاثاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م[٣].

كما تعرض للمصادرة العمال والنواب، حيث صودرت أموال كل من يلجأ إلى الوزير عميد الدولة مُحَّد بن مُحَّد بن مُحَّد بن جهير بعد عزله سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[٤].

كما تعرض أبناء الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م للظلم والقتل من الوزير أبي جعفر أحمد بن مُحَّد بن البلدي، فصادر أموالهم وسلب قطاعهم، وأرغمهم على بيع ثيابهم وأثاثهم وضربهم وحبسهم، ثم قتل جميع أبنائه فلا قوة إلا بالله[٥]، وامتد ظلم الوزير أبي جعفر البلدي إلى الكتّاب والعمال وأولاد الوزراء السابقين حتى أصبح ظلمه أمرًا مألوفًا عند الجميع، وذهب أيضاً ضحية لهذه المعاملة الجائرة أفراد وأسر الوزراء المنكوبين أولاد الوزير مؤيد الدين مُحَّد برز القمي، حيث قبض الخليفة المستنصر عليهم وسجنهم مع أبيهم في باطن الأرض في دار الخلافة فمات الأبناء مع أبيهم سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م[٦].

ومن آثار نكبات الوزراء عدم استقرار أحوال السكان، فغالبًا وأمام أية اضطرابات داخلية أو خارجية كانت الفتنة تعم بغداد، خاصة وأن الصراعات لم تكن صراعات مستورة؛ بل كانت دائمًا صراعات علنية ومباشرة تمس السكان بصورة مباشرة، فصراع الجند والقادة والحروب

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٢٢٥/١١).

(٢) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (٤٣/١).

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٣١/٤).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢١٠/١).

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٣٣٥/٣٨).

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٢٩/١).

بينهما كان ضحيتها الأولى السكان، كذلك عند الإطاحة بالوزير تهتك حرمته وتنهب أمواله ودور أصحابه، كما أنه من جراء ذلك يطمع اللصوص والعيارون، وتكثر الفتن، وتكبس دور التجار، وتؤخذ بنات الناس في الطريق المنقطعة، وليس هناك أكثر من ذلك من فساد.[(١)]

وهذه الفتن التي عمت الخلافة قد بدأت من العاصمة سامراء وشملت بغداد، حيث علق أحد الباحثين على ذلك فقال: وشهدت فترة سامراء الخطيرة والمثيرة الكثير من الصراعات، وكل ذلك أدَّى إلى إضعاف السلطة المركزية، سلطة الخليفة والعاصمة سامراء، وفُتِح الباب على مصراعيه للطامعين في السلطة من قادة الجيش العباسي والولاة.[(٢)]

ومن آثار نكبات الوزراء تزايد الفتن والحروب كما حدث ما بين سنة ٢٩٦ و٣١٧هـ/ ٩٠٩ و٩٢٩م[(٣)]، كما كثر النهب والقتل في بغداد، ووقع قتال بين العامة والجند، وفُتِحَت الدكاكين في الليل، وبُعِثَت إليها البغال وحُمِلت عليها بضائع التجار وصودر كل شي فيها، وشارك في ذلك رجال الخليفة أنفسهم وتنافسوا في كثرة النهب والقتل.[(٤)]

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٨٥).

(٢) عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلي،ثلاثية الحكم في العصور العباسية الخلافة والسلطة والدولة، قدم له: إبراهيم بيضون، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤، ص٦٥.

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، (١/١٤٠).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/ ١٤٧).

المبحث السادس

آثارها على الحياة العلمية

أسهمت نكبات الوزراء في تردي الحركة العلمية والأدبية، فقد انشغل الوزراء المنكوبون في أنفسهم وانصرفوا عن عقد المجالس العلمية والأدبية فضلاً عن حضورها في ديوان الخلافة[١]، وقلَّ إنشاء المكتبات العلمية وتزويدها بالكتب، وتأسيس المدارس، وتأمين النفقات اللازمة للطلاب والعاملين، ممَّا أخَّر عجلة التقدم العلمي والأدبي.[٢]

ومن آثار نكبات الوزراء فقدان المدارس للعلماء الأكفاء الذين كانوا على درجة عالية من العلم، فقلَّ تدريسهم لكثير من العلوم الدينية كالفقه والفرائض والعروض[٣]، وعلوم اللغة الأدب والنحو، والحديث وعلومه، ونظم الأشعار في جميع مصنفاته[٤] في المدح، والهجاء، والغزل،[٥] والنثر.[٦]

كما فُقِد بضعة من العلماء الذين أسهموا في تأسيس مكتبات زخرت بشتى أنواع الكتب، التي تتناول فنون المعرفة وأبواب العلوم المختلفة، والتي تعتبر من كبريات المكتبات الخاصة في حينه كثرةً، أمثال مكتبة مُحَمَّد الفتح بن أحمد بن غرطوج خاقان، كما فقدت الدواوين الكُتَّاب الذين يكتبون لعمال الولايات الرسائل المسجوعة، والتي تدل على علو كعبهم في ميدان الأدب والسياسة معًا.[٧]

كما تعرض للاضطهاد عدد كبير من الشعراء المشهورين، الذين تميزوا بالكتابات النادرة في ذلك الوقت، حيث لم يكن أحد من كتاب الترسل يقاربهم في فنهم وتوسعهم في النظم الرائق

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، (٣١٨/١).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، (١٨/٢).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٤٢/١٦).

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، (١٨/٢).

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، (١٤٥/٢).

(٦) الحموي، معجم الأدباء، (٩٣٣/٢).

(٧) ابن النديم، الفهرست، (١٤٨/١).

والنثر الفائق[1]، ولم يبق إلا آثارهم، وكتبهم، ومنها كتاب الرسالة العذراء في موازين البلاغة، وأدوات الكتابة، وكان من أهمهم أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَّد بن عبدالله بن المدبِّر.[2]

ومن آثار نكبات الوزراء فقدان تقديم كثير من المكافآت المالية لأهل العلم والأدب والطلاب[3]، والتي تعينهم لرفع قدرهم وإكرامهم[4]، وتشجيعهم على حفظ القرآن الكريم والكتب الدينية والمصنفات.[5]

كما أن الساحة العلمية خسرت أصحاب الخطوط النيرة من الوزراء الذين اتسم خطهم بالجمال البديع، وذاع صيتهم في الدنيا، وبلغوا به درجة عالية في نفوس الناس، مثل الوزير أبي علي مُحَّد بن مقلة، الذي بلغ في الخط العربي شأنًا عظيمًا، وكان خطه يضرب به المثل في عهده، وهو شيخ الخطاطين ومهندس صناعتهم[6]، ممَّا أثر على إنجازات هندسة حروف الخط العربي، التي وضع لها القوانين والقواعد على الطريقة البغدادية في الخط الكوفي[7]، ولقد ذُكر في صبح الأعشى عن جودة الخط بأنها انتهت بابن مقلة بقوله: "ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة إلى الوزير أبي عليّ مُحَّد بن مقلة".[8]

وكذلك قال عنه ياقوت الحموي أيضًا: "كان الوزير أوحد الدنيا في كتبه قلم الرقاع والتوقيعات، لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع"[9]، وقال الثعالبي أيضًا: "خط ابن مقلة يُضرب مثلاً في الحسن؛ لأنه أحسن خطوط الدنيا".[10]

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، (١/١٠٢).

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، (٦/٧١).

(٣) ابن طباطبا: الفخري، ص٢٤٩.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، (١٣/٢٠٢).

(٥) ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، (٨/٨١).

(٦) الحموي: معجم الأدباء، (٢/٩٣٣).

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى (٤/٤٨٨).

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، (٢/١٨).

(٩) الحموي: معجم الأدباء، (٢/٩٣٣).

(١٠) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٢٠٢.

كما فُقد خط الوزير أحمد بن الخصيب حيث كان جميل الخط، كما فقد خط الوزير سليمان بن وهب الذي كان: "أكتب خلق الله يداً ولساناً"، وقد تميزت كتابته بالخط المنسوب المترابط السهل المفهوم[١].

ومن آثار نكبات الوزراء هروب بعض الشعراء المبرزين في مجالسهم خوفاً من قتلهم ومن ذلك مثلاً عندما وصل خبر قتل الوزير ابن بقية في صلاة الفجر للفقيه المفسِّر والشاعر الكبير أبي الحسن الأنباري وهو في المسجد، فدعا طلابه وقال: هيا بنا لرد الجميل، وعندما وصلوا عنده والحراس مجتمعون حوله؛ لمنع الناس من إنزاله، والنيران تشتعل، وإذا بالرياح تلفح وجهه وهو منتصب كأنه علم، والناس مجتمعون حوله هذا يهلل، وهذا يكبر، وهذا يشير بيده، وهذا ينظم قصيدة، فأمر عضد الدولة بالقبض على ابن الأنباري فهرب[٢].

ومن آثار نكبات الوزراء ضياع بعض المؤلفات والرسائل والأشعار لبعض المؤلفين الوزراء[٣]، والحد من تأليف الكتب وخاصة التأليف بمعاني القرآن[٤] وتفسيره، وعلم الإسناد، والاهتمام بالشعر الواسع[٥]، وعلم الترسل، وعلم فنون الكتابة وأساليبها، وفن الإدارة[٦]، كما حدت من التأليف في رسائل علم الخط والقلم[٧]، وفي دراسة العربية[٨]، وكتابة المصاحف[٩]، وفنون الأدب، والبلاغة والبيان[١٠] والعروض.[١١]

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢٩/١٣).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (١٣٠/٤).

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، (٤٨٦/٢).

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٨٦.

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، (٢٢٦/٢).

(٦) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٣١.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، (٤٨٦/٢).

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٢٥٠/١٠).

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٩/١٩).

(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٠/١٩).

(١١) ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، (٨١/٨).

ومن آثار نكبات الوزراء على الحالة العلمية احتراق دار العلم، التي كانت تؤدي خدماتها لطلاب العلم والأدب سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م؛ إثر دخول السلاجقة بغداد، ولما وقع الحريق فيها نهب العامة بعض كتبها، فجاء الوزير السلجوقي عميد الملك الكندري وأخذ خيار كتبها.(١)

ويذكر ابن كثير أن دار العلم كانت أول مدرسة وقفت على أهل العلم(٢)، وبلغ من أهمية هذه المكتبة في نشر المعرفة والعلوم أن أحد العلماء ببغداد ويدعى أبو الحسن مُحَّد بن هلال الصابئ أقام عوضًا عنها دارًا أخرى في الجانب الغربي من مدينة بغداد وزودها بألف كتاب.(٣)

ونخلص ممَّا سبق إلى أن من آثار نكبات الوزراء تقلص انتعاش الحالة العلمية في العالم الإسلامي بصفة عامة وفي العراق بصفة خاصة حتى دخل المغول بغداد، حيث كانت مركزًا هامًا للعلوم والآداب والفنون يهرع إليه العلماء وطلاب العلم؛ للتزود بالثقافة الإسلامية التي كانت تتمثل هناك بأجلى معانيها، فقد كانت تلك المدينة غنية بعلمائها وأدبائها وفلاسفتها وشعرائها الذين كان من بينهم عدد من الوزراء المنكوبين، وكان كل هؤلاء بمثابة أساتذة وقادة لرجال العلم والأدب في مختلف أنحاء الشرق الإسلامي.(٤)

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٠/٣٢).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (١١/٣١٢).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (١٧/٢١٦).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٧/٣٨٦).

المبحث السابع

آثارها على الأقاليم خارج العراق

تشعبت آثار النكبات التي اكتوى بنارها الوزراء فأنعكس ذلك على منصب الخليفة الذي يعد أهم منصب بالدولة الإسلامية في ذلك الحين، ولاحظنا فيما سبق كيف وهنت التنظيمات الإدارية، وتدهورت الحالة الاقتصادية نتيجة الفساد والسرقات، وتعرضت الأوضاع الاجتماعية للذل والهوان والفتن والحروب، ومن ثمَّ تفتَّت الدولة العباسية واستقر أصحاب الولايات على ما بأيديهم[(١)]، يقول ابن كثير: "ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار".[(٢)]

وبهذا أصاب أقاليم الخلافة التفتت، فعجزت الخلافة عن إعادة أقاليمها للسيطرة المركزية، ممَّا اضطرها إلى السكوت والاعتراف بالحالة الراهنة التي قضت بانتزاع بعض الأقاليم من سيادة الدولة، فقد تأسست الدولة العبيدية على أنقاض دولة الأغالبة في تونس عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م. وفي مصر قامت الدولة الطولونية عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م، أعقبتها الدولة الإخشيدية عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م.[(٣)]

وهكذا خرج المغرب الإسلامي ومصر بشكل تدريجي من حيث الزمان والمكان عن نطاق الدولة العباسية، وظهرت دولة جديدة تسيطر على النصف الغربي من العالم الإسلامي، وتسعى للسيطرة على النصف الشرقي، الذي أصابه ما أصاب النصف الأول من حيث قيام الدول المستقلة، فقد قامت الدولة الطاهرية في خراسان عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م، وتبعتها الدولة الصفارية عام ٢٥٤هـ/٨٦٧م، ثم غلبت على المنطقة الدول السامانية التي تأسست عام ٢٦١هـ/٨٧٥م في بلاد ما وراء النهر، ثم امتد نفوذها لتشمل جميع البلاد التي كانت تتبع للدولة الصفارية.[(٤)]

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (٣٠٧/١١).

(٢) البداية والنهاية، (٢٣٨/١٣).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٥٧٧/٦).

(٤) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، (٤٥/٢).

وتحول نفوذ الخلافة العباسية من سلطة سياسية ودينية إلى سلطة دينية فقط، ولم يبق للخليفة والوزير سوى ذكر اسمه في خطب الجمعة متبوعًا باسم السلطان الغالب على البلاد، قال مسكويه: "فصارت الدنيا في أيدي المتغلبين وصاروا ملوك الطوائف وكل من حصل في يده بلد ملكه ومنع ماله".[١]

وفي عام ٣٢٥هـ/٩٣٧م لم يبق في يد الخليفة سوى بغداد وسواد العراق، فقد استولى مُحَمَّد ابن رائق على واسط وقطع الضمانات عن الخلافة حتى قيل: "قد انغلقت عليك هذه البلدان وهي بلدان المال بما فعله مُحَمَّد بن رائق من الامتناع من حمل مال ضمانه فبطلت المملكة"، وكانت الأهواز والبصرة بيد أبي عبد الله البريدي، واليمامة والبحرين وهجر في يد أبي طاهر بن أبي سعيد الجنابي. كما استولى معز الدولة البويهي على بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م فلم يبق من الخلافة غير لقبها، وصاروا هم المتسلطين على شؤون الخلافة إلى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٧م.[٢]

وفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م دخل السلاجقة بغداد، وكانوا قد أسسوا دولتهم عام ٤٢٩هـ/١٠٣٩م في خراسان، ثم توسعوا جنوبًا وغربًا في أراضي الدولة البويهية التي كانت قد ضعفت، ومنذ أن استولى البويهيون على بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، أحيطت بغداد بإمارات مستقلة يقف على رأس كل إمارة أحد أمراء بني بويه، وانحصرت أملاك الخلفاء في بغداد التي كانوا يقيمون بها، ولم يكن سلطانهم ببغداد حينئذ إلاَّ اسميًا، وما انفكت فتن البلاط التي بُدئ بها في زمن المتوكل تتجدد بفواصل متقاربة جدًا إلى آخر خلافة بني العباس، وغدا تاريخ بني العباس لا يكون إلاَّ صورة ناطقة بقتل القادة والوزراء وطلاب الملك وأولياء الأمور.[٣]

وهكذا أحيطت بغداد بإمارات مستقلة، وانحصرت أملاك الخلفاء في بغداد التي كانوا يقيمون بها، ولم يكن سلطانهم ببغداد حينئذ إلا اسميًا حيث مال ولاة الأقاليم إلى الانفصال عن الخلافة واستبدوا في الأمور السياسية والاقتصادية في بلدانهم[٤].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، (١/٤٣٩).

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، (١/٤٣٩).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، (٥/٤٦٢).

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، (١١/٣٠٧).

ثم استقرت الأوضاع في العراق لصالح دولة السلاجقة السُنيّة، التي أظهرت قدرًا كبيرًا من الاحترام للخليفة، ولكن سلاطين السلاجقة أبقوه رمزًا دينيًا بدون قوة وصلاحيات، وعندما اجتاح الصليبيون بلاد الشام عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م كانت الخلافة العباسية عاجزة تمامًا عن القيام بأي رد فعل سوى توجيه الرسل إلى سلاطين السلاجقة لمعالجة الأمر(١).

واستمر الحال على ذلك حتى دخل المغول بغداد في اليوم الحادي والعشرين من محرم سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م(٢).

ويمكننا القول: إن نكبات الوزراء وانشغال الخلفاء بهذا الأمر أضعف من إحكام قبضتهم على الأقاليم التابعة للخلافة، حيث أصيبت بالانحلال والتفتيت وتنازع ولاتها وأمراؤها للسيطرة عليها حتى بدأت القوى الخارجية تتربص بالخلافة وتعد العدة للانقضاض عليها، وزاد عليها ما لقي العالم الإسلامي من غزو صليبي أتاه من الغرب بداية سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م، ومن غزو مغولي أتاه من المشرق سنة ٦٥٦هـ/١٢٨٥م، وما أصاب الإسلام من محن ما زال يئن تحت وطأتها إلى الآن.

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٨/٤٢٦).

(٢) الكازروني، علي بن مُحَمَّد بن محمود البغدادي، ظهير الدين (٦٩٧هـ/١٢٩٨م): مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، (د.ط)، (د.م)، (د.ت)، ص٢٧٢.



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له سبحانه على توفيقه بأن يسّر لي إتمام هذا الموضوع، الذي كنت أتمنى دائمًا أن أقدِّم ولو شيئًا يسيرًا لخدمة الإسلام والمسلمين، فله المنَّة والفضل سبحانه أن يسّر لي هذه الدِّراسة: "نكبات الوزراء في العراق وآثارها على الأوضاع العامة إبَّان العصر العباسي الثاني ٢٣٢– ٦٥٦ هـ/٨٤٧–١٢٥٨م"، حتى تمَّ والحمد لله.

إن نعم الله عظيمة، وفضله كبير، فنسأل الله –سبحانه– أن يوفقنا إلى شكرها، والعمل بمقتضاها قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

ويحسن في خاتمة هذه الدِّراسة أن أبرزَ أهم ما انتهت إليه من نتائج:

أولًا:

بيّنت هذه الدِّراسة أن كثيرًا من المؤرخين يُرجِع ظهور منصب الوزارة إلى الفرس، وقد تأثَّر العباسيون بالنظم السائدة في بلاد الفرس، ومن ثَمَّ نراهم يتخذون الوزراء، وقد بدأوا في اتخاذ الوزراء وتطوَّر ذلك المنصب إلى أن صارت وظيفة الوزير دائمة، وأصبحت جزءًا أساسيًّا من العمل السياسي.

ثانيًا:

أبرزت هذه الدِّراسة ارتباط نظام الوزارة منذ نشأته بنظام الخلافة، ونما وتطور حسب سلطة الخلفاء وميولهم واتجاهاتهم السياسية، ففي العصر العباسي الأول كان اعتماد العباسيين على الفرس واضحًا كل الوضوح؛ للدور الذي قاموا به في نقل الخلافة إليهم، لذلك نجدهم لا يتحرجون في توليتهم أرقى مناصب الدولة، فكان أغلبُ وزرائهم من أصل فارسي.

إنَّ العباسيين وإنْ كانوا قد استعانوا بالفرس في قيام دولتهم، وقربوهم إليهم، لم يسمحوا لهم أن يسلبوهم سلطانهم؛ بل تخلصوا منهم حين شعروا بتعاظم نفوذهم، يتجلى لنا ذلك في النكبات التي تعرض لها وزراء العصر العباسي الأول.

(١) القرآن الكريم سورة النمل، الآية: (١٩).

ثالثًا:

اتَّضح لنا من هذه الدِّراسة تميز نخبة من الوزراء العباسيين بالعلم والمعرفة والقوة والكفاءة، فحل محل كبار الوزراء ذوي الثقافة العالية والشخصية القوية وزراء لا يتميزون بالكفاية في إدارة الدولة، باستثناء قلة كان لهم دور لا يُستَهان به في تسيير أمور الدولة؛ كالوزير مُحَمَّد بن عبدالملك الزيات، الذي وزر لكل من المعتصم والواثق والمتوكل، وعلي بن عيسى بن الجراح، الذي نهض بأمور الدولة، وكان له تأثيرٌ كبير في السياسة الخارجية، تجلت في قضائه على خطر القرامطة. ورغم ذلك تعرض الوزراء لأنواع شتى من النكبات حتى ضعفت سلطة الوزراء.

رابعًا:

تبيَّن من هذه الدِّراسة إسناد مهمة الإشراف على شؤون بيت المال إلى بعض وزراء تلك الحقبة الزمنية من العصر العباسي، وقام بعضهم بهذه المهمة خير قيام، على حين فشل الأغلبية في تلك المهمة، وأدَّى فشلهم إلى اضطراب الأحوال المالية، فتعرض الوزراء لأنواع شتى من النكبات، كما أنه تجرأ بعض الوزراء للوصول إلى بيت مال الخاصة؛ لمواجهة الأزمات المالية، كذلك استعان بعض الوزراء ببيت مال الخاصة لمواجهة القرامطة، وبعض الوزراء وصل إليها للاستئثار بها.

خامسًا:

كشفت هذه الدِّراسة أن منصب الوزارة الذي بدأ قويًا شامخًا عند نشأته، أخذت تهدده عوامل الضعف في أواخر عهد المقتدر بالله، فضعف شأن الوزراء، وذهبت هيبتهم، ولم يعد بعضهم قادرًا على الاحتفاظ بمكانته السابقة؛ بل تدهورت هذه المكانة حتى ظهر منصب أمير الأمراء، الذي سلب مرتبة الوزير، ولم يبق للوزير شيء من النفوذ؛ إذ اقتصر عمله على الحضور إلى دار الخلافة في أيام الموكب، رغم أنه ثبت عدم نجاح منصب أمير الأمراء الذي استحدثه الخليفة الراضي بالله؛ لمحاولة الحفاظ على كيان الخلافة العباسية، واستمر ذلك المنصب حتى بداية سيطرة البويهيين الذي اختفى فيه منصب الوزارة.

سادسًا:

اتضح لنا من هذه الدِّراسة أسباب نكبات الوزراء، التي تتمثل في محاولة الاستئثار بالسلطة، وقوة نفوذ قادة الجيش، والأزمات، وضعف الخلفاء، والصراع على منصب إمرة الأمراء، وتدخل النساء في شؤون الوزارة، واستمرت تلك النكبات حتى سقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

سابعًا:

عرضت هذه الدِّراسة صور النكبات التي تعرَّض لها الوزراء من القتل، والتعذيب، والعزل، والسجن، والنفي، والمصادرة، والاستعفاء، والاختفاء، والهرب، مما أدى إلى تقليل مدة وزارة أكثرهم، فضلاً عن عدم استمتاعهم في ذلك المنصب، كما أسهم ذلك في تدهور الأوضاع سواء على مستوى الخلافة أم الوزارة، من حيث عدم القدرة على قيادة الدولة، وتوفير الأمن والطمأنينة داخل بغداد وخارجها؛ إذ كثرت الفتن والصراعات الداخلية، بالإضافة لسوء الأوضاع الاقتصادية.

ثامنًا:

صورت هذه الدِّراسة تأثر منصبي الخلافة والوزارة والتنظيمات الإدارية بصفة عامة؛ نتيجة للنكبات المتتالية على وزراء الخلافة العباسية، فانعكس ذلك بدوره على الحياة الاقتصادية وامتد أثره إلى الحياة الاجتماعية، فساد جو من عدم الاستقرار والخوف والاضطراب الذي عم المجتمع، لذا تعطَّلت الحياة المدنية ولم يستطع الناس ممارسة أعمالهم في أمن وأمان، وخافوا على أعراضهم وأموالهم، وتفككت الروابط بين الطبقات الاجتماعية إزاء نكبات الوزراء، فكان الوزير لا يضمن حياته من الخليفة والقواد؛ بل وتنافس الوزراء بعضهم مع بعض من أهل السلطة، فزادت حدة التشاحن بينهم، وحدثت ثورات متكررة سواء من الجند أو من الفرسان أو من عامة الشعب، فصارت روابط الألفة بين أفراد المجتمع مختفية، وكان أي تأخر في دفع أعطيات الجند يؤدي إلى عصيان الوزير، وحدوث الشغب، وقيام الفتن المتكررة، ثم أدَّت مجمل هذه النكبات إلى عدم استقرار أحوال السكان، فغالبًا وأمام أية اضطرابات داخلية أو خارجية كانت الفتنة تعم بغداد، خاصة وأن الصراعات لم تكن صراعات مستورة؛ بل كانت دائمًا صراعات

علنية ومباشرة تمس السكان بصورة مباشرة. فصراع الجند والقادة والحروب بينهما كان ضحيتها الأولى السكان، كذلك عند الإطاحة بالوزير تهتك حرمته وينهب ماله وتنهب دُور أصحابه، كما أنه من جراء ذلك يطمع اللصوص والعيارون، وتكثر الفتن، وتكبس دور التجار، وتؤخذ بنات الناس في الطرق المنقطعة.

تاسعًا:

أكدت هذه الدِّراسة أن أغلب وزراء العصر العباسي الثاني أسهموا في النهوض بالحركة العلمية والأدبية، فشجعوا العلماء والأدباء، وعقدوا لهم المجالس الأدبية والعلمية، وأنشأوا المكتبات وزودوها بالكتب، وأسسوا المدارس وأمَّنوا لطلابها والعاملين بها النفقات اللازمة، هذا فضلًا عن كثيرٍ ممن تقلدوا الوزارة في تلك الأثناء كانوا من العلماء والأدباء، الذين أسهموا بمصنفاتهم في دفع عجلة التقدم العلمي والأدبي، وكانت مجالسهم تضم كبار العلماء والأدباء، ممَّا يشجعهم على تأليف الكتب، ونظم الأشعار في مدحهم، والإشادة بفضلهم. ولكن لما تعرض هؤلاء الوزراء للنكبات غابت هذه الأجواء العلمية، وانشغل العلماء والناس بصفة عامة بالمنازعات الطائفية والمذهبية، فأثَّر ذلك على تقدُّم الحركة العلمية والأدبية. وبعد سقوط بغداد زالت مكانتها العلمية والدينية، فبعد أن كانت مقصدًا لطلبة العلم والعلماء، أصبحت خرابًا، وبعد أن كانت تحوي نفائس الكتب، عدمت هذه النفائس، وامتهنت وبيعت بأبخس الأثمان؛ بل ووصلت الحال إلى امتهان الكتب، حيث بنى المغول إسطبلات الخيول وطاولات المعالف بكتب العلماء عوضًا عن اللِبن.

عاشرًا:

بيَّنت الدِّراسة أن بداية الضعف الذي تسرَّب إلى جسم الدولة العباسية المترامية الأطراف في العقود الأخيرة من القرن الثاني للهجرة- الثامن الميلادي، كان نتيجة للصراعات التي قام بها كبار الشخصيات في الدولة العباسية؛ للظفر بمنصب الوزارة وما أعقب ذلك من دسائس ومؤامرات، أسهمت في تلك النكبات التي تعرض لها وزراء العصر العباسي الثاني فبدأت بعض الولايات البعيدة عن مركز الدولة في بغداد تنفصل مكونة دولاً مستقلة، وعجزت الخلافة عن استعادتها، ولم تكن زمام الأمور في بغداد مركزة في يدٍ واحدة، بل كانت هناك سلطات مختلفة متعارضة كل منها يجور على السلطة الأخرى، ويتدخل في عملها، ولم تكن هناك رابطة تجمع

الحكام في تصريف شؤون الدولة؛ بل كانوا متنازعين متباغضين، كل منهم ينقم من الآخر ويدبِّر ضده المؤامرات، فأضعفت الحروب المتواصلة والفتن العارمة الخلافة العباسية، وفي عهد المستعصم بالله العباسي آخر خلفاء العباسيين حلت المتاعب والمحن التي أحاطت بالخلافة العباسية، حتى وصل العسكر المغولي إلى بغداد في بداية شهر محرم سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وأسقط الخلافة العباسية.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر:

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

- الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

الإربلي: عبد الرحمن سنبط (ت: ٧١٧هـ/ ١٣١٧م).

- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، (د. ط)، مكتبة المثنى، بغداد (د. ت).

الأزدي: جمال الدين أبو الحسن علي (ت: ٦١٣هـ/١٢١٦م).

- أخبار الدول المنقطعة (تاريخ الدولة العباسية)، تحقيق محمد بن مسفر الزهراني، (د. ط)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة مطبعة المدني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الأصفهاني: عماد الدين محمد بن محمد (المتوفى: ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م).

- تاريخ دولة آل سلجوق، قرأه وقدم له يحيى مراد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ.

البخاري: محمد بن بن اسماعيل البخاري (ت: ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م).

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن حمد (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

- الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ٢٠٠٤هـ

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

- جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م.

البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد (ت: ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م).

- الآثار الباقية عن القرون الخالية، (د. ط)، دار صادر، بيروت (د. ت).

الترمذي: مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

- سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، (د. ط) دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

ابن تغري بردي: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (د. ط)، وزارة الثقافة، مصر (د. ت).

التنوخي: المحسن بن علي بن مُحَمَّد بن أبي الفهم داود (ت: ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت — لبنان، ١٣٩١ هـ.

التهانوي: مُحَمَّد بن علي ابن القاضي مُحَمَّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت: بعد ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م).

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زيناني، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م.

الثعالبي: عبد الملك بن مُحَمَّد بن إسماعيل أبو منصور النيسابوري (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

- تحفة الوزراء، تحقيق سعد أبو دية، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. (د. ط) دار المعارف، القاهرة (د. ت).
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،تحقيق مفيد مُحَمَّد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

الجهشياري: أبو عبدالله مُحَمَّد بن عبدوس(ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م).

- الوزراء والكتاب، ط١، (د. د)، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

الحموي:شــهاب الــدين أبــو عبــد الله ياقــوت بــن عبــد الله الرومــي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

– معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م.

– معجم البلدان، (د. ط) دار الفكر، بيروت، (د. ت).

الحِميري: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).

– الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة طبع على مطابع دار السراج، بيروت، ١٩٨٠م.

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

– تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

– ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (د. ط.) دار الثقافة، لبنان، (د. ت).

ابن الدبيثي: أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعيد بن مُحَمَّد.(ت:٦٣٧/١٢٣٩م)

– المختصر المحتاج إليه الدبيثي اختصار الذهبي، تحقيق مصطفى جواد، (د. ط) مطبعة المعارف بغداد ١٣٧١هـ.

ابن دحية: أبو الخطاب عمر(ت:٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م).

– النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، صححه: عباس العزاوي، (د. ط)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م).

- الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر مراجعة جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٠ م.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق بشار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (د. م)، ٢٠٠٣ م.

- دول الإسلام، ط١، بمطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٣٧هـ.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر مُحَّد السعيد بن بسيوني زغلول، (د. ط.)، دار الكتب العلمية - بيروت (دت).

الرازي: زين الدين أبو عبد الله مُحَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ/١٢٦٧م).

- مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ مُحَّد، ط٥، الدار النموذجية، المكتبة العصرية، بيروت — صيدا، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، (د. ط) دار الهداية (د. ت)، (٣٦٠/١٤).

الزركلي: خير الدين بن محمود بن مُحَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

- الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، مايو ٢٠٠٢ م.

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).

- أساس البلاغة، تحقيق مُحَّد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م.

سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبي المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق جنان جليل مُحَّد، ط١، وزارة الثقافة، بغداد، العراق (د. ت).
السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود مُحَّد الطناحي وعبد الفتاح مُحَّد الحلو، ط٢، هجر للطباعة (د. م)، ١٤١٣هـ.
ابن سعد: أبو عبد الله مُحَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م).
- الطبقات الكبرى، تحقيق مُحَّد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.
السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق مُحَّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م
- تاريخ الخلفاء، تحقيق مُحَّد محي الدين عبد الحميد، ط١، السعادة، مصر، ١٣٧١هـ.
أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي.(ت٦٦٥هـ/١٢٦٧)
- مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، اختصار وتعليق وفهرسة موضوعية مُحَّد بن حسن بن عقيل موسى، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
ابن شداد: أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، (ت: ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
ابن شاكر: مُحَّد بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).
فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر - بيروت، ١٩٧٣م
الشيرازي: عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي (ت: تقريبا ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م).
- المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق علي عبد الله الموسى، (د. ط)، مكتبة المنار،

الزرقاء (د. ت).

الصابئ: هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الحراني، أبو الحسين، أو أبو الحسن (ت: ٤٤٨هـ/١٠٥٦م).

- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، (د. ط)، مكتبة الأعيان، (د. ت، م).

- رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، ط ٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

-الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (د. ط)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

الصولي: أبو بكر مُحَمَّد بن يحيى بن عبد الله (ت: ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م).

- أخبار الراضي بالله والمتقي لله = تاريخ الدولة العباسية، من كتاب الأوراق، تحقيق ج هيورث دن، دار مطبعة الصاوي، مصر ١٩٣٥م.

- ما لم ينشر من أوراق الصولي (أخبار السنوات ٢٩٥- ٣١٥هـ)، تحقيق هلال ناجي، ط١، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ابن طباطبا: مُحَمَّد بن علي المعروف ابن الطقطقي (ت: ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م).

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، حققه وضبطه وشرحه عبد القادر مُحَمَّد مايو، ط ١، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

الطبري: مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: ٣١٠هـ/ ٩١٣م).

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف، القاهرة – مصر ١١١٩م.

ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م).

-كتاب بغداد،، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ابن العبري: غريغوريوس أبو الفرج المعروف بابن العبري (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٩م).

- تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار النشر الشرق، بيروت، ١٩٩٢م.

العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران(ت: تقريبا ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م).

- الأوائل، ط١، دار البشير، طنطا، (د. ت).

ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، ط١ دار ابن كثير،، دمشق، بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

ابن العمراني: مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد (ت: ٥٨٠هـ/١١٨٤م).

- الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١ هـ /٢٠٠١م.

الفارقي: أحمد بن يوسف بن علي الأزرق.(تـ بعد ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)

- تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض(د. ط) القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن مُحَمَّد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

- المختصر في أخبار البشر، تحقيق مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب ويحي سيد حسين، تقديم حسين مؤنس، ط١، دار المعارف، (د. ت)(د. م).

ابن الفراء: مُحَمَّد بن الحسين بن مُحَمَّد بن خلف (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م).

- الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه مُحَمَّد حامد الفقي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.

- رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت:٧٢٣/ ١٣٢٣م).

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

الفيومي: أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن مقري.(ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)

-المصباح المنير في غريب الشرح للرفاعي، (د. ط)، المكتبة العلمية، بيروت(د. ت).

ابـن قاضـي: أبـو بكـر بـن أحمـد بـن مُحَمَّد بـن عمـر الأسـدي الشـهبي (ت: ٨٥١هـ/١٤٤٧م).

- طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

ابن قتيبة: أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

- الشعر والشعراء، (د. ط)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

القرطبي: عريب بن سعد (ت: ٣٦٩هـ/ ٩٧٦م).

- صلة تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ.

ابـن القلانسـي: حمـزة بـن أسـد بـن علـي بـن مُحَمَّد، أبـو يعلـى التميمـي (ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م).

- تاريخ دمشق، تحقيق د.سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

القلقشندى: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د. ط) دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م.

ابن قيم الجوزية :مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ / ١٣٥٠م).

- أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، ط. ١، دار رمادي للنشر — الدمام، ١٤١٨/١٩٩٧م.

الكازروني:علي بن مُحَمَّد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م).

- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).

الكتبي: مُحَمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

- البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)

الأوائل، ط١، دار البشير، طنطا، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧م.

الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه السيد الشرقاوي، راجعه الدكتور رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م

الماوردي: أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م).

- الأحكام السلطانية: (د. ط)، دار الحديث، القاهرة، (دت).

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، القاهرة — مصر.

-التنبيه والإشراف،(د،ط)مطبعة بريل ١٨٩٣م،دار صادر.

المرزباني: أبو عبيد الله مُحَمَّد بن عمران (ت: ٣٨٤ هـ / ٩٩٤م).

- معجم الشعراء بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط ٢، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

مسكويه: أبو علي أحمد بن مُحَمَّد (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م).

- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، الدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

المعجم الوسيط:

- تحقيق مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومُحَمَّد النجار) (د. ط)، دار الدعوة، (د. ت).

المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

– السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ابن منظور: مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م).

– لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

مؤلف مجهول

العيون والحدائق في أخبار الحقائق، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه عمر السعيدي، (د. ط). (د. د)، دمشق، ١٩٧٢م.

ابن النديم: أبو الفرج مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد الوراق البغدادي (ت: ٤٣٨هـ/ ١٠٦٤م).

– الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

النهرواني: أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى (ت: ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م).

– الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن مُحَمَّد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م):

– نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ.

الهمذاني: مُحَمَّد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن (ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م).

– تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.

ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن مُحَمَّد ابن أبي الفوارس (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

– تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

اليافعي: أبو مُحَمَّد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

اليعقوبي: اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.(ت٢٩٠هـ/٩٠٣م)

- تاريخ اليعقوبي، (د. ط)، دار صادر، بيروت (د. ت).

أبو يعلى: مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت: **٥٢٦هـ/ ١١٣٢م)**.

-طبقات الحنابلة، تحقيق مُحَمَّد حامد الفقي (د. ط)، دار المعرفة، بيروت (د. ت).

المراجع العربية

إبراهيم سليمان الكروي:

-البويهيون والخلافة العباسية، ط١، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

جورجي زيدان.

-تاريخ التمدن الإسلامي، (د. ط، ت)، دار مكتبة الحياة، بيروت.

حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن:

- النظم الإسلامية، دار النشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط٣، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

حسين أمين:

- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، (د.ط)، طبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٥م. ص٢٠١.

حمدان الكبيسي:

- عصر المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠ هـ، (د. ط)، (د. د)، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

سليمان العودة:

-كيف دخل التتر بلاد المسلمين؟ الأدوار الخفية في سقوط الخلافة العباسية، ط١، دار طيبة، الرياض. المملكة العربية السعودية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

سيبديُو:

-تاريخ العرب العام، إمبراطورية العرب، حضارتهم، مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية: نقلــه إلى العربيــة: عــادل زعيــتر، (د. ط)، دار أحيــاء الكتــب العربيــة، القــاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

ضيف الله يحي الزهراني:

- الوزير العباسي علي بن عيسى بن داود بن الجراح، إصلاحاته الاقتصادية والإدارية، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى معهد البحوث العامية وإحياء التراث الإسلامي، مركز بحوث الدِّراسات الإسلامية، ط١، مكة المكرمة، ١١١٤هـ/١٩٩٤م.

- موارد بيت المال في الدولة العباسية، ط ١، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.

عباس إقبال:

-الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين حلمي، (د. ط)، مطبوعات الجامعة جامعة الكويت، (د. م) ١٩٨٤م.

عبد الجبار الجومرد:

- هارون الرشيد، (د. ط)، شركة المطبوعات، (د. م)، ١٩٩٩م.

عبد الجبار ناجي:

- الإمارة المزيدية،(د. ط) دار الطباعة الحديثة، بغداد ١٩٧٠م.

عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلي:

-ثلاثية الحكم في العصور العباسية الخلافة والسلطة والدولة، قدم له إبراهيم بيضون، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

كامل كيلاني:

- مصارع الخلفاء مشاهد رائعة نقلها عن التاريخ، ط١، دار العصور، القاهرة — مصر، ١٩٢٩م.

ماتياسن:

-خلافة المعتصم، طبعة كود أرابكو، ليدن، إبريل: ١٨٤٩م.

مُحَمَّد الأرناؤوط:

-السيدة شغب أم الخليفة العباسي المقتدر بالله نموذجًا، (د. ط)، دار الحياة، جامعة آل

البيت، الأردن، ٢٠١١م.
مُحَمَّد بديع شرف:
- الصراع بين الموالي والعرب، ط١، دار الكتاب، العربي، ١٩٥٤م.
مُحَمَّد جمال الدين سرور:
- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٦٦م.
مُحَمَّد خضري بك:
- دروس في التاريخ الإسلامي من البعثة الشريفة حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري، صححه وضبطه محمود بيروني، ط٢، دار البيروني، دمشق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
مُحَمَّد عويس:
-المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ، (د. ط) دار الثقافة للطباعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.
مُحَمَّد كرد علي:
- الإدارة الإسلامية في عز العرب، (د. ط)، دار مصر للطباعة، ١٩٣٤م.
مدحت مُحَمَّد عبد النعيم:
- تاريخ الدولة العباسية العصر العباسي الثاني عصر نفوذ الأتراك والعصر البويهي، ط١، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
اليوزبكي: **توفيق سلطان اليوزبكي**:
- الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ١٣٢- ٤٤٧هـ، ط٢، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

المصادر الفارسية المعربة:

الراوندي: **مُحَمَّد بن علي بن سليمان الراوندي**:
-راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية: نقله إلى العربية، إبراهيم أمين الشواربي وعبد النعيم مُحَمَّد حسنين، فؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه ونشر مقدماته، إبراهيم أمين الشواربي، (د. ط. م)، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
الهمذاني رشيد الدين فضل الله.(**ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م**)
- جامع التواريخ، تاريخ المغول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، نقله

إلى العربية: مُحَّد صادق نشأت وآخرون، راجعه وقدم له: يحيى الخشاب (د. ط)، دار إحياء الكتب العلمية، وزارة الثقافة (د. م) (د. ت).

الرسائل العلمية:

مساعد بن مساعد مُحَّد الصوفي:

-العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية ٢٤٧-٣٣٤هـ ماجستير،، جامعة أم القرى،كلية الشريعة والدِّراسات الإسلامية، مكة المكرمة.لم تنشر.(د.ت).

الدوريات والموسوعات:

حسام الدين السامرائي:

-تطور نظام الوزارة منذ خلافة المعتصم بالله حتى دخول البويهيين بغداد، جامعة الشارقة كلية الآداب والعلوم قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج ١٨،ع ٣٩، نشر في ذو الحجة سنة ١٤٢٧هـ

رائد مُحَّد أحمد:

-الاستخراج في العصر العباسي ١٣٢-٣٣٤هـ /٧٤٩- ٩٤٥م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١٠ عدد ٤، كلية الآداب جامعة الموصل نشر عام ٢٠١١/٣/١٧م.

سنية قراعه:

- أم المقتدر، مجلة العربي، العدد (١١٥)، (د. م)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

علي جواد الطاهر:

- خلفاء بني العباس ووزراؤهم في شعر العصر السلجوقي، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد المجلد الثامن، عام ١٩٦٠م.

مُحَّد بن عبد الله القدحات:

-منصب أستاذ الدار في الخلافة العباسية ما بين ٣٥٢-٦٥٦هـ، بحث منشور، مجلة جامعة الملك خالد، المجلد الرابع، العدد السابع، ١٤٢٧هـ.

المراجع الأجنبية:

- between the two brothers Al – Amin and Al Samadi: The struggle Mamun: Islamic culture ،April 1958
- Dominque Sourdel: LE Vizirt `Abbàside. DE649 A 936. Damas1959
- Harold Bown، the life and times of Aly Ipn Isa … P، 151 - 152.
- Historia Chalifatus AL-Motacimi. EX: Cod. Arabico. By: Matthiessen. Lugduni. E. J. Brill1849
- Sourdel: Amir Al Umara ; Encylopaedia of Islam1960 Vol
- The Caliphate: Its Rise, Decline and Fall, from Original Sources, BY: Sir William Muir. Islamic culture ،16 ،1942.